دعوة الحق

أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام

للمستشار
منصور حسين عبد العزيز
نائب رئيس محكمة النقض



الطبعة الثالثة
يناير ١٩٩٤

الناشر
مكتبة علاء الدين

دعوة الحق

أو الحقيقة بين

المسيحية والإسلام

للمستشار
منصور حسين عبد العزيز
نائب رئيس محكمة النقض

الطبعة الثالثة
يناير ١٩٩٤

الناشر
مكتبة علاء الدين

دعــوة الحــق
أو الحقيقـــة بيـن
المسيحية والاسلام

للمستشار منصور حسين عبد العزيز

الطبعة الثالثة يناير ١٩٩٤

النـــاشـــــر

مكتبة علاء الديـن

الاسكندرية – ٦٣ ش صفية زغلول – ت : ٤٨٣٦١٨٦

الموزعـــون :

توزيع القاهرة :

- مركز الكتاب للنشر

مصر الجديدة – ٢١ ش الخليفة المأمون – برج روكسى – ت : ٢٩٠٨٢٠٣

توزيع الجيزة :

- دار الفجر للنشر والتوزيع

٥ شارع التيسير – عمارة ايموبيليا الأهرام – نهاية طريق الملك فيصل – ت : ٣٨٣١٩٧٢

رقم الإيـــداع : ٢٣٠٢ / ١٩٩٤
الترقيم الـدولى : ٣ – ٠٠ – ٥٥٤٠ – ٩٧٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إهداء

إلى كل مؤمن يريد الحقيقة وحدها
أهدى هذا الكتاب عسى أن يجد فيه
ما ينير له الطريق إليها .

منصور

مقـــدمة

إذ يولد المرء لأبوين يدينان بدين معيّن، يعدّ بدوره ممن يدينون بهذا الدين، وذلك قبل أن يعى من أمر هذا الدين أو حتى من أمر نفسه شيئا، وإذ يشّب المرء فإنه غالبا – إن لم يكن دائما – مايتمسّك بما وجد عليه نفسه من دين باعتباره دون ماعداه هو الايمان الصحيح الحقيق بالاعتناق

ولما كان هذا الأصل الواقعي لاعتناق الغالبية العظمي من الناس لما هم عليه من دين لا يقوم سندا فى العقل على أن ما اعتنقه المرء من دين هو الايمان الصحيح الحقيق بالاعتناق، فإنه يضحى لذلك لازما على كل امرء يتكامل له الوعى والادراك، فضلا عن المقدرة، أن يبحث فيما شبّ عليه من دين، وفى غيره من الأديان، وأن يمحّصها جميعا، ليخلص بسليم إدراكه وهدى عقله إلى الايمان الصحيح الذى يجب عليه أن يعتنقه، فإن خلص إليه ، صار إيمانه راسخا قويّا حقيقا بكل اعتبار، لأنه سيكون عندئذ نتاج بحث واختيار، وليس مجرد ماوجد عليه آباءه وأجداده من قبل، مما لافضل له فيه ولا خيار

الايمان الصحيح بذلك هو قضية كل إنسان بلغ نصيبه من الوعى والادراك والمقدرة ، وهى قضية بغير خصوم ، بل وأيضا بغير قضاة، فكل امرء فيها هو الخصم وحده، وهو أيضا القاضى وحده، فكلّ هو قاضى قضيته هذه.

وكسب المرء قضية الايمان الصحيح أو خسارته لها ليس فى أن يثبت المرء أن ما وجد عليه نفسه من دين هو الايمان الصحيح الحقيق بالاعتناق أو العكس، وإنما يكون كسبها فى أن يصل المرء بحق إلى الايمان الصحيح، سواء وافق هذا الايمان ماوجد عليه نفسه من دين أو لم يوافقه. كما تكون خسارتها فى أن يصل المرء فى هذا الشأن إلى الباطل على أنه الحق. وسواء أيضا وافق ماوصل إليه

ماوجد عليه نفسه من دين أو لم يوافقه، وفى الحالين ، فإنه إن كسب فلنفسه، وإن خسر فعليها.

وإنها لحكمة بالغة إذن أن تتعدد الأديان، فهذا التعدد فى حد ذاته موجب لحركة دائمة من البحث فيها والمقارنة بينها، وصولا إلى الايمان الصحيح الحقيق بأن يعتنقه المرء، فلو كان الدين واحدا يلتقى عليه الناس جميعا لقلّت حاجتهم للبحث فيه ، فما حاجتهم إلى ذلك إذا لم يكن هناك خلاف حوله، وهكذا فإن التقاء الناس جميعا على دين واحد قد لايخدم قضية الايمان نفسها، بل لعله يؤدى إلى إضعافها، وربما أيضا إلى ذبولها .

ولعل أنه لهذا لم يشأ الله سبحانه وتعالى بعد أن يلتقي الناس جميعا على دين واحد، ولقد تبدو العبارة السابقة غريبة، ولكنها النتيجة الحتمية لحقيقتين، الأولى: هى قدرة الله المطلقة – عند كل مؤمن به – ومقتضاها أنه جلّت قدرته لو شاء لجمع الناس جميعا على دين واحد، والثانية: هى الواقع الملموس من أن الناس لم يلتقوا بعد على دين واحد، فحاصل هاتين الحقيقتين معا أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ بعد أن يلتقى الناس على دين واحد، لأنه لو شاء جلّت قدرته لالتقوا، وإذ لم يفعلوا فإنه سبحانه وتعالى يكون لم يشأ بعد ذلك.

تعدد الأديان إذن ليس ضد قضية الايمان، بل هو معها، وهو يتعلق بالمشيئة الالهية التى لم تشأ بعد لهذا التعدد أن ينتهى بأن يلتقى الناس على دين واحد، ومن هنا فليس لبشر أن يعترض على هذا التعدد، أو أن يتصور فى نفسه القدرة على إنهائه إلا أن يشاء الله، إلا أنه تحقيقا لحكمة التعدد ذاتها يجب على كل قادر على البحث والمقارنة بين الأديان أن يفعل ذلك، وصولا إلى الايمان الصحيح الذى يجب اعتناقه

وفى إطار ما تقدم ينبغى النظر إلى هذا البحث، فالمؤلف ليس رجل دين، فذلك شرف لا يدعيه ، وهو ليس كاتبا اختار موضوع هذا البحث ليؤلّف فيه، وإنما هو مجرد إنسان اعترضته فى حياته قضية الايمان نفسها، فعكف عليها مستجليا وجه الحق فيها، كانت القضية قضيته الشخصية، وكان موضوعها إيمانه شخصيا، فبذل فيها من الجهد مابذل، لا ليدون بحثا أو يؤلف كتابا، وإنما حسبه أن إلى الايمان الصحيح يصل ، وبعد أن وصل فى قضيته إلى ما وصل، عجب أن سبيله فيها على وضوحه ويسره لم يسلكه - على حد علمه - من قبل أحد، فأضاف إلى جهده فى البحث جهدا آخر لم يكن فى حسبانه حين بدأ، هو جهد التدوين والطبع والمراجعة والنشر، عله بذلك يوفّرعلى غيره بعض ما هو من الجهد قد بذل، لا يدّعى أنه وحده على الحق وأن من عداه على باطل، وإنما يدّعى أن أمانة ماغير وجه الحق قد قصد، ويقينه أن الحق ما هو إليه قد وصل، فهل أصاب ، أم لم يصب، ذاك ما فيه الى القارئ يحتكم، وعلى كل قارئ أن يحكم ، ليس للكاتب أو عليه ، بل لنفسه - لنفس القارئ - أو عليها، فالقضية كما تقدم هى قضية كلِ امرء، وكلّ هو قاضي قضيته.

المــــؤلف

تمهيد

فى موضوع البحث ومنهجه

خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الجنة، وحرّم عليه أن يأكل من شجرة معينة من أشجارها، وخلق له حواء لتكون له زوجا وأنيسا، وأغوى الشيطان حواء أن تأكل ورجلها من الشجرة التى حرّم الله، فأكلت حواء وأعطت رجلها فأكل معها، وكانت هذه أوّل خطيئة للانسان يعصى بها الله خالقه، وأخرج الله آدم وزوجه من الجنّة جزاء لمعصيتهما .

وتوالى نسل آدم وبنيه، وتوالت معه الخطيئة ، وتوالت رسالات السماء إلى بني آدم، حتى أوحى الله لنوح عليه السلام فصنع فلكا أخذ فيه بنيه وأهله الصالحين ، ثم أغرق الله الأرض .

وتوالى النسل، وتوالت الخطيئة ، وتوالى الرسل الأنبياء برسالات السماء، إلى موسى عليه السلام والتوراة، إلى المسيح عليه السلام والانجيل، وفيه ينسب للمسيح قوله:

«لاتظنّوا أنّى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ماجئت لأنقض بل لأكمّل. » (متّى ص ٥:١٧)

ومن هذا فهم أتباع المسيح أنه لايقيم دينا جديدا ، بل يكمّل الدين الذى بدأه الرسل الأنبياء من قبله، ولهذا فإنهم قد عنوا بجمع الكتب السماوية التى سبقت المسيح، وأطلقوا عليها اسم (العهد القديم)، تمييزا لها عن الأناجيل وما ألحق بها وهو ماأطلقوا عليه إسم (العهد الجديد)، وجمعوا كلاً من هذين العهدين معا فى كتاب واحد ، وأطلقوا عليه إسم (الكتاب المقدّس) .

ثم كان أخيرا محمد عليه السلام، الذى آمن من اتّبعوه بأنّ الله قد بعثه رسولا، وأوحى إليه القرآن الذى جاء حاسما فى وجوب الايمان بالرسل السابقين وبما أنزل عليهم إذ نقرأ فيه:

﴿قولوا آمنّا بالله وماأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ﴾.(البقرة:١٣٦)

وهكذا التقى الاسلام مع المسيحية على الايمان بالمسيح عليه السلام وبكل من سبقه من الأنبياء ، والايمان بالانجيل وبكل الكتب السماوية السابقة عليه، فضلا عن الايمان بالله الواحد، والدعوة إلى الخير، والنهى عن كل شر.

ولكن ، وعلى هذا اللقاء الكامل مع المسيحية فى الاسلام، فإن المسيحية والاسلام يبدوان اليوم أبعد من أن يلتقيا، والغريب أن أسباب هذا التباعد لاتقوم على مايقضى المنطق أن يختلفا فيه، وهو الايمان بنبوة محمد وبتنزيل القرآن من عند الله، إذ يمنع القرآن أن يكون ذلك سببا للتباعد بقوله :

﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون . ﴾. (آل عمران:٦٤)

فالآية لا تطلب من أهل الكتاب ليلتقى معهم المسلمون أكثر من الاتفاق على ألاّ يعبدوا إلاّ الله، ولايشركوا به شيئا، وألاّ يتّخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، ولم تتطّلب لهذا الالتقاء الايمان بمحمد رسولا نبيا أو بالقرآن كتابا من الله منزّلا.

الغريب حقا أن أسباب هذا التباعد إنما تقوم فى المعتقدات المسيحية نفسها، والتى يفترض ايمان الطرفين معا بها، إذ يمكن القول بأن هذه الأسباب تتركّز أساسا فى أمرين، الأول: هو الخلاف حول صلب المسيح عليه السلام، والثاني: هو الخلاف حول طبيعته عليه السلام .

ويبدو الخلاف الأول للمسيحيين غاية فى الغرابة، فعندهم أن التاريخ قد سجّل أن المسيح عليه السلام قبض عليه وحوكم وصلب على عهد بيلاطس البنطى، كما سجّل كاتبوا الأناجيل هذا فى أناجيلهم على أنه حقائق لا ريب فيها، وقامت أغلب المعتقدات المسيحية الحالية على أساس من صلب المسيح، فأنّى لأحد بعد نحو ستة قرون أن يقول فى كتاب يدّعى أنه من الله أن المسيح لم يصلب ولكن توفاه الله ورفعه إليه، ولعلّ ذلك وحده عندهم كاف لتكذيب رسالة محمد.

أما المسلمون فإنهم وقد آمنوا بمحمد رسولا من الله وبالقرآن كتابا منزّلا من لدنه، سبحانه وتعالى الذى يعلم الجهر ومايخفى ، فإنه مهما استقرّ لدى أغلب المسيحيين أن المسيح قد صلب، فإذ قال الله فى قرآنه الكريم أنه لم يصلب، فإن الحقيقة تكون أنه لم يصلب، لأن الله لايخطئ ، أما الناس فيخطئون.

أما الخلاف الثانى فيتمثل فى إيمان المسيحيين بألوهية المسيح، بينما ينفى الاسلام عن المسيح هذه الألوهية نفيا تاما، ولايرى فيه غير إنسان نبى، ورسول بشر.

ومع استمرار هذين الخلافين بين المسيحية والاسلام يستحيل اللقاء بينهما، ويبدو للمسيحيين عذرهم، إذ تقوم المسيحية حاليا عند غالبيتهم على

أساس من صلب المسيح وألوهيته، كما يبدو للمسلمين أيضا عذرهم، فأول مايقوم عليه إيمانهم هو القرآن وتنزيله من عند الله، وقد نفى القرآن كلا من صلب المسيح أو ألوهيته نفيا تاما.

ويقف الباحث عن الحقيقة فى هذين الأمرين حائرا، فالحقيقة لا يمكن إلاّ أن تكون واحدة، فالمسيح إمّا أنه صلب حقّا أو لم يصلب، وإمّا أنه الله حقّا أو أنه ليس الله، ومحال أن تكون الحقيقة أنّه صلب ولم يصلب معا، أو أن يكون هو الله وأن تنتفى عنه الألوهية فى نفس الوقت، ويزيد الأمر تعقيدا أن كلاًّ من الطرفين يعتقد فعلا أن ما يؤمن به هو الحقيقة وحدها، بينما المحال أن تقف الحقيقة إلى جانب كلّ من الطرفين معا، فإلى أى جانب تقف الحقيقة، أو ما هى الحقيقة إن لم تكن تقف إلى جانب أى منهما.

الحقيقة فى كل من الأمرين السابقين هى موضوع هذا البحث، فما هو السبيل للوصول الى هذه الحقيقة ، وكيف نعرف أن ما نصل إليه هو مايتّفق معها.

ليس هناك من سبيل للحكم على أى بحث إلاّ للبحث نفسه، لمنهج البحث، ولسبيل الباحث فيه، فللبحث أصوله، وأى بحث إنما يتحدّث بنفسه عن نفسه، فيكشف ما إذا كان الباحث يستهدف فيه الحقيقة وحدها دون غيرها أم لا، وما إذا كان الباحث قد سلك فيه السبيل الموصّل إليها وحدها أم لا، وليكن بعد ذلك من ضمير القارئ ، ومن يقينه وإيمانه، ومتابعته للبحث بنفسه، ومراجعته للباحث قدر استطاعته فيما يذكره أو ينقله ، ليكن من كل ذلك الحكم العدل على هذا البحث .

إن السبيل الصحيح لبيّن ، وأى انحراف عنه ليسهل على القارئ الواعى كشفه، ولذلك، وعلى أساس ماتقدّم، أترك للبحث نفسه، ولمنهجى فيه، ولكل قارئ، الحكم على ماأكتبه.

وإذا كان لمنهج البحث هذه الأهميّة ، فإنّه يكون متعينا تحديد هذا المنهج ابتداء، حتى نمضى فى البحث على أسس ثابتة واضحة لا اعتراض عليها، ومن المفيد فى هذا الخصوص أن نبدأ بمحاولة التعرّف على المناهج المختلفة التى تتعرض لموضوعى هذا البحث، لنرى ما يمكن قبوله أو يتعين رفضه منها، أو نصل منها الى المنهج السليم الذى يتعيّن اتباعه.

والكتب فى هذا الشأن لاتخرج عن أربعة مناهج :

أولاً : كتب دونّها أتباع كلّ من الدينين كلّ فى شرح دينه ومعتقداته بشأنه، ومحاولة إثبات صحتها، دون أن تتعرض للدين الآخر، وهذه تمثل الأعم الأغلب من الكتب، وإذا تعرض كاتبوها لواقعة الصلب أو لطبيعة المسيح، فليس ذلك منهم لأكثر من مجرد شرح معتقداتهم بشأن هذين الأمرين، بغير أى قصد للتعرض لمعتقدات أتباع الدين الآخر أو تناولها بالبحث .

ثانياً : كتب لمسيحيين تتعرض للاسلام، حينا بنفى تنزيل القرآن نفسه من عند الله، وحينا بمحاولة إثبات المعتقدات الغالبة عند المسيحيين اليوم بالاستناد إلى القرآن نفسه، ثم التدرج منه إلى الكتاب المقدس، لتنتهى هى الأخرى فى تدرجها إلى نفى تنزيل القرآن من عند الله، وصولا فى جميع الحالات إلى نفى كون الاسلام دينا سماويا، وهذا المنهج فى الكتب المسيحية يقابله كتب لمسلمين، تحاول إثبات معتقدات الاسلام بشأن الدين المسيحى، بنفى الصحة عن الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم،

والتمسك بإنجيل آخر يقال له إنجيل برنابا، فيه مايؤيد معتقدات الاسلام بشأن المسيحية .

ثالثاً : كتب أخرى ، يستشعر القارئ لها بمدى الألم الذى يحسّه كاتبوها (مسيحيين كانوا أو مسلمين) ، إذ يروا أناسا التقوا على الايمان بالله وكتبه ورسله، حتى المسيح عليه السلام، وحتى الانجيل، ورغم ذلك ينتهون إلى فرقة أبعد ماتكون عن أى لقاء، فيقومون بما يعتقدون أنه واجب عليهم، من محاولة لجمع الشمل وتوحيد الكلمة، فنرى من المسيحيين من يحاول إثبات أن القرآن وبالتالى الاسلام، لا يتعارض مع معتقدات المسيحين الحالية، بينما نرى من المسلمين من يحاول التقريب بين المسيحية والاسلام، بالتسليم ابتداء بأن ثمة خلافات لابد من الاعتراف بها بينهما ، ولكن هذه الخلافات لايجوز أن تقف عائقا من أن تتعاون كلّ من الثقافتين المسيحية والاسلامية فيما تتفقان عليه، انتصارا لقضية التديّن جملة .

رابعاً : وهناك أخيرا طائفة أخرى من الكتب، وقعت فى يدى عند إجراء البحث، لا تستحق مجرد الاشارة اليها، إذ لا هم لكاتبيها سوى محاولة التعرض للدين الآخر وأتباعه بالهزء والتجريح، دون أن تقوم على أى أسس أو أصول للبحث، وهى لكل ذلك حقيقة بإسقاطها من أى اعتبار .

واستعراض هذه المناهج يكشف بسهولة أن ثمة ما يجمع بينها جميعا، ذلك أن كلّ كاتب - مسيحيًا كان أو مسلما - إنما يفترض ابتداء صحة معتقداته وما يؤمن به، ولهذا فإن أى منهج منها لايصلح سبيلا للوصول إلى الحقيقة، لأن افتراض الحقيقة على نحو معين ابتداء ليس فى أصول البحث عن

الحقيقة ذاتها إلاّ مصادرة على المطلوب ، ومن هنا فإن مثل هذه المناهج إن وجدت قبولا لدى من يدينون بدين كتابها ويؤمنون بمعتقداتهم، فإنها لاتجد لها أى حظ من القبول لدى أتباع الدين الآخر، ومن ذلك نستخلص أن أول سبيل للوصول الى الحقيقة هو البحث عنها مجردة عن أى افتراض مسبق لها.

وعلى هذا فإذ يؤمن المسيحيون بأن المسيح عليه السلام قد صلب، بينما يؤمن المسلمون بأنّه لم يصلب، فإنه للوصول إلى الحقيقة بين هذين الفرضين لا يجوز افتراض صحة أىّ منهما ابتداء ، وإنما يجب وضع الفرضين معا على قدم المساواة، ويجرى البحث بعد ذلك عن الحقيقة بينهما، على أن تتّبع فى هذا البحث قواعد سليمة وصحيحة، وهى لتكون كذلك ، ينبغى أن تكون مقبولة لدى المسيحيين والمسلمين على السواء، أو فى القليل لا يقبل من أى من الطرفين فى أصول البحث رفضها، وذلك بأن تكون واضحة الحيدة والجدّيّة، مستوجبة القبول بها عقلا ومنطقا.

والحال نفسه بالنسبة لطبيعة المسيح عليه السلام، فإن الوصول إلى الحقيقة بشأنها لا يكون بافتراض ألوهيته أو بافتراض انتفاء ألوهيته ابتداء ، وإنما يكون بأن نضع كلاً من هذين الفرضين معا على قدم المساواة، ثم نبحث عن الحقيقة بينهما وفق نفس ما تقدّم من قواعد للبحث .

وهذا المنهج فى البحث ، الذى يقوم على استهداف الحقيقة وحدها، دون افتراضها ابتداء على نحو معين، لايمكن أن يرفضه مسيحّى أو مسلم، أو فى القليل فإنّه لايقبل من أىّ منهما فى أصول البحث أن يرفضه، فكلّ إنما يؤمن بأن معتقداته تطابق الحقيقة وتتفق معها، ولا أحد يتصور أن مايؤمن به يخالف الحقيقة، إذن فلن يضار أحد أن يستهدف الحقيقة وحدها، ولو لم يفترضها

ابتداء على نحو مايؤمن به، فإن وجدها تتفق مع مايؤمن به زاده ذلك إيمانا ويقينا، وإن تبيّن أنها عكس ما كان يؤمن به أو يعتقده، كان فى هذا فائدة محققة له، فبذلك تتاح له الفرصة لاعتناق الايمان الصحيح المطابق للحقيقة، ولن يضار أحد إلا أن يؤمن بعكس الحقيقة ويظل جاهلا لذلك .

وإن الجميع ، من مسيحيين ومسلمين ، ليؤمنون يقينا بأنهم لابد محاسبون من ربّهم على أساس وجوب مطابقة ما يؤمن به كلّ منهم للحقيقة، ومقتضى العدل الالهى أنه لمحاسبة الجميع على هذا الأساس ، لايكفى أن يكون الوصول إلى الحقيقة ممكنا فحسب، بل ويجب أيضا أن يكون ميسّرا لكلّ من يريده، وإلا لما حقّ حساب أحد على هذا الأساس .

ولهذا فإن من أراد الحقيقة عليه أن يستهدفها وحدها، فإن فعل فليثق ويوقن أن الطريق إليها وإن بدا صعبا أو حتى مغلقا، فإنه فى واقعه لابد وأن يكون سهلا ميسّرا ، فذلك هو مقتضى العدل الأسمى ، العدل الالهى .

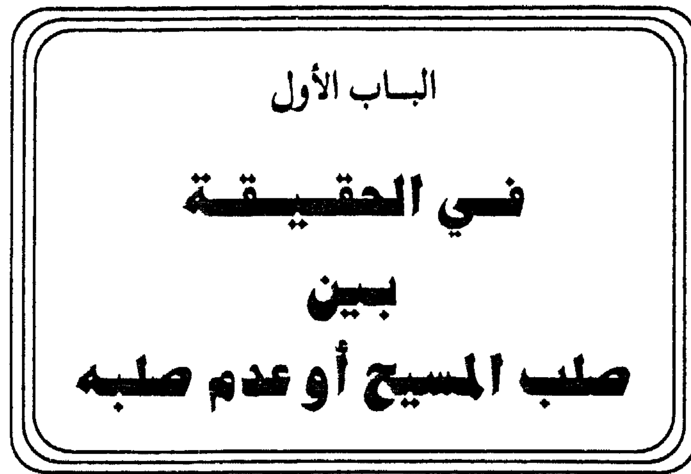
وإذ يلتقى المسيحيون والمسلمون على الايمان بالمسيح وبالانجيل، وبالكتب السماوية والرسل السابقين، بينما لا يؤمن المسيحيون بالقرآن ككتاب منزّل من عند الله ، فإن ذلك يستتبع فى أصول البحث التفرقة فى النظر إلى الانجيل وماسبقه من كتب سماوية من ناحية، وإلى القرآن من ناحية أخرى.

فإذ يتفق الطرفان على الايمان بالانجيل وبالكتب السماوية السابقة عليه، وكان بين أيدى المسيحيين اليوم كتاب يحوى الأناجيل وماسبقها من كتب سماوية يسمونه (الكتاب المقدس) ، فإنه بغضّ النظر عن عدم تسليم المسلمين بصحة هذا الكتاب فى جملته، فإن البحث يجب أن يقوم على افتراض صحته، وتلزم البيّنة من يقول بعدم صحة شئ مما ورد فيه .

وإذ لا يؤمن المسيحيّون بتنزيل القرآن من عند الله ، فإن البحث يجب أن يقوم فى شأنه على أساس وجوب إقامة البيّنة على تنزيله من عند الله للقول بذلك.

وهذان الأساسان بدورهما لايمكن لأى مسيحى أو مسلم أن يرفضهما، أو فى القليل لايقبل من أى مسيحى أو مسلم فى أصول البحث أن يرفضهما، فليس لمسيحى أن يعترض والأصل افتراض الصحة فى الكتاب المقدس مالم يقم الدليل على العكس، كما أن الأصل لزوم إثبات تنزيل القرآن من عند الله، فليس عليه أن يقبل ذلك بغير دليل عليه ، كما أن الأصل هو إيمان المسلم بالكتب السماوية السابقة على القرآن ، فإذا اعترض على شئ مما ورد فى الكتاب المقدّس المتداول ، لزمه الدليل والسند ، ومادام موقنا من تنزيل القرآن من عند الله فلن يعجزه الدليل على ذلك إن صحّ .

وعلى أساس من المنهج المتقدم ، نتناول فى البابين التاليين البحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه، وعن الحقيقة بين ألوهية المسيح وعدم ألوهيته .



البـاب الأول

في الحقيقة
بين
صلب المسيح أو عدم صلبه

على نحو ما سبق البيان، فإن البحث عن الحقيقة بين صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه يقتضى ألا نفترض الحقيقة فى هذا الشأن ابتداء على وجه معين، وإنما يتعين أن نضع كلاً من هذين الفرضين على قدم المساواة فى البحث، ثم نبحث عن الحقيقة بينهما .

ولازم ذلك أن نبين أولا تفاصيل كل من الفرضين موضوع البحث ، ونخصص لذلك الفصل الأول ، وعلينا بعد ذلك أن نبحث عن المعيار السليم للكشف عن الحقيقة بين كل من هذين الفرضين، وهو المعيار الذى ينبغى أن يكون مقبولا من كل من الطرفين ، أو فى القليل لا يقبل من أى منهما فى أصول البحث أن يرفضه، ونخصص للبحث عن هذا المعيار الفصل الثانى، ونصل بعد ذلك إلى تطبيق مانصل إليه من معيار فى الفصل الثانى على تفاصيل الفرضين موضوع البحث الموضحة فى الفصل الأول، وصولا إلى الحقيقة بينهما، ونخصص لهذا التطبيق الفصل الثالث ، ومن الطبيعى أن الحقيقة التى سننتهى إليها لن تتفق مع الفرضين معا، إنما لابد لها أن تخالف أحدهما، وقد تكون لأصحاب هذا الأخير إعتراضات على ما ننتهى إليه من حقيقة، ويقتضى كمال البحث عدم غض النظر عن مثل هذه الاعتراضات، ومن هنا تعيّن تخصيص فصل رابع لبحثها .

الفصل الأول

صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون وتخليص الله له ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون

وطبقا لعنوان هذا الفصل، فإنه يتعين تقسيمه إلى مبحثين، الأول: فى صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون، والثانى: فى تخليص الله للمسيح من الصلب ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون .

المبحث الأول

صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون

لما كانت الأناجيل الأربعة المتداولة حاليا تتضمن صورة مفصّلة لصلب المسيح ، فإن الصورة التى تستخلص من هذه الأناجيل هى بغير شك الصورة التى يؤمن بها المسيحيون بشأن صلب المسيح ، وفيما يلى سنحاول استخلاص هذه الصورة طبقا للنصوص الانجيلية ذاتها بقدر الامكان.

كان المسيح عالما بأنه سيسلّم ليصلب، فبهذا أخبر تلاميذه قائلا :

« تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلّم ليصلب»
(متى ص ٢٦ :٢)

«حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا. وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه.»
(متى ص ٢٦ :٣و٤)

و «.. ذهب واحد من الاثنى عشر [١] الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى إلى رؤساء الكهنة. وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمّه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضّة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلّمه .» (متى ص ٢٦ :١٤-١٦)

وبينما كان المسيح متّكئا ليلا مع تلاميذه الاثنى عشر يأكلون الفصح، أخبرهم المسيح بأن واحدا منهم سيسلّمه، فجزعوا، وسأله كلّ واحد منهم عما إذا كان هو هذا الذى سيسلمه، ويفهم من إجابة المسيح أنه يعرف أن يهوذا الاسخريوطى هو من سيسلّمه.

وينفرد إنجيل يوحنا فى هذه اللحظة بإيراد أربع اصحاحات كاملة هى الاصحاحات من الرابع عشر الى السابع عشر، ومعظمها عظات وتعاليم من المسيح لتلاميذه، لا محلّ هنا لبيانها، لانقطاع صلتها بموضوع الصلب .

وانصرف يهوذا لينفذ خيانته، ثم خرج المسيح مع باقى التلاميذ ووصلوا الى ضيعة يقال لها جثسيمانى، وهناك جلس التلاميذ ، بينما ابتعد عنهم المسيح قليلا ليصلّى ، وابتدأ يحزن ويكتئب، وقال أن نفسه حزينة جداً حتى الموت، ونفهم أنه يعلم بقرب لحظة تسليمه، فيجثو ويصلّى، يخرّ على وجهه، يخرّ على الأرض ، سائلا الله أو الآب أن يجيز عنه هذه الكأس، أن يعبر عنه هذه الكأس،

---

(١) الاثنا عشر تلاميذ المسيح وقد عرفوا بالاثنى عشر نسبة لعددهم ، ويعرّف انجيل متى أسماءهم قائلا: (وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه . الأول سمعان الذى يقال له بطرس. وأندراوس أخوه. يعقوب ابن زبدى ويوحنّا أخوه. فيلبّس وبرثولماوس. توما ومتّى العشّار . يعقوب ابن حلفى ولبّاوس الملقّب تدّاوس . سمعان القانونى ويهوذا الاسخريوطى الذى أسلمه.) (ص ١٠ :٢-٤)

وإذ كان فى جهاد كان يصلّى بأشدّ لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض.

وفى نفس هذا الوقت يغلب النوم تلاميذ المسيح ، فيذهب إليهم محاولا إيقاظهم دون جدوى ، ثم يكرر صلاته مرة ثانية، ثم ثالثة، وبعد كل مرة يحاول إيقاظهم بغير نتيجة .

وبعد أن كرّر المسيح صلاته هذه ثلاث مرات، فإنه فى النهاية، ولإيمانه وتقواه، يستسلم لما يريده الله أو الآب فيقول :

« .. إن أمكن فلتعبر عنّى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت.» (متى ص ٢٦ :٣٩)

أو **« .. كلّ شئ مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت .»** (مرقس ص ١٤ :٣٦)

أو **« .. إن شئت أن تجيز عنّى هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك.»** (لوقا ص ٢٢ :٤٢)

وتشير كل هذه الصلاة الحارة العميقة، وكل هذا الدعاء من المسيح فيها، إلى أن المسيح كان يسأل الله أن يخلّصه من هذه الكأس التى كان مقررا له أن يجرعها، وهى كأس الصلب، ويوضّح لنا هذا المعنى الرسالة الى العبرانيين (١) بقولها عن المسيح فى صلاته هذه :

«الذى فى أيّام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرّعات للقادر أن يخلّصه من الموت ..» (ص٥ :٧)

(١) وهى أحد أسفار العهد الجديد التى ألحقت بالأناجيل .

وكما هو واضح ، فإن صلوات المسيح وتضرّعاته انتهت بأن سلّم المسيح بمشيئة الله، فإن شاء أجاز عنه كأس الصلب، وإن لم يشأ لم يجزها عنه.

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الخصوص ، أن كلّ هذه الصلوات العميقة والتضرعات الحارة ، التى أجمعت على إيرادها أناجيل متى ومرقس ولوقا، وهو مايقطع بصحتها، قد خلا إنجيل يوحنا من أى إشارة إليها، وهو ما لاينال من صحتها بعد أن أجمعت عليها الأناجيل الثلاثة الأخرى .

وعندئذ يصل يهوذا الاسخريوطى ومعه جمع كثير، جند وخدام من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، يحملون سيوفا وعصيا، وكذلك مشاعل إذ كان الوقت ليلا، وكان يهوذا مسلّمه قد أعطاهم علامة ليعرفوا بها المسيح حسبما نعلم من أناجيل متى ومرقس ولوقا، التى تذكر لنا ثلاثتها عن يهوذا فى هذه اللحظة أنه تقدّم من المسيح فقبّله فألقى الجمع القبض على المسيح، أمّا إنجيل يوحنا فلا يشير الى أمر هذه العلامة وإنّما يقول :

«فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون. أجابوه يسوع الناصرى. قال لهم يسوع أنا هو. وكان يهوذا مسلّمه أيضا واقفا معهم. فلما قال لهم إنّى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضا من تطلبون. فقالوا يسوع الناصرى. أجاب يسوع قد قلت لكم إنّى أنا هو . ..» (ص ١٨ : ٤-٨)

وطبقا لانجيل يوحنا فإن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا بعد ذلك على المسيح وأوثقوه . (ص ١٨ : ١٢)

وتشير الأناجيل إلى أنه قبل إلقاء القبض على المسيح إستلّ واحد من الحاضرين– وهم تلاميذ المسيح – سيفـه، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، ويعـرفّنا إنجـيل يوحـنّا وحـده بأن هذا التلميذ هو سمعان بطرس، وأن إسم العبد المذكور ملخس ، بينما يقول إنجيل لوقا وحده أن المسيح لمس أذن هذا العبد فأبرأها.

ويمضي الجمع بالمسيح إلى قيافا رئيس الكهنة ، وذلك طبقا لرواية أناجيل متى ومرقس ولوقا، أو إلى حنّان لأنه كان حما قيافا أولا طبقا لرواية إنجيل يوحنّا ، ثم أرسله حنّان الى قيافا بعد ذلك.

وتخبرنا الأناجيل بأن جميع التلاميذ هربوا بعد إلقاء القبُض على المسيح، إلا أن بطرس تبعهم عن بعد ليرى ماسيكون من أمر المسيح، لكن صلته بالمسيح كادت أن تنكشف، فاضطر أن ينكر هذه الصلة أكثر من مرة، وانصرف بعد ذلك.

ويخبرنا إنجيل متى عما دار مع المسيح، حيث اجتمع الكتبة والشيوخ عند قيافا فيقول:

(وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه. فلم يجدوا. ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا. ولكن أخيرا تقدّم شاهدا زور. وقالا. هذا قال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه. فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء. ماذا يشهد به هذان عليك. وأما يسوع فكان ساكتا. فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع

أنت قلت. وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء.) «ص٢٦: ٥٩-٦٤».

وانتهي المجتمعون إلى أنه قد جدّف ومستوجب الموت، وفى الصباح تشاوروا ليقتلوه، وأوثقوه ثم مضوا به الى بيلاطس البنطى .

وتخبرنا أناجيل متى ومرقس ولوقا بأن بيلاطس البنطى سأل المسيح (أأنت ملك اليهود)، فكان رده (أنت تقول)، ويخبرنا إنجيلا متى ومرقس بأن بيلاطس سأله بعد ذلك أما يجيب بشئ عما يشتكون به عليه، فسكت ولم يجب حتى تعجّب الوالى، ويضيف إنجيل متى أنه تعجّب جداً، أما إنجيل لوقا فيذكر أن بيلاطس أرسل يسوع إلى هيرودوس عندما علم أنه جليلى، فسأله هيرودوس بكلام كثير ولكنه لم يجبه بشئ.

أما إنجيل يوحنّا فعلى العكس من ذلك، إذ يذكر أن المسيح أخذ يرد على كل أسئلة بيلاطس، حتى تركه الأخير وخرج .

وتتفق الأناجيل الأربعة على أن بيلاطس لم يجد علّة فى المسيح، وكان معتادا فى كل عام أن يطلق للجمع الأسير الذى يطلبوه، وحرض رؤساء الكهنة والشيوخ الجمع على أن يطلبوا أسيرا يدعى باراباس ويهلكوا المسيح، وإذ سأل بيلاطس الجمع عمّن يريدون أن يطلق لهم طلبوا باراباس ، ويستطرد إنجيل متى فى ذكره لهذه الواقعة:

(قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح. قال له الجميع ليصلب. فقال الوالى وأى شر عمل. فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب.) «ص ٢٧: ٢٢و٢٣»

وفى هذا يقول إنجيل مرقس :

(فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود. فصرخوا أيضا اصلبه. فقال لهم بيلاطس وأى شرّ عمل. فازدادوا جداً صراخا اصلبه.) «ص١٥ :١٢-١٤»

وفى هذا أيضا يقول إنجيل لوقا :

(فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا وأطلق لنا باراباس. وذاك كان قد طرح فى السجن لأجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل. فناداهم أيضا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع. فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه. فقال لهم ثالثة فأىّ شرّ عمل هذا. إنى لم أجد فيه علة للموت. فأنا أؤدبه وأطلقه. فكانوا يلجّون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب.) «ص٢٣ :١٨-٢٣»

وأخيرا يقول إنجيل يوحنا فى هذا :

(ولما قال هذا خرج أيضا إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علّة واحدة. ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح. أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود. فصرخوا أيضا جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس.) «ص١٨ :٣٨-٤٠»

ونزولا على هذه الارادة للجميع، يطلق لهم بيلاطس من طلبوه، أما المسيح فجلده وأسلمه ليصلب، بعد أن غسل يديه أمام الجميع معلنا أنه برئ من دم هذا البار .

ويسخر الجنود من المسيح ويستهزئون به، وطبقا لأناجيل متى ومرقس ولوقا

فإنهم قد سخّروا رجلا قيروانيا يدعى سمعان فحمل صليب المسيح، أما طبقا لانجيل يوحنا فإن المسيح هو الذى حمل صليبه، ولما وصلوا إلى الموضع الذى يقال له الجمجمة صلبوه هناك، وصلبوا معه لصّين، واحد عن يمينه والآخر عن يساره.

وكان المجتازون يسخرون من المسيح وهو على الصليب، وكذلك رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب، وكانوا يقولون أنه اتّكل على الله فلينقذه إن أراده، وطبقا لانجيلى متى ومرقس كان اللصان اللذان صلبا معه يعيّرانه أيضا، أما طبقا لانجيل لوقا فإن أحدهما فقط هو الذى عيرّه ، أما الآخر فقد عاتب هذا الذى عيّره على ذلك .

ويذكر إنجيلا متى ومرقس أن المسيح صرخ وهو على الصليب قائلا:
(**إيلي إيلي لما شبقتنى أى إلهي إلهي لماذا تركتنى.**) «متى:ص٢٧ :٤٦»

(**إلوى إلوى لما شبقتني. الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى.**) «مرقس ص١٥ :٣٤»

ويذكر إنجيلا متى ومرقس بعدئذ أن واحدا ركض وأخذ إسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقى المسيح وهو على الصليب، بينما اعترض آخرون على ذلك، وطلبوا أن يتركه ليروا ما إذا كان الله سيخلّصه، وقد أشار إنجيل يوحنا إلى واقعة الخلّ هذه هو الآخر .

وبعدئذ يسلم المسيح الروح، وبهذا يكون قد تم صلبه فداء لخطيئة من يؤمن بذلك من البشر، طبقا لما يعتقده أغلب المسيحيين .

المبحث الثانى

تخليص الله للمسيح ورفعه إليه

كما يعتقد المسلمون

القرآن هو سند إيمان المسلمين بتخليص الله للمسيح من الصلب ورفعه إليه، إلا أنه لم ترد فى القرآن الصورة التفصيلية الكاملة لذلك، فكل ماورد فيه فى هذا الشأن .

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلاّ اتّباع الظّن وماقتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما.﴾ «النساء:١٥٧و١٥٨»

و ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال ياعيسى إنّى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون.﴾ «آل عمران ٥٤و٥٥»

وفيما عدا هذه الآيات القليلة والحاسمة فى نفس الوقت، وما ذهب إليه مفسرون من أن الذى صلب على أنّه المسيح هو يهوذا الاسخريوطى، فإنه لاتوجد فى القرآن أية تفاصيل أخرى عن ذلك.

ونفهم من القرآن أنه كانت هناك مؤامرة على المسيح :

﴿ومكروا﴾

ولكن قدرة الله أقوى من قدرة المتآمرين :

﴿ومكر الله والله خير الماكرين﴾

فإذ شرع المتآمرون فى تنفيذ مؤامرتهم أحبط الله عملهم بأن توفّى المسيح ورفعه اليه :

﴿ إذ قال ياعيسى إنى متوفيّك ورافعك الى﴾

ويحسب المتآمرون وقد صلبوا آخر أنهم قد صلبوا المسيح نفسه، ولكن الحقيقة أنهم ماقتلوا المسيح وماصلبوه ولكن شبّه لهم ذلك :

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبّه لهم﴾

ثم إن الذين قاموا بالصلب اختلفوا فى حقيقة شخص من صلب، فكانوا فى شك مما إذا كان الذى صلبوه هو المسيح نفسه أو آخر غيره، وما قالوا بأنهم صلبوا المسيح إلا اتباعا للظن، ولم يقتلوه يقينا، بل إن الله قد رفعه إليه :

﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتّباع الظن وماقتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه﴾

وذهب مفسرون إلى أن الذى صلب على أنه المسيح كان تلميذه الذى خانه يهوذا الاسخريوطى .

هذا هو كل ماورد فى القرآن من تفاصيل للصورة الاسلامية، وما ذهب إليه مفسرون بشأن تحديد شخص المصلوب، وكما هو واضح، فإن هذه الصورة

تكاد أن تكون مجرد إعلام بالمؤامرة على المسيح وتخليص الله له برفعه إليه، وصلب آخر بدلا منه، وقد خلت من كل ماعدا ذلك من تفاصيل تلك الواقعة، والتى حفلت بكل دقائقها الصورة المسيحية، ولا شك أن مانحن بحاجة إليه هو صورة تفصيلية تقارب إن لم تماثل فى دقتها الصورة المسيحية، لأن ذلك مما يسهّل تطبيق ماقد نصل إليه من معيار للكشف عن الحقيقة فى الفصل التالى.

وهـــنا، فإننـا لانجـــد لنا معينا للوقوف على هذه التفاصيل إلا فى الأناجيل ذاتها، وهذا ليس بغريب، ذلك أنه وإن بدا للوهلة الأولى أن كلا من الصورتين المسيحية والاسلامية عكس الأخرى، إلا أن الواقع غير ذلك تماما، فالصورتان تتفقان على واقعة التآمر على المسيح، بل وأيضا على واقعة الصلب نفسها، وكل ماتختلفان فيه هو تحديد شخص المصلوب، فبينما يؤمن المسيحيون بأنه كان المسيح نفسه، يؤمن المسلمون بأن المسيح لم يصلب، وإنما توفاه الله ورفعه اليه، وصلب آخر بدلا منه على أنه هو المسيح نفسه، وذهب مفسّرون إلى أن هذا الآخر كان يهوذا الاسخريوطى، وفيما عدا الخلاف حول حقيقة شخص المصلوب فإن خلافا آخر لايثور بين الصورة الاسلامية وبين ماورد فى الأناجيل من تفاصيل.

واستخلاص تفاصيل الصورة الاسلامية من الأناجيل أمر يؤكد من كمال هذا البحث، فقد قلنا من قبل أن البحث يجب أن يقوم على أساس افتراض صحّة الكتاب المقدّس ، على أن تلزم البيّنة من يدّعى بعدم صحة شئ مما ورد فى أسفاره، وإذ لم يرد فى الاسلام مايناقض التفاصيل الواردة فى الأناجيل فى شأن واقعة الصلب، فليس ثمة ما يمنع من إدخال الصورة الاسلامية فى إطار ماورد فى الأناجيل من تفاصيل، مع الالتزام بما قطع به القرآن من تخليص الله للمسيح

بأن توفاه ورفعه اليه، وصلب آخر بدلا منه ذهب مفسّرون الى أنه يهوذا الاسخريوطى، ولا يقال هنا بطبيعة الحال أننا بذلك نناقض ما التزمنا به من افتراض صحة الكتاب المقدس مالم تقم البينة على غير ذلك، لأننا هنا فى مجال بيان تفاصيل الصورة الاسلامية فحسب.

وتطبيقا لما تقدّم ، وإذ نمعن النّظر في تفاصيل الصورة المسيحية وصولا إلى تحديد اللحظة التى يمكن أن يكون الله قد خلّص المسيح فيها، فإننا نستطيع أن نتبين بسهولة أنه منذ ذهب المسيح مع تلاميذه الى جثسيمانى حيث أخذ يصلّى وحتى لحظة وصول يهوذا ومن معه للقبض عليه، فإنه لايبدو هناك ثمة مجال خلال كل ذلك لأن يكون قد رفع، لأن هذا الذى ذهب مع التلاميذ وأخذ يصلى، ظل على حاله من الصلاة حتى وصول يهوذا الاسخريوطى ومن معه، كما نستطيع أن نتبين بسهولة أيضا أن هذا الذى قبض عليه على أنه المسيح وحوكم وصلب، لا مجال طوال هذه الفترة السابقة على صلبه لأن يكون قد رفع وصلب غيره، وبذلك فإنه لاتوجد فى كل هذه التفاصيل من لحظة مناسبة وممكنة ومتصورة لتخليص المسيح برفعه وصلب آخر بدلا منه ، إلا لحظة محاولة القبض على المسيح بوصول يهوذا الاسخريوطى ومن معه إلى المسيح، ففى هذه اللحظة يتوفى الله المسيح ويرفعه إليه، بينما يقبض على يهوذا الاسخريوطى فى نفس الوقت ويحاكم ويصلب على أنه المسيح نفسه، وهذه الصورة لا تناقض الآيات القرآنية فى هذا الصدد أو ما ذهب اليه مفسّرون فى شأن تحديد شخص المصلوب ، بل تطابقهما .

وهكذا فإننا نخلص من هذا الفصل، إلى اتفاق الصورة المسيحية مع الصورة الاسلامية فى كل التفاصيل إلى لحظة وصول يهوذا الاسخريوطى ومن معه

للقبض على المسيح عليه السلام، ففى الصورة المسيحية يلقون القبض على المسيح حيث يحاكم ثم يصلب، بينما فى الصورة الاسلامية يتوفى الله المسيح فى هذه اللحظة ويرفعه إليه، ويقبض على يهوذا الاسخريوطى على أنه المسيح نفسه، حيث يحاكم ويصلب بعد ذلك على هذا الأساس ، وفيما عدا الاختلاف حول شخص من قبض عليه وحوكم وصلب، تتفق الصورتان المسيحية والاسلامية بعد ذلك تمام الاتفاق .

الفصل الثانى

المعيار الصحيح للكشف عن الحقية بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون وتخليص الله له ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون

يستوجب هذا الفصل تقسيم البحث فيه الى مبحثين :

الأول : ويخصص لمحاولة الوصول إلى المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة موضوع هذا الباب .

والثانى : ويخصص لتحديد كيفية تطبيق ما نصل إليه من معيار فى المبحث الأول للكشف عن هذه الحقيقة .

المبحث الأول

تحديد المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة

يبدو للوهلة الأولى أنه من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى معيار صحيح للكشف عن الحقيقة، بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون، وتخليص الله له ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون، ووجه الصعوبة هنا أن الأصول السليمة للبحث توجب أن يكون هذا المعيار مقبولا لدى كلّ من المسيحيين والمسلمين على السواء، أو فى القليل لا يقبل من أى منهم فى أصول

البحث أن يرفضه، ولكل من الطرفين أصول للبحث تنتهى بهما إلى طرفى نقيض فى شأن موضوع البحث فى هذا الباب ، ولو اعتمدنا أى معيار منها فاننا يجب أن نتوقّع من الطرف الآخر أن يرفضه.

على أن الأمر ليس مستحيلا، وما كان له أن يكون كذلك.

لقد سبق القول بأن المسيحية والاسلام التقيا على الايمان بالمسيح عليه السلام وبالانجيل، وبكل الرسل والكتب السماوية السابقة عليهما، وترجم المسيحيون هذا الايمان بأن جمعوا الكتب السماوية السابقة على المسيح، وأطلقوا عليها إسم العهد القديم، وضموا إليها الأناجيل وما ألحق بها تحت إسم العهد الجديد، وجعلوا من العهدين معا الكتاب المقدس ، وذلك بعكس الحال بالنسة للمسلمين، فقد اكتفوا بالقرآن والأحاديث النبوية ، وعزفوا عزوفا شبه كامل عن الكتب السماوية السابقة المتداولة على سند من عدم صحتها.

وقد ترتّب على اختلاف نظر المسيحيين والمسلمين إلى المتداول من الكتب السماوية السابقة على القرآن، إختلاف بعيد المدى فى دراسات وأبحاث الطرفين، فبينما كادت الصلة بين هذه الكتب والأبحاث الاسلامية أن تنقطع إلا فيما ندر من الكتب والأبحاث، فإن الأبحاث والكتب المسيحية تكاد ألا يخلو واحد منها من الاشارة إلى كتب العهد القديم، فى محاولة للربط بينها وبين كل أحداث العهد الجديد، حتى أنهم جعلوا معنى النبوة فى العهد القديم التنبؤ عن المسيح عليه السلام .

ولم تبدأ محاولات الربط بين ماورد فى العهد القديم من آيات باعتبارها نبوءات لما سيحدث فى العهد الجديد فى كتابات المسيحيين، وإنما نجد هذا الربط فى أقوال وردت على لسان المسيح فى الأناجيل المتداولة، وفى أقوال لمؤلفى الأناجيل أنفسهم وردت فى أناجيلهم.

فمما نسب إلى المسيح قوله فى الأناجيل فى هذا الصدد :

(فقال له يسوع ردّ سيفك إلى مكانه. لأن كلّ الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون. أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة. فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون.) «متى ص٢٦ :٥٢- ٥٤»

و (أجاب يسوع قد قلت لكم إنّي أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون. ليتم القول الذى قاله إن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا.) «يوحنا ص١٨ :٨و٩»

ومما قاله مؤلفوا الأناجيل فى هذا الصدد فى أناجيلهم :

(ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. لكى يتم ماقيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة.) «متّى ص٢٧ :٣٥»

و (صلبوا معه لصّين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره. فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة.) «مرقس ص ١٥ :٢٧و ٢٨»

و (ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسما. وأخذوا القميص أيضا. وكان القميص بغير خياطة منسوجا كلّه من فوق. فقال بعضهم لبعض لا نشقّه بل نقترع عليه لمن يكون. ليتمّ الكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر.) «يوحنا ص ١٩ :٢٣و٢٤»

وواضح من الآيات المتقدّمة أنها تشير إلى أن ما تذكره من وقائع قد سبق التنبؤ بها فى الكتب السماوية السابقة ، فهذا ما تعنيه فيها عبارات (فكيف تكمل

الكتب) و (ليتم القول الذى قاله) و (لكى يتم ماقيل بالنبى) و (فتم الكتاب القائل) و (ليتم الكتاب القائل)، ذلك أن الكتب المقصودة هنا هى الكتب السماوية السابقة، وماقيل بالنبى هنا أو القول الذى قاله هو مانسب لنبى فى تلك الكتب أنه قاله، والآيات السابقة بذلك إنما تشير إلى أن هذا الذى كان يجرى فى عهد المسيح هو ماسبق وتنبأ به الأنبياء فى الكتب السماوية قبله .

ومثل هذه الآيات فى العهد الجديد، التى تربط بين ماجرى فى عهد المسيح من أحداث ، وبين النبوءات الواردة فى العهد القديم، هى بغير شك الأساس الذى يستند إليه المنهج المسيحى فى البحث القائم على الربط بين نبوءات العهد القديم، وبين ماجرى فى عهد المسيح، وهذا المنهج تبلغ من أهميّته أنه لايكاد كتاب من الكتب المسيحية يخلو من تطبيق له، بل إن العديد من الكتب يكاد أن يقتصر على البحث فى هذه النبوءات وإثبات تحققها .

ومن هذه الكتب كتاب (المسيح فى جميع الكتب)[1] ، ويكشف عنوان هذا الكتاب عن موضوعه، فهو يبحث فى النبوءات عن المسيح فى كتب العهد القديم، مضيفا ما ورد عنه فى الأناجيل وما ألحق بها من أسفار العهد الجديد.

ومنها أيضا كتاب (رب المجد)[2] ، وهو يكاد أن يتطابق مع الكتاب السابق فى منهجه .

ومنها كذلك كتاب (المسيح فى إشعياء)[3] ، وكتاب (هل تنبأت التوراة

(١) وهو من تأليف أ.م. هودجكن وصادر عن مركز المطبوعات المسيحية ببيروت .

(٢) وهو من تأليف جماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادى القاهرانى وصادر عن مركز المطبوعات المسيحية ببيروت .

(٣) وهو من تأليف الدكتور ف. ب. ماير وتعريب القس مرقس داود ونشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

عن المسيح)[١] ، وفى عنوان كل من هذين الكتابين ماينبئ عن مضمونه.

ويلتقى إجماع المسيحيين فى هذا المنهج على أن صلب المسيح قد سبق التنبؤ به في العهد القديم، وبصفة خاصة فى المزمور الثانى بعد العشرين من سفر المزامير .

وهكذا نصل إلى ما نعتقد أنه المعيار الصحيح، والمقبول فى أصول البحث، للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه، ألا وهو ما ورد عن ذلك من نبوءات فى العهد القديم .

ولاشك أن هذا المعيار يلقى القبول لدى المسيحيين، لأن واقع الأمر أن هذا المعيار هو المنهج الذى تقوم عليه معظم دراسات المسيحيين وأبحاثهم فى موضوع البحث، وهو نفسه المعيار والمنهج الذى ينتهون منه إلى أن العهد القديم قد تنبأ بصلب المسيح، وذلك على نحو ما امتلأت به كتبهم وأبحاثهم ، ولذلك فلابد أنهم به يرحبون .

أما بالنسبة للمسلمين، فلا أحسبهم إلا مترددين إزاء هذا المعيار، ولقد يبدو لهم العذر فى ذلك، فإذا كان هذا هو معيار المسيحيين أنفسهم ومنهجهم الذى ينتهون منه إلى أن العهد القديم قد تنبأ بصلب المسيح، فإن قبول هذا المعيار يبدو بمثابة تسليم البحث لأحد الطرفين للحكم فيه بأسلوبه ومعياره.

على أن للمسيحيين رد منطقى على مثل هذا الاعتراض، فهم يقولون أن التوراة التى وردت بها آيات النبوءات هذه كانت موجودة قبل مجئ المسيح بمئات

(١) وهو من تأليف القمص سرجيوس ومطبوع بالمطبعة التجارية الحديثة بالسكاكينى بالقاهرة .

السنين، وكان هناك العديد من نسخها فى كل مكان، وليس من المعقول أن يكون بعض المسيحيين قد دونوا هذه النبوءات فى نسخ التوراة جميعا، لاستحالة جمع النسخ الموجودة فى كل مكان، وإذا فرض أن بعض المسيحيين دونوا هذه النبوءات فيما وقع بين أيديهم من نسخ التوراة، لاكتشفت جريمتهم وأعدمت هذه النسخ فى الحال، ولعوقب هؤلاء بأقسى العقوبات [١]، وبديهى أن اليهود لن يزوروا التوراة بتدوين نبوءات غير صحيحة فى توراتهم إرضاء أو استرضاء للمسيحيين .

وهذا الرد المنطقى معقول ومقبول، ولما كان الأصل إيمان المسلمين مثل المسيحيين بكتب العهد القديم ، فإنه يجب التسليم بصحة مايرد فيها من نبوءات سواء من قبل المسيحيين أو المسلمين .

وبذلك نخلص من هذا المبحث إلى أن نبوءات العهد القديم هى معيار صحيح للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون، وتخليص الله له ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون، وهى معيار صحيح ومقبول عند المسيحيين ، ولايقبل من المسلمين فى أصول البحث رفضه .

(١) كتاب (قضية صلب المسيح بين الدفاع والمعارضة) من تأليف السيد/ عوض سمعان وصادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، صفحة ٧٩ .

المبحث الثانى

كيفية الاحتكام إلى نبوءات العهد القديم للكشف عن الحقيقة

طبيعى أن نبدأ بدراسة كيفية تعرف المسيحيين على النبوءات فى العهد القديم وربطهم بينها وبين أحداث العهد الجديد، وصولا إلى الأسلوب الصحيح والسليم للتعرّف على ماورد فى العهد القديم من نبوءات، ثمّ الاحتكام إليها للكشف عن الحقيقة التى نحن بصدد البحث عنها.

ولعلّ أول مايجدر ذكره فى هذا الصدد هو مانسب إلى المسيح فى إنجيل يوحنا من قوله :

(فتّشوا الكتب ... وهى التى تشهد لى.) (ص٥:٣٩)

فالمسيح هنا يطلب البحث فى الكتب السماوية السابقة، لأنها تشهد له، أى تتنبأ عنه، ولذلك ينظر المسيحيون إلى كتب العهد القديم على أنها كتب تتنبأ عن المسيح، وفى هذا نقرأ فى كتاب (هل تنبأت التوراة عن المسيح) الذى سلفت الاشارة إليه فى الصفحات ٦و٧و٢٨ منه:

(فالمسيح ساطع فى كلّ الكتاب المقدّس فى إشراق دائم وليس كالشمس التى تغيب عن نصف الأرض ليلا إذ ليس فى التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح بل يشع اسمه وشخصه وصفاته وأعماله وظروفه وأحواله فى التوراة وكتب الأنبياء وفى ثنايا سطورها، نجد المسيح فى كل جملة وفى كل إصحاح وفى كل سفر من أسفارها وماحروفها وكلماتها إلا خطوطا واظلالا لصورة المسيح المجيدة.) (ص٦)

و (ونحن المسيحيين لانهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح.) «ص٧»

و (في سفر التكوين كان فجر النبوة وفي الأسفار التالية كان تدرجها في الارتفاع حتى تكبدت السماء في سفر المزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليا في كمال مجده كأنه الانجيل يتكلم عن يسوع من كل مناحي حياته عن أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله . تكلم الأنبياء عن المسيح فأشار كل واحد منهم اليه من ناحية أو نواح أما سفر المزامير فكان كالهالة أحاط بكوكب يسوع فتكلم حتى عن احساساته العميقة وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه أكثر من أي نبي آخر. ويمكننا القول أن سفر المزامير هو سفر مسيا الخاص. بدليل أن الاقتباسات التي اقتبسها كتبة العهد الجديد من سفر المزامير هذا قد بلغت الى نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله.) «ص ٢٨»

وهذا التركيز على النبوءات الواردة في سفر المزامير ، باعتباره يتضمن أغلب النبوءات الواردة عن المسيح هو أمر ملحوظ بصفة عامة في كتابات المسيحيين، وفي ذلك نقرأ في كتاب (رب المجد) الذى سلفت الاشارة إليه أيضا، في صفحة ٨٤ منه قوله :

(وكلها – والمقصود هو المزامير – روحية نافعة لتسبيح الرب في أوقات العبادة فهي تقرأ بالترتيب على مدار الشهر في بعض الكنائس ويصلي بها العباد في مخادعهم ويرتلها المسيحيون في كنائسهم ومنازلهم منظومة في كتب خاصة بها. ولم يوجد كتاب ملئ بالاشارات والرموز والنبوات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا. وعليه فأهميته في نظر اللاهوتيين تفوق الوصف.)

فإذا كان لسفر المزامير كل هذه الأهميّة عند المسيحيين بالنسبة للنبوءات عن المسيح، فإن أهميته تتضح بصفةخاصة بالنسبة للنبؤات عن واقعة الصلب عندهم، فقد وجدنا فى المبحث الأول من هذا الفصل إنجيلى متى ويوحنا يشيران إلى واقعة الاقتراع على لباس المصلوب على أنها ما سبق التنبؤ به فى الكتاب القائل:

(**اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة.**) «متى ص ٢٧:٣٥ ويوحنا ص ١٩:٢٤»

والنبوءة المقصودة هنا ، هى تلك التى وردت فى المزمور الثانى والعشرين، وهو مزمور لداود النبى عليه السلام، وهى تقول

(**يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون.**) «١٨»

ولهذه الأهمية البالغة لسفر المزامير بالنسبة للنبوءات عن المسيح عند المسيحيين، خاصة بالنسبة للنبوءات عن صلبه، فإنه لزام علينا أن نجعل من سفر المزامير عماد بحثنا فى هذا الشأن، فإذا وجدنا فيه حاجتنا كان بها، وإلاّ لزم البحث فى باقى أسفار العهد القديم، مهما استعصى ذلك على الجهد الفردى.

قد يعترض مسلمون على هذا التحديد الأولى لمجال البحث، فسيرون أننا بذلك لانكتفى بأن نسلّم البحث لمنهج المسيحيين فحسب، بل إننا أيضا نحدد نطاقه بما يخرجون منه بما يؤيد معتقداتهم، ومع ذلك فإنى لا أرى فى أصول البحث مايمنع هذا التحديد الأولى، فلنبوءات أى سفر من أسفار العهد القديم نفس قيمة نبوءات الأسفار الأخرى، ولايمنع من الاكتفاء بالنبوءات فى المزامير إلا أن تقصر هذه النبوءات عن الكشف عن الحقيقة المطلوبة .

وقد يبدو غريبا أن نخصص هذا المبحث لبيان كيفية الاحتكام الى نبوءات العهد القديم، ذلك أن النبوءة لغة هى الاخبار عن الغيب أو عن المستقبل بوحى من الله، والأصل أن الكتب السماوية موحى بها من الله، وبديهى أن مايعتبر نبوءة فيها بحيث يمكن الاحتكام إليه هو مايتضمن منها إخبارا عن الغيب أو عن المستقبل، ولذا لايبدو ثمة محل لهذا المبحث .

على أن الأمر ليس بهذا اليسر الظاهر، فالمسيحيون قد توسعوا فيما يعتبر نبوءة، حتى أنهم لم يستلزموا فيها أن تتضمن إخبارا صريحا بغيب أو مستقبل، فهناك مثلا أقوال وردت فى العهد القديم تصف أمورا معينة كأنها تحدث لقائليها أو تقع أمام أبصارهم، بينما الواقع المؤكد أنها لم يقع شئ منها لقائليها أو أمام أبصارهم، ثم تقع هذه الأمور تماما بعد ذلك فى عهد المسيح على النحو الذى وردت به على لسان قائليها، ومن ذلك ما ورد فى المزمور الثانى والعشرين على لسان داود النبى من وصف لأحداث واقعة صلب وكأنها تحدث له شخصيا، بينما داود النبى لم يصلب، وإنما جرت أحداث واقعة الصلب فى الأناجيل فى عهد المسيح على نحو يكاد أن يطابق ماذكره داود فى هذا المزمور، حتى أن مؤلفى الأناجيل أنفسهم أشاروا إلى هذا المزمور باعتبار أنه يتنبأ عما يذكرونه من بعض أحداث الصلب، ولذلك يعتبر المسيحيون ماورد فى هذا المزمور نبوءة عن صلب المسيح، بالرغم من أنه لم يرد فى صورة إخبار عن غيب أو مستقبل .

على أن المسيحيين لم يكتفوا توسعا فى اعتبار آيات ما نبوءات عند هذا الحد، وإنما هم فى الواقع تجاوزا ذلك إلى غير ماحد، حتى وصلوا إلى حدود لايمكن قبولها فى أصول البحث، لقد فتحوا فى النبوءات بابا أسموه باب الرمز، واعتبروا العديد من آيات العهد القديم رموزا لأمور وقعت فى عهد المسيح، ترقى فى تقديرها عندهم الى مرتبة النبوءة نفسها، إن لم يعتبروها نبوءات بالفعل .

وقد فتح هذا الباب الأخير على مصراعيه، وأخذ كل من يكتب في المسيحية يحاول أن يستخرج بنفسه مايعن له من رموز، بغير أي ضابط، حتى أن من المسيحيين أنفسهم من قال أن هذه الطريقة في دراسة الكتاب المقدس أسيء وأبهظ استعمالها إلى حد كبير في بعض الأماكن [(١)].

وفي العديد من التطبيقات التي يطالعها المرء لهذه الطريقة، يستحيل على الباحث تصور الرمز المدّعى به فيها، ومن باب أولى تصور قصد التنبؤ منها، فمن ذلك مثلا ما نقرأه في كتاب (المسيح في جميع الكتب) الذي سلفت الاشارة إليه، صفحة ٢٣٧ منه، عن سفر نشيد الأنشاد ، قول مؤلفه تحت عنوان (الفداء):

(الفداء: تظهر حقيقة الفداء في هذا السفر مكنى عنها بالجمال ولكنه ليس جمال العروس بل جمال العريس معكوسا عليها ببهائه الساطع. فقالت «أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان» أي سوداء كخيام عرب البادية المصنوعة من شعر الماعز، وجميلة كأستار الهيكل. فمن أين أتاها هذا الجمال وهي سوداء. فأجيب : ألقاه عليها عريسها. وعلى ذلك قوله تعالى مخاطبا شعبه المختار:«خرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك». برنا الذاتي هو في الحقيقة كخرقة بالية لاتزين ولاتستر، ولكننا لبسنا رداء بره الكامل.

يقول الحبيب خطابا لعروسه «ياحمامتي في محاجئ الصخر» أي مستترة في معقل «صخر الدهور». «مع المسيح صلبت» فمتّ عن العالم فأكد لها مكرراً

(١) كتاب (كيف تدرس الكتاب المقدس) للدكتور ر.أ. ترّى، تعريب مرقس فهمي فرج، وهو من مطبوعات مطبعة الأمانة ٣ شارع جزيرة بدران بشبرا بالقاهرة، صفحة ٧٢ .

« أنت جميلة » هاأنت جميلة يا حبيتي « لادنس فيك » . أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي لا يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة ممجيدة لادنس فيها ولاغضن أو شيء من مثل ذلك بأن تكون مقدسة وبلاعيب « ا ف ٥:٢٥-٢٧ »٠)

ولايحتاج الأمر إلى تعليق، ولا حتى إلى أمثلة أخرى، ذلك أننا لو تتبعنا الأمثلة العديدة فى هذا الصدد لتاه العقل واحتار، ولما أمكن على الاطلاق تصور استخراج أى نبوءات مما اعتبر رموزا، وعلى أى حال فأيا كان وجه النظر إلى طريقة الرموز هذه ، فإنها لاتصلح معيارا للكشف عن الحقيقة التى نحن بصدد البحث عنها، ذلك أن أي واقعة أيا كانت، وأيا كان بعدها عن الكتاب المقدس، يمكن استخراج رموز لها من الكتاب المقدس بإعمال هذه الطريقة، ما دام أنها لا ضابط لها.

وبذلك فإنه لايصلح كنبوءات فى العهد القديم تتخذ معيارا للكشف عن الحقيقة سوى نوعان من النبوءات ، الأولى: هى تلك التى ترد بمعنى الاخبار صراحة عن الغيب أو المستقبل، وهى أهم النوعين بطبيعة الحال، والثانية هى تلك التى تصف أمورا معينة كأنها تحدث لقائليها أو تقع تحت أبصارهم، دون أن يقع منها شئ لهم أو تحت أبصارهم، ثم تقع تماما بكل تفاصيلها فى عهد المسيح، إذ لايكون للوحى بمثل هذه الآيات معنى فى هذه الحالة، إلا أن يكون قد قصد بها التنبؤ بهذه الأمور التى ذكرتها .

وتبقى بعد ذلك آيات أخرى لاتندرج تحت أى من الحالتين المذكورتين، إلا أن أسفار العهد الجديد حينا، أو المسيحيين حينا آخر، اعتبروها نبوءات عن أحداث الصلب، ولهذا السبب يقتضى كمال البحث عدم اغفال هذه الآيات .

الفصــل الثالث

الاحتكام إلى ما ورد فى المزامير من نبوءات للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح وتخليص الله له

ويقتضى هذا الفصل تقسيمه الى مبحثين، الأول: ويخصص للبحث عن النبوءات فى المزامير، نتعرف فيه على ما فى المزامير من نبوءات تتعلق بالفرضين موضوع البحث، بيانا لمدى تأييدها لأى منهما، ومن مجموع مانستخلصه فى المبحث الأول، نقيم المبحث الثانى: ونخصصه لبيان الحقيقة التى تكشف عنها النبوءات فى المزامير .

المبحث الأول

النبــوءات فى المزاميــر

طبيعى ألا نتناول فى هذا المبحث إلا المزامير التى نرى أنها تحوى نبوءات تتعلق بالفرضين موضوع البحث، دون غيرها من المزامير، لذلك فإنه من المفيد أن يكون مع القارئ عند مطالعته هذا المبحث سفر المزامير ، ليراجع مع البحث ما نتناوله وما لا نتناوله من المزامير أو آياتها على السواء، ليطمئن بنفسه على سلامة اختيارنا وتقديرنا.

وفيما يلى نتناول المزامير التى تحوى النبوءات المطلوبة، وذلك بحسب ترتيبها فى سفر المزامير.

المزمور الثانى :

(لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرّب وعلى مسيحه قائلين. لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما.

السّاكن فى السّماوات يضحك. الرّبّ يستهزى بهم. حينئذ يتكلّم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه.) «١-٥»

ويتفق المسيحيون على أن هذا المزمور يتنبأ عن المؤامرة على المسيح، ويرجع هذا فوق صراحة الآيات إلى أنه قد ورد فى الاصحاح الرابع من سفر أعمال الرسل [١] مايؤكد ذلك ، فقد ورد فيه عن رفاق بطرس ويوحنا :

(فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الاله الصانع السماء والأرض والبحر وكل مافيها. القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجّت الأمم وتفكّر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدّوس يسوع الذى مسحته هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل . ليفعلوا كل ماسبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون.) «٢٤-٢٨»

فالآية التى تشير الآيات السابقة من سفر أعمال الرسل، على أنها وردت على لسان داود، وتتنبأ عن المؤامرة على المسيح، هى الآية الثانية من هذا المزمور والتى تقول:

---

(١) وهو من الأسفار التى ألحقت بالأناجيل فى العهد الجديد ويليها مباشرة .

(قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه ..)

فالمزمور إذن يتنبأ عن المؤامرة على المسيح، فبم يتنبأ هذا المزمور فى شأن نتيجة هذه المؤامرة، هل تنجح فيصلب المسيح، أم يخلّصه الله فتفشل.

(السّاكن فى السماوات يضحك. الرّب يستهزى بهم. حينئذ يتكلّم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه.) «٤و٥»

هكذا يعلّق المزمور على المؤامرة، فمن ناحية فإن الساكن فى السماوات، أى الرب، يضحك ويستهزى بهم، ومن ناحية أخرى فهو حينئذ يتكلّم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه .

فأى انطباع يمكن أن تعطيه هذه الآيات بوجهيها، هل يضحك الساكن فى السماوات بمناسبة المؤامرة إذا كانت ستنجح ، هل يستهزى بهم إذا ما كانوا سيصلبون المسيح حقا، بالطبع لا، فما الضحك والاستهزاء هنا إلا أن يكون الرب موقنا من عدم نجاح المؤامرة، بل إن فشل المؤامرة وحده لايكفى للضحك والاستهزاء، إنما لابد لذلك أن تنقلب عليهم مؤامرتهم، وهذا مايفهم من قول المزمور بعد إشارته الى ضحك السّاكن فى السماوات واستهزائه بالمتآمرين، من أن الرب حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه، وكل هذا على أى حال يقطع به المزمور السابع والثلاثون الذى يوضح سبب ضحك الرب عندئذ بقوله:

(الشرير يتفكّر ضد الصدّيق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك لأنه رأى أن يومه آت .) «١٢و١٣»

إذن فضحك الساكن فى السماوات ليس لأن المؤامرة ستنجح، وإنما لأنه بهذه المؤامرة نفسها سوف يأتى يوم هذا الشرير، أى يوم منيّته، وهو تماما ما يكون

بالقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه على أنه المسيح، وبالتالى لايكون من أثر هذه المؤامرة إلا ضحك الرب واستهزاؤه بالمتآمرين، لأنها لن تنال من المسيح وإنما ستنقلب على الخائن يهوذا .

المزمور الرابع :

لامام المغنّين على ذوات الأوتار . مزمور لداود

(عند دعائى استجب لى يا إله برّى. فى الضّيق رحبّت لى. تراءف علىّ واسمع صلاتى .

يابنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا. حتى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب. سلاه. فاعلموا أن الرب قد ميّز تقيهّ. الرب يسمع عندما أدعوه.) «١-٣»

ونقرأ عن هذا المزمور[1] :

(وكم تصدق هذه الأقوال على مسيح الله الحقيقى، ربنا يسوع المسيح....

وكم يلزمنا أن نشكر الله لأجل النعمة الغنية التى عرفتنا بابن الله وكشفت لنا عن أمجاده. وبينما الناس يرون فى مجده عارا، نرى نحن فى عاره مجدا لايفوقه مجد، حاسبين «عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر» «عب١١ :٢٦»)

---

(١) فى كتاب (دراسات فى سفر المزامير) اعداد وتقديم السيد / فخرى عطية – الجزء الأول – طبع مطبعة الفجالة الجديدة ونشر مكتبة الاخوة بجزيرة بدران بشبرا – بمصر – صفحة ٨٥ .

وهذا المزمور حقيق بكثير من التأمل، فهو يبدأ بالدعاء إلى الله أن يستجيب له عندما يدعوه، وهو بذلك يشير إلى دعاء فى المستقبل، ثم يمضى فيقول لله أنه - أى الله - رحب له فى الضيق، ويدعوه أن يتراءف عليه ويسمع صلاته، وهو مايعطى نفس معنى الشق الأول، مع إضافة أن الدعاء سيكون فى وقت ضيق وستصاحبه صلاة .

وبعد هذا الدعاء إلى الله ، ينتقل المتحدث فى المزمور إلى بنى البشر فيوجه إليهم حديثه، وهو يبدأ بسؤالهم فى عتاب، بل فى زجر :

(حتى متى يكون مجدى عارا .)

ثم يوضح سبب زجره للبشر والواقعة التى أقام عليها سؤاله السابق بقوله:

(حتى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب .)

إنه يزجر البشر إذن لأنهم جعلوا من مجده عارا، بأن أحبوا الباطل وابتغوا الكذب، فما هو الباطل والكذب الذى أحبوه، وبه جعلوا من مجده عارا، انه يستطرد فى المزمور قائلا :

(فاعلموا أن الرب قد ميّز تقيّه . الرب يسمع عندما أدعوه.)

إنه الباطل والكذب إذن قولهم بأن الرب لم يميز تقيه، وإنه للباطل والكذب أيضا القول بأن الرب لم يسمع له عندما دعاه.

وكم تصدق هذه الأقوال على مسيح الله الحقيقى كما يقولون، ولكن كيف هى تصدق، لقد وجدنا أن المسيح دعا الله فى يوم ضيقه، وهو اليوم الذى كان مفروضا أن يسلّم فيه ليصلب، دعاه بأن يخلصه من الصلب، ولقد ميزه الله

وسمع لدعائه، إذن فقد استجاب لدعائه وخلصه من الصلب، وهذا هو بغير شك مجد المسيح الحقيقى الذى لا يفوقه مجد آخر، ولكن أغلب المسيحيين اليوم ينفون هذا المجد للمسيح، ويقولون بأنه قد صلب، مع ما فى الصلب من عار، ويقولون بذلك أن الرب لم يميزه ولم يستمع له عندما دعاه أن يخلصه من الصلب، وهذا هو الباطل الذى أحبوه والكذب الذى ابتغوه، وهو كذلك لأنه عكس الحقيقة، وبهذا الباطل وبذاك الكذب جعلوا من مجده عارا، بل جعلوا منه لعنة، فهذا مايقوله بولس الرسول فى رسالته الى أهل غلاطية :

(المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة.) (ص٣:١٣)

أما القول فى تطبيق النبوءة التى حواها هذا المزمور، أنه بينما يرى الناس فى مجده عارا، يرون هم فى عاره مجدا لايفوقه أى مجد، فإن ذلك لايعدو أن يكون تلاعبا بالألفاظ ، ومغالطة لاتجوز ولاتقبل، فالمزمور لايشير الى أمر واحد، يراه البعض عارا، بينما يراه الآخرون مجدا، وإنما هو قاطع وحاسم فى أنه يشير إلى الحق باعتباره يمثل مجد المتحدث فيه، وقد جعلوا منه عارا بباطل كاذب، فالحق هو مجده الذى التفتوا عنه، والباطل الذى أحبّوه والكذب الذى ابتغوه هو العار الذى قلبوا إليه مجده، وما مجده كما عرّفنا المزمور إلاّ أن الرب قد ميزّ تقيّه وسمع له حين دعاه، أى أن الرب قد سمع لدعاء مسيحه أن يجيز عنه كأس الصلب فأجازها عنه ، وبالتالى فإن الباطل الذى أحبوه والكذب الذى ابتغوه هو القول بعكس ذلك، بأن الرب لم يميّز مسيحه ولم يسمع له حين دعاه أن يجيز عنه الصّلب، أى القول بصلبه، وهذه هى آيات المزمور، قاطعة وحاسمة بهذا

المعنى، وأما عكسه فكما وجدنا، مغالطة مفضوحة وتلاعب بالألفاظ غير جائز ولا مقبول.

المزمور السابع : (كاملا)

شجويّة لداود غنّاها للرب بسبب كلام كوش البنياميني

(يا رب إلهى عليك توكلت. خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجّنى. لئلا يفترس كأسد نفسى هاشما إيّاها ولا منقذ .

يارب إلهى إن كنت قد فعلت هذا إن وجد ظلم فى يدىّ. إن كافأت مسالمى شرا وسلبت مضايقى بلا سبب. فليطارد عدو نفسى وليدركها وليدس إلى الأرض حياتى وليحط إلى التراب مجدى. سلاه

قم يارب بغضبك ارتفع على سخط مضايقىّ وانتبه لى. بالحق أوصيت. ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها الى العلا. الرب يدين الشعوب. اقض لى يارب كحقّى ومثل كمالى الذى فىّ. لينته شر الأشرار وثبّت الصدّيق. فإن فاحص القلوب والكلى الله البار. ترسى عند الله مخلص مستقيمى القلوب .

الله قاض عادل وإله يسخط فى كل يوم. إن لم يرجع يحدّد سيفه. مدّ قوسه وهيأها. وسدّد نحوه آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة.

هوذا يمخض بالاثم . حمل تعبا وولد كذباً. كرا جبا. حفره فسقط فى الهوّة التى صنع. يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه. أحمد الرب حسب بره وأرنّم لاسم الرب العلى .)

ونقرأ عن هذا المزمور (١) :

(التطبيق النبوى: واضح أنه من مزامير البقية، إذ يشير الى زمن ضد المسيح. وفيه نسمع صوت البقية. ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التى تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة فى أيام الضيقة العظيمة.)

لنر اذن بم تنطق روح المسيح على فم داود فى هذا المزمور .

إن المزمور يبدأ بالدعاء إلى الله أن يخلص الداعى وينجيه من أعدائه، وينتهى المزمور بما يفيد أن هذا الدعاء سيستجاب، فنستخلص بذلك من المزمور قصد التنبؤ .

والداعى فى المزمور إذ يتوكل على الرب، ويسأله أن يخلصه من كل الذين يطردونه، إنما يعطينا صورة تماثل حال المسيح وهو يدعو الله أن ينجيه من الصلب.

ويؤكد لنا المزمور أن هذا الدعاء حقيق بأن يستجاب، إذ نرى الداعى فيه يطلب من الله فى ثقة أن يمكن العدو منه، ويدس إلى الأرض حياته، ويحط إلى التراب مجده، وذلك كله إن وجدظلم فى يده ، والداعى بطبيعة الحال واثق أن ليس هناك ظلم فى يده، وهذا هو نفس حال المسيح أيضا.

ويمضى الداعى فى المزمور فيدعو الله أن يرتفع على سخط مضايقيه وينتبه له، وكأننا هنا قد وصلنا إلى اللحظة التى وصل فيها الأعداء إلى المسيح، والتى

(١) كتاب (دراسات فى سفر المزامير) للسيد / فخرى عطية والمشار اليه فى الهامش السابق صفحة ١٨أ.

يمضى المزمور بعد ذلك وكأنه يصفها فيقول :

(ومجمع القبائل يحيط بك)

وحرف الكاف الدالة على المخاطب هنا إنما توضح لنا أن الداعى فى المزمور إنما يقصد به آخر غيره، أى غير الداعي ، وهو ما يؤكد لنا قصد التنبؤ الذى أشرنا إليه من قبل ، فماذا يحدث حين يحيط به مجمع القبائل ، هنا يؤكد لنا المزمور تخليصه من مجمع القبائل الذى أحاط به، بل ويصف لنا كيفية تخليصه هنا بما نعرف منه أن ذلك برفعه من بينهم، إذ يستطرد المزمور مكمّلا الآية فيقول:

(فعد فوقها الى العلا .)

وإذ نعرف أنّه لا داود النبى قائل هذا المزمور، ولا أى انسان آخر غير المسيح، قد رفع الى العلا، أي إلى السماء ، فإن هذه الآية تقطع بذلك بالتنبؤ عن المسيح، وبأنه فى لحظة وصول الأعداء إلى المسيح للقبض عليه ، سيرفعه الله اليه استجابة لدعائه .

ويعود المزمور بعد ذلك فيؤكد لنا تخليص الله لمسيحه بصورة أخرى، فيقول أن الله قاض عادل، والعدل بطبيعة الحال أن يستجاب دعاء المسيح، ثم يشير المزمور إلى يهوذا الاسخريوطى ، هذا الذى خان المسيح وقدم إليه مرشدا الأعداء عنه للقبض عليه، فيقول:

(مدّ قوسه وهيأها. وسدّد نحوه آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة.)

وماقوسه التى هيأها وسهامه الملتهبة وآلة الموت التى سددها نحو المسيح ، ما كل ذلك سوى الأعداء الذين حضروا معه ليقبضوا على المسيح ويصلبوه، فماذا

كانت النتيجة ، هذا مايوضحه المزمور بقوله بعد ذلك :

(هوذا يمخض بالاثم . حمل تعبا وولد كذبا. كرا جبا . حفره فسقط في الهوّة التي صنع. يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه.)

هذه هي النتيجة إذن ، إن هذا الخائن الذى كرا له جبا ، حفره له ، سقط في الهوّة نفسها التي صنعها، فهل أدق من ذلك تعبير للتنبؤ عن القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح، بعد أن رفع الله المسيح اليه، لقد خلّص الله مسيحه إذن بأن رفعه الى العلا، أما الذى قبض عليه وحوكم فكان يهوذا الاسخريوطى، وبذلك وقع في الجب الذى حفره، فرجع تعبه على رأسه وعلى هامته هبط ظلمه .

ترى، هل نطق المسيح بفم داود في هذا المزمور بغير ماتقدّم، لا أحسب أن لمنصف إلا أن يقرّ بذلك بالنسبة لهذا المزمور .

المزمور التاسع :

لامام المغنين . على موت الابن . مزمور لداود

(ارحمنى يارب. أنظر مذلتى من مبغضىّ يارافعى من أبواب الموت. لكى أحدّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجا بخلاصك.

تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم. معروف هو الرب. قضاء أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه. ضرب الأوتار. سلاه.) (١٣-١٦)

والمزمور هنا يدعو:

(ارحمنى يارب .)

ثم يقرر استجابة هذا الدعاء، بل ويصف كيفية هذه الاستجابة بقوله:

(يارافعى من أبواب الموت .)

أليس هذا هو تماما وصف لرفع الله للمسيح من موقعه أمام يهوذا ومن قدموا معه للقبض على المسيح ثم صلبه، أليس هذا رفع له من أبواب الموت.

ثم يستطرد المزمور قائلا :

(تورطت الأمم فى الحفرة التى عملوها. فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم.)

وهو مايطابق تماما ماورد فى المزمور السابق من قوله :

(كرا جباً . حفره فسقط فى الهوة التى صنع .)

وهو مايفيد كما تقدم أن يهوذا هو الذى سيصلب، وهو مايقطع به المزمور بعد ذلك حين يستطرد قائلا :

(معروف هو الرب . قضاء أمضى. الشرّير يعلّق بعمل يديه.)

ترى، لو نظر أى شخص إلى الصليب وقد علّق عليه المصلوب، وقرأ الآية الأخيرة، هل يحتاج بعد ذلك إلى غيرها ليعرف أن هذا المصلوب لايمكن أن يكون المسيح عليه السلام، لأنه لايمكن أن يكون شريرا، أما الخائن يهوذا الاسخريوطى، فإنه بالقبض عليه ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح يكون بحقّ

قـــد علّق بعـــمل يديه، وهو أيـــضا الحقيق بوصف الشرّير الذى يصـــرخ به المزمور.

وهكذا فإن هذا المزمور يعطينا نبوءة كاملة، بدعاء المسيح إلى الله أن يخلصه من الصلب، واستجابة الله لدعائه برفعه له من أبواب الموت، ثم القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه، وبذلك يكون هذا الشرير قد علّق بعمل يديه.

المزمور السادس عشر : (كاملا)

مذهّبة لداود

(احفظنى ياالله لأنى عليك توكلت. قلت للرب أنت سيّدى. خيرى لاشئ غيرك. القدّيسون الذين فى الأرض والأفاضل كلّ مسرّتى بهم. تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر. لاأسكب سكائبهم من دم. ولا أذكر أسماءهم بشفتيّ. الرب نصيب قسمتى وكأسى. أنت قابض قرعتى. حبال وقعت لى فى النّعماء. فالميراث حسن عندى .

أبارك الرب الذى نصحنى. وأيضا بالليل تنذرنى كليتاى. جعلت الرب أمامى فى كل حين. لأنه عن يمينى فلا أتزعزع. لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى. جسدى أيضا يسكن مطمئنا. لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فسادا. تعرّفنى سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد.)

ويتّفق المسيحيون على أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح ، لأنه قد ورد فى الاصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل على لسان بطرس قوله :

(لأن داود يقول فيه [١] كنت أرى الرب أمامى فى كل حين أنه عن يمينى لكى لاأتزعزع. لذلك سرّ قلبى وتهلل لسانى حتى جسدى أيضا سيسكن على رجاء . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية ولاتدع قدّوسك يرى فسادا.)(٢٥-٢٧).

فالآيات التى ذكر بطرس هنا فى سفر أعمال الرسل أن داود قد قالها عن المسيح، قد وردت فى هذا المزمور السادس عشر، وهو لذلك عند المسيحيين، وبدليل كتابى عندهم فى سفر أعمال الرسل، يتنبأ عن المسيح، وإن رأوا فيه نبوءة عما يقولون به من قيامة المسيح من بين الأموات بعد صلبه ودفنه، وبذلك لم تترك نفسه فى الهاوية ولم ير جسده فسادا حسب تفسيرهم .

ولنتأمل المزمور لنتبيّن بم هو يتنبأ .

إن المتحدّث فيه يبدأ بالدعاء إلى الله أن يحفظه ، تماما كما دعى المسيح الله أن يحفظه ، بأن دعاه أن يخلصه من الصلب .

ويمضى المتحدث فى المزمور فيقول كلاما حقيقا بأكبر قدر من التمعن إذ يقول:

(تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر .)

ثم يزيد هذا الكلام إيضاحا بقوله :

(لا أسكب سكائبهم من دم .)

فاذا كان هذا الكلام يرد فى المزمور وكأنه المسيح يحدثنا، فما معناه، ومن

---

(١) الحديث هنا عن يسوع الناصرى (أعمال ص ٢:٢٢) أى المسيح .

هو هذا الآخر الذى تكثر أوجاعهم من أسرعوا وراءه، بينما المتحدّث، والذى يفترض أنه المسيح، لايسكب سكائبهم من دم .

هل غير أوجاع المسيحيين لما ظنوه من صلب المسيح هى هذه التى تكثر، وهى هذه التى يشير إليها المزمور، والمزمور يقطع بأن إنما هو آخر وليس المسيح هذا الذى كثرت أوجاع من أسرعوا وراءه، أمّا المسيح فإنه كما يقول المزمور لايسكب سكائبهم من دم، وهذه إشارة واضحة من المسيح إلى أن دمه هذا الذى سكبوه بقولهم بصلبه، لايسكبه هو لأنه لم يصلب، وبذلك تدلنا هذه الآيات على أن آخر غير المسيح هو الذى سيصلب، ولكنه إذ يصلب على أنه المسيح، يسرع المسيحيون وراءه وقد ظنوه المسيح ، بينما الواقع أنهم أسرعوا وراء آخر، لأن المسيح لم يصلب وهو لذلك لايسكب سكائبهم من دم .

ترى، هل تعنى هذه الآيات غير ذلك، وليدلنا من يعترض على هذا الآخر غير المسيح الذى تكثر أوجاع من أسرعوا وراءه، وليدلنا قبلا لماذا أسرعوا وراءه، وبم يفسّر أن المسيح لايسكب سكائبهم من دم .

فإذا مضى المزمور بعد ذلك وكأنه المسيح يحدثنا أيضا، فيقول أنه يبارك الرب ويجعله أمامه فى كل حين، لأنه عن يمينه فلا يتزعزع، لذلك فرح قلبه وابتهجت روحه، جسده أيضا يسكن مطمئنا، لأن الله لن يترك نفسه فى الهاوية، ولن يدع تقيّه يرى فسادا، فما الذى تدل عليه هذه الآيات، ويلاحظ أن صيغة الآيات الأخيرة تتحدث عن المستقبل، ومن ثم فهى تتنبأ، فبم هى تتنبأ، هل بصلب المسيح، هل لهذا يبارك الرب ويفرح قلبه وتبتهج روحه، هل يكون الرب عن يمينه فلا يتزعزع فتكون النتيجة صلبه، أبصلبه لايكون الله قد ترك نفسه

فى الهاوية ولم يدعه يرى فسادا، طبعا لا ، وإنما بالعكس ، لا يكون شئ من ذلك الا بتخليصه من الصلب .

وبذلك لانجد فى هذا المزمور بدوره إلا مايطابق الصورة الاسلامية.

المزمور الثامن عشر :

لامام المغنين. لعبد الرب داود الذى كلم الرب بكلام هذا النشيد فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من أيدى كل أعدائه ومن يد شاول فقال

(أحبّك ياربّ ياقوّتى. الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى به أحتمى. ترسى وقرن خلاصى وملجئى. أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى. اكتنفتنى حبال الموت. وسيول الهلاك أفزعتنى. حبال الهاوية حاقت بى. أشراك الموت انتشبت بى. فى ضيقى دعوت الرب والى إلهى صرخت. فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدّامه دخل أذنيه.) (١-٦)

(أرسل من العلا فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة. أنقذنى من عدوّى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى. أصابونى فى يوم بليّتى وكان الرب سندى. أخرجنى إلى الرحب. خلّصنى لأنه سرّبى. يكافئنى الرب حسب برّى. حسب طهارة يدى يرد لى.)(١٦-٢٠)

(حى هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى. الاله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى. منجى من أعدائى . رافعى أيضا فوق القائمين على.) (٤٦-٤٨)

ونقرأ عن هذا المزمور[١] :

(التطبيق النبوى: هنا نرى الله يعلن قوته لحساب مسيحه، إذ يخلصه من الموت ويرفعه على جميع أعدائه. و«مسيا»، باعتباره ممثلا لشعبه، يربطهم ويوحدهم بنفسه. والمزمور مرتبط بوجه خاص بالآمال والمواعيد المستقبلة للبقية. والمسيح. كابن الانسان المرتفع، لايزال يحتفظ بمكان الاعتماد على الله وخدمة المحبة فى إتمام كل مشيئته .)

عند المسيحيين إذن أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح، فبم هو يتنبأ.

إن المتحدث فى المزمور واثق من إنقاذ الرب له، لأنه صخرته وحصنه ومنقذه، به يحتمى لأنه ملجؤه ، يدعو الرب فيتخلّص من أعدائه، ثم يضيف المزمور على لسان المتحدّث فيه أن حبال الهاوية حاقت به وأشراك الموت انتشبت به، وهذا كله يماثل تماما حال المسيح عند محاولة القبض عليه .

ويمضى المتحدّث فى المزمور فيقول أنه فى ضيقه دعا الرب، وإلى إلهه صرخ، فسمع من هيكله صوته، وصراخه دخل أذنيه، فهل هذا إلاّ دعاء المسيح إلى الله أن يجيز عنه كأس الصلب، فما الله بفاعل إذ سمع من هيكله دعاء مسيحه.

(أرسل من العلا فأخذنى)

(أنقذنى من عدوّى القوى ومن مبغضى)

---

(١) فى كتاب (دراسات فى سفر المزامير) للسيد / فخرى عطية – الجزء الأول – صفحة ٢٤٥.

(أصابونى فى يوم بليّتى وكان الرب سندى.)

(أخرجنى الى الرحب .)

(خلصنى لأنه سرّ بى.)

(يكافئنى الرب حسب برى. حسب طهارة يدى يرد لى .)

هـــل هـــناك عبارات أبــلغ من هـــذه الآيات لتدل على استجابة الله لـدعاء مسيحه بتخليصه من محـــاولة الأعـــداء القبـــض عليه برفعه له إليه ، أصــابوه فى يوم بليته وكان الرب ســنده، أنقـــذه من عدوه القوى ومن مبغضــيه ، خلـّصه لأنه سرّ به، أرسل من العلا فأخذه ، فأخرجه بذلك الى الرحب.

وإذ نعرف أن أحدا غير المسيح لم يرفع إلى السماء، نعرف إذن أن أحدا غير المسيح لاينطبق عليه هذا المزمور، فهو إذن نبوءة صريحة عنه ، وكما وجدنا فهى نبوءة قاطعة باستجابة الله لدعائه بإنقاذه له من أعدائه ومبغضيه وتخليصه بأن أرسل من العلا فأخذه ، أى بأن رفعه اليه .

وكمـــا وجـــــدنا فى تعليـــق مسيحيين على هذا المزمور، فإنهم يقولون عـــن التطبيق النبـوى له، أنهم يرون هنا الله يعلن قوته لحساب مسيحه إذ يخـلصه من الموت ويرفعه على جميع أعدائه، فما معنى تخليصه من الموت هنا ، وهل يكون ذلك بصلبه ثم دفنه ، وكيف هو رافعه على جميع أعدائه ، وعلى أى حال فالمزمور قاطع واضح فى أن ذلك بإنقاذه من الموت أصلا ورفعه إلى العلا .

المزمور العشرون: (كاملا)

لامام المغنين . مزمور لداود

(ليستجب لك الرب في يوم الضيق . ليرفعك اسم إله يعقوب . ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك. ليذكر كلّ تقدماتك و يستسمن محرقاتك . سلاه. ليعطك حسب قلبك ويتمّم كلّ رأيك. نترنّم بخلاصك وباسم إلهنا نرفع رايتنا. ليكمل الرب كل سؤلك .

الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل. أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر. هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا. يارب خلّص . ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا .)

ويرى المسيحيون أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح ، وفي ذلك نقرأ [١] :

(نبوءة داود النبي: مز ٢٠ :٦ «الآن عرفت أن الرب مخلّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه».

والقول بأن الرب مخلّص مسيحه، يعني بأن خلاص المسيح يكون بالرب.)

كما نقرأ أيضا [٢] :

---

(١) كتاب (يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته) للدكتور هاني رزق، الطبعة الثانية، نشر مكتبة المحبة بالفجالة بالقاهرة صفحة ٨٩ و ٩٠ .

(٢) كتاب (دراسات في سفر المزامير) للسيد / فخري عطية – الجزء الأول – صفحة ٣٠٨.

(فى هذا العدد[١] تعبير يشير فى الكتب النبويّة الى ربنا يسوع المسيح نفسه. تعبير يستخدمه الشعب الأرضى عن المخلص العتيد «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه». والمسيح (الممسوح) هو مسيا. ومسيا هو الذى كان الشعب ينتظرونه طوال القرون. ولكن هذه النبوات سبقت وأوضحت أن مسيح الله لابد أن يتألم ويـرفض ويمـــوت. ثم يقوم من الأموات فى نصرة مجيدة. وهكذا يتشوق المرنم إلـى يوم النصرة ويقول: «يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه».)

ولنستظهر إذن ما يتنبأ به هذا المزمور عن المسيح بحق .

المزمور لداود النبى، وهو يبدأ، بقوله :

(ليستجب لك الرب ..)

فنفهم من ذلك أن داود النبى يدعو لآخر يوجه إليه الخطاب فى المزمور، وهو هنا يدعو لهذا الآخر أن يستجيب الرب لدعائه، وهو بذلك كأنما يضم دعاءه هنا إلى دعاء هذا الآخر عسى الله أن يستجيب له، ثم هو يحدد الدعاء المقصود هنا بأنه ذلك الذى سيكون:

(فى يوم الضيق)

ولو سئل أى مسيحى عن يوم الضيق فى حياة المسيح لأجاب بغير تردد أنه يوم محاولة القبض عليه لصلبه، وقد سبق أن بينا مافصّلته الأناجيل عمّا كابده المسيح من ضيق فى هذا اليوم، ودعائه إلى الله فيه أن يخلصه من الصلب.

---

(١) العدد المقصود هنا هو رقم الآية التى تبدأ بـ (الآن عرفت ...) .

إن داود النبى هنا فى هذا المزمور، وقبل قرون من يوم الضيق فى حياة المسيح، يدعو الله أن يستجيب لدعاء مسيحه فى ذلك اليوم، بل إنه ليمضى إلى أبعد من ذلك، فيدعو الله أن تكون استجابته لدعاء مسيحه فى يوم الضيق على وجه معين، إذ يقول مستطردا :

(ليرفعك اسم إله يعقوب) .

وهو بذلك يدعو أن تكون هذه الاستجابة لدعاء المسيح برفعه ، ثم يمضى قائلا :

(ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك.)

فدلّ بذلك على أن رفع المسيح الذى يقصده ليس أمرا معنويا، وإنما هو أمر مادى ولذا يحتاج إلى عون من قدس الله ومن صهيون، ويلى ذلك قول داود فى المزمور :

(ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك. سلاه. ليعطك حسب قلبك)

وهو ما معناه أنه يطلب إلى الله أن يعامل المسيح فى ذلك بحسب مايستحقه، ولاشك أن المسيح غير مستحق أن يصلب، وإنما هو مستحق أن يستجيب الله لدعائه بأن يخلصه من الصلب، فيتمم بذلك كل رأيه ويترنّم الناس بخلاصه، فهذا مارّدده داود حين استطرد قائلا فى المزمور :

(ويتمم كل رأيك. نترنّم بخلاصك)

وينهى داود هذه الفقرة الأولى من المزمور، بتكرار الدعاء إلى الله أن يستجيب لدعاء مسيحه، وهو ماعبّر عنه بقوله :

(ليكمّل الرب كلّ سؤلك .)

* بعد هذا الدعاء من داود النبى إلى الله أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، وأن يرفعه اسم إله يعقوب، وأن يكمل الرب كل سؤله، يتوقف داود النبى، ليبدأ فقرة جديدة فى المزمور، ينتقل بها فيه من صيغة الدعاء، إلى صيغة التنبّؤ ، فقصد التنبّؤ هنا هو ماينطق لنا به بكل جلاء ووضوح، حين يبدأ الفقرة التالية بقوله :

(الآن عرفت ...)

إنه بعد دعائه إلى الله ، يتوقف ليقول لنا أنه الآن، أى بينما كان يدعو الله بما تقدّم، الآن قد عرف، فما الذى يعنيه هذا القول، وأنى له فى هذه الأثناء أن يعرف هذا الذى سيخبرنا به، ومن الذى عرّفه به، إنه الوحى وحده، وليس غيره، ما يمكن أن يعرفّه بما سيخبر به، بينما كان يتوجه إلى الله بالدعاء المتقدمّ، فما هذا الذى أوحى به إليه عندئذ فعرفه وهاهو يخبرنا به ، إنه يقول :

(الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه)

هكذا، بكل يقين النبوة وجلال الوحى المنزّل عليها، قالها داود النبى، بأجلى صراحة وأوضح بيان، أنه الآنَ، أى بينما هو يدعو الله أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، عرف، عن طريق الوحى وحده إذ كان بين يدى الله يتوجه إليه بالدعاء، عرف أن الرب مخلّص مسيحه.

بل إنه إذ يستطرد بعد ذلك، يربط بما لايترك أى مجال للّبس، بين هذا

الذى عرفه، وبين دعائه فى الفقرة الأولى من المزمور أن يستجيب الرب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق حين يقول:

(الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه .)

فقطع بذلك بأمرين، الأول هو أن دعاءه فى الفقرة الأولى من المزمور انما كان بالفعل وكما قلنا دعاء منه لمسيح الرب أن يستجيب الله لدعائه فى يوم الضيق، والثانى أن الوحى قد أنبأه بأن الرب سوف يخلّص مسيحه استجابة لدعائه إليه فى يوم الضيق ، فالعبارة :

(يستجيبه من سماء قدسه)

ربطت ربطا يقينيًا على النحو المتقدّم بين الدعاء المشار إليه فى الفقرة الأولى، وبين تخليص الرب لمسيحه كاستجابة منه لهذا الدعاء.

ولايقف مايخبرنا داود النبى بأنه قد عرفه عند هذا الحد، بل إنه يمضى فيخبرنا بما عرفه أيضا عن كيفية تخليص الله لمسيحه فيقول:

(هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل .)

وفى هذا إشارة واضحة إلى من قدموا للقبض على المسيح، أما المسيح فإن داود يستطرد مشيرا إليه بقوله :

(أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر .)

الأعداء إذن قد وصلوا إليه، وهو لايفر أو يهرب، فماذا يكون من أمره وأمرهمَ عندئذ، هذا مايفصله لنا داود النبى بقوله:

(هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا. يارب خلص .)

هم، أى الأعداء، جثوا إذن وسقطوا ، وهو مايطابق تماما ما أنبأنا إنجيل يوحنا بأنه حدث مع من قدموا للقبض على المسيح ، عندما سألهم المسيح عمن يطلبون وأجابوه يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو ، إذ قال فى شأنهم إنجيل يوحنا فى هذه اللحظة :

(فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض.)

(ص١٨ :٦)

أليس فى انتصابه ثابتا أمامهم مقررا أنه من يطلبون، هو ما قاله المزمور عنه :

(أما نحن فقمنا وانتصبنا .)

وأليس رجوعهم إلى الوراء وسقوطهم على الأرض عندئذ، هو تماما ما قاله عنهم المزمور :

(هم جثوا وسقطوا)

وإذ يقول المزمور بعد ذلك مباشرة :

(يارب خلّص)

أليس معنى ذلك، أن تخليص المسيح يكون فى هذه اللحظة بالذات التى يجثو فيها الأعداء ويسقطون، يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض.

وينهى داود النبى بعد ذلك مزموره بقوله :

(ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا .)

وكأنما هو بذلك ينهى هذا المزمور، بتكرار ما بدأه به من الدعاء إلى الله أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق.

وهكذا وجدنا فى هذا المزمور نبوءة قاطعة ، وردت فى أجلى صور النبوءات وأصرحها، بل إنها لأصرح نبوءات العهد القديم كلها، من حيث ورودها فى معنى الاخبار عن الغيب والمستقبل صراحة، وفيها ينبئنا داود النبى بيقين الوحى وكمال النبوة ، بأنه إذ دعا ربّه أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، أنبأه الوحى عندئذ فعرف أن الرب مخلّص مسيحه استجابة لدعائه فى ذلك اليوم، بل ووصف لنا كيف ستكون هذه الاستجابة .

وأما القول الذى قرأناه فى أول التعليق على هذا المزمور، من أن النبوّات سبقت وأوضحت أن مسيح الله لابد أن يتألّم ويرفض ويموت ثم يقوم من الأموات فى نصرة مجيدة، وهكذا يتشوّق المرنّم فى هذا المزمور إلى يوم النصرة فيقول «يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه» ، فها هو المزمور نفسه، وهو الشاهد بعدم صحة شئ من ذلك، فالرب مخلّص مسيحه استجابة لدعائه فيرفعه من بين أعدائه الذين قدموا للقبض عليه، وليس أبدا برافعه من قبر، وإنما من بين أعدائه الذين يجثون عندئذ ويسقطون كما قال المزمور، أو يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض كما قال يوحنا فى إنجيله .

المزمور الحادي والعشرون : (كاملا)

لاما م المغنين . مزمور لداود

(يارب بقوتك يفرح الملك وبخلاصك كيف لايبتهج جداً. شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه. لأنك تتقدّمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجا من إبريز. حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدّهر والأبد. عظيم مجده بخلاصك جلالا وبهاء تضع عليه. لأنك جعلته

بركات الى الأبد. تفرحه ابتهاجا أمامك. لأن الملك يتوكّل على الرب. وبنعمة العلى لايتزعزع.

تصيب يدك جميع أعدائك. يمينك تصيب كل مبغضيك. تجعلهم مثل تنّور نار فى زمان حضورك. الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار. تبيد ثمرهم من الأرض وذريّتهم من بين بنى آدم. لأنهم نصبوا عليك شرّا. تفكّروا بمكيدة. لم يستطيعوها. لأنك تجعلهم يتولّون. تفوّق السهام على أوتارك تلقاء وجوهم. ارتفع يارب بقوّتك. نرنّم وننغّم بجبروتك .)

ونقرأ لمسيحيين أن المسيح هو المقصود بهذا المزمور، بل إنهم ليربطون بين هذا المزمور وبين المزمور العشرين، فمنهم من يقول بأنه فى هذا المزمور يرى مسيّا الملك فى المجد بعد نصرة الصليب، وقد استجيبت الصلوات التى قدّمت بثقة فى المزمور العشرين، ويصور المزمور الأعداء وقد نصبوا له الشر كما ينصب الصياد شباكه لاصطياد فريسته، ويقول أنهم دبّروا له المكايد وأعدّوا له الشر، لكنّهم لم يستطيعوا إلحاق الأذى بمسيح الرب الذى اتّكل على إلهه، بل بالعكس يتولّون أى يهربون من حضرته[1]، ومنهم من يقول :

(نصبوا عليك شرا تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها: وهذا قول ينطبق على تفكرات الأشرار على الرب يسوع عند قولهم «خير لنا أن يموت واحد عن الكل» يو ١١ :٥٠. وتفكروا بمكيدة ليقتلوه، ولكنه قام من الأموات فى اليوم الثالث ، لذلك يقول النبى مكيدة لم يستطيعوها.)[2]

---

(١) كتاب (دراسات فى سفر المزامير) للسيد / فخرى عطية – الجزء الأول – صفحة ٣١١-٣١٩.

(٢) كتيّب (تأملات فى المزامير) المنسوب لآباء الكنيسة القدّيسين وصادر عن كنيسة مارجرجس بالاسكندرية (باسبورتنج) صفحة ١٠ .

ولايملك من يقرأ المزمورين العشرين والحادى والعشرين، إلا أن يقرر أن الأخير يكمّل الأول، ففى المزمور العشرين يدعو داود النبى الله بأن يستجيب لدعاء المسيح فى يوم الضيق، ويتنبأ لنا بأن الله مخلّص مسيحه استجابة لهذا الدعاء، أما المزمور الحادى والعشرين فيبدأ بأن يصف لنا فرحة هذا الذى خلّصه الله وابتهاجه، وهو بذلك إنما يبدأ تماما من حيث انتهى المزمور السابق، فإذا كان من المسيحيين من يقول أن المسيح يرى فى هذا المزمور بعد أن استجيبت الصلوات التى قدمت بثقة فى المزمور السابق، وأن هذا المزمور يصور الأعداء وقد نصبوا شرا للمسيح ودبروا له المكايد ولم يستطيعوا إلحاق الأذى به، فإننا نقول لذلك بلا تردد أن هذا فى حد ذاته حق .

المزمور يبدأ بوصف فرحة هذا الذى تنبأ المزمور السابق بأن الرب مخلّصه، وهو يقول عنه :

(وملتمس شفتيه لم تمنعه ... حياة سألك فأعطيته . طول الأيام إلى الدهر والأبد .)

إنه يقول أن الله لم يمنع عنه دعاءه إليه الذى طلبه، وهذا هو ماعبّر عنه المزمور بملتمس شفتيه، وقد وجدنا أن المسيح قد سأل الله أن يجيز عنه كأس الصلب ، وبالتالى فلا يموت، وإنما يبقى حيّا، وهذا هو نفس ماقاله المزمور عن دعائه، ملتمس شفتيه، أنه سأل الله حياة ، فما الله بفاعل ، إنه لم يخلّصه من الصلب فحسب، أى لم يعطه حياة فحسب، بل أعطاه هذه الحياة طول الأيام إلى الدهر والأبد، والمسيح وحده عند المسيحيين دون العالمين هو من ينطبق عليه هذا القول، فهو عندهم المسيح الحى إلى اليوم، وإلى كل يوم .

ويمضى المزمور مؤكدا تخليص الله لمسيحه بقوله :

(عظيم مجده بخلاصك جلالا وبهاء تضع عليه.)

أى عظيم هو مجد المسيح بخلاص الله له، هذا الخلاص الذى هو بمثابة الجلال والبهاء وضعه الله عليه، ولم يقل المزمور أبدا عظيم مجده بصلبه.

ويشير المزمور إلى ماسيحيق بأعداء المسيح، فيقول أن يد الرب ستصيبهم، والرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض وذريّتهم من بين بنى آدم ، أما لماذا يفعل الرب كل ذلك، يقول المزمور فى ذلك :

(لأنهم نصبوا عليك شراً . تفكروا بمكيدة .)

أى لأنهم تآمروا على المسيح وكادوا له ليقبضوا عليه ويقتلوه بعد ذلك صلبا، فماذا كانت نتيجة هذه المؤامرة، هل استطاعوها، أبداً، فهذا مايقوله المزمور بعد ذلك :

(لم يستطيعوها .)

تأكيدا لما تنبأ به المزمور السابق من أن الله مستجيب لدعاء مسيحه ومخلصه، وتأكيدا أيضا للفرحة التى كانت من هذا الذى خلصه الله وابتهاجه فى أول هذا المزمور بخلاص الله له .

وكما هو واضح، فإن الأمر لايحتاج لأكثر من قراءة المزمور للوصول الى ماسبق، وإنه لغريب رغم ذلك أن يسلم مسيحيون بأن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح، وبأنه المقصود بالآية القائلة **(لأنهم نصبوا عليك شراً. تفكروا بمكيدة. لم يستطيعوها.)** ، بل وبأن المقصود من هذه الآية أن الأعداء لم يستطيعوا إلحاق

الأذى به على نحو مارأينا من قبل ، ثم يقولون رغم ذلك بأن الأعداء قد صلبوا المسيح، فأى أذى إذن لم يلحقوه به إن كانوا قد صلبوه، بل وأى أذى أكبر من ذلك كان يمكنهم أن يلحقوه به ، هل فوق الصلب أذى .

وكيف يكون الربط بين ماورد فى هذا المزمور، وما ورد فى المزمور السابق على لسان داود من أن الرب مخلص مسيحه، ومع ذلك لايكون هذا التخليص إلا بصلبه ثم دفنه ، ثم ما يقال بعد ذلك عن قيامته من الأموات، أين فى المزمورين مايقول أو حتى يوحى بشئ من ذلك، أو بغير رفع المسيح من بين الأعداء ، وتخليصه بذلك من الصلب استجابة لدعائه الكريم .

المزمور الثاني والعشرون :

لامام المغنين على أيلة الصبح. مزمور لداود

(إلهي إلهي لماذا تركتنى بعيدا عن خلاصى عن كلام زفيرى. إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب فى الليل أدعو فلا هدوّ لى . وأنت القدّوس الجالس بين تسبيحات اسرائيل . عليك اتّكل آباؤنا. اتّكلوا فنجّيتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتّكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يروننى يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين. اتّكل على الرب فلينجّه. لينقذه لأنه سرّ به. لأنك أنت جذبتنى من البطن. جعلتنى مطمئناً على ثديى أمى. عليك ألقيت من الرحم. من بطن أمى أنت إلهى. لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب. لأنه لا معين.

أحاطت بى ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتنى . فغروا علىّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر. كالماء انسكبت. انفصلت كلّ عظامى. صار قلبى كالشمع. قد ذاب فى وسط أمعائى. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى وإلى تراب الموت تضعنى. لأنه قد أحاطت بى كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدىّ ورجلىّ. أحصى كل عظامى. وهم ينظرون ويتفرّسون فىّ. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون.) «١-١٨»

ولهذا المزمور أهمية بالغة عند المسيحيين، باعتباره المزمور الذى يتنبأ بصلب المسيح، وبكل ما أحاط هذه الواقعة من تفاصيل ، وهو أيضا المزمور الذى أشارت إليه الأناجيل نفسها باعتبار أن بعض ماورد فيه، نبوءات عن بعض ماأحاط بتلك الواقعة، فالمزمور يبدأ بقول المتحدّث فيه :

(إلهى إلهى لماذ تركتنى)

وهى نفس العبارة التى ذكر لنا إنجيلا متى (ص٢٧ :٤٦) ومرقس (ص١٥ :٣٤) أن المسيح قالها وهو على الصليب قبل أن يسلم الروح.

ويقول المزمور على لسان المتحدث فيه أيضا :

(محتقر الشعب. كل الذين يروننى يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين. اتكل على الرب فلينجّه. لينقذه لأنه سرّ به.)

وهذا هو تقريبا نفس ماحدث مع المصلوب حسبما تذكر لنا أناجيل متى (ص٢٧ :٣٩ – ٤٣)، ومرقس (ص١٥ :٢٩-٣٢) ، ولوقا (ص٢٣ :٣٥).

ويقول المزمور على لسان المتحدث فيه كذلك :

(جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدىّ ورجلىّ. أحصى كل

عظامى. وهم ينظرون ويتفرّسون فىّ. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون.)

وثقب اليدين والرجلين هو الصلب، ونعرف أن داود النبى قائل هذا المزمور لم يصلب، فيكون المقصود بهذا القول إذن التنبؤ بواقعة الصلب فعلا، كما أن الآية الأخيرة :

(يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون .)

قد أشار إليها إنجيل يوحنا باعتبار أنها تتنبأ عما حدث عند صلب المسيح من إلقاء الجنود قرعة على قميصه على نحو مارأينا من قبل (يوحنا ص ١٩ :٢٣و٢٤).

لكل ماتقدّم يتفق المسيحيون على أن هذا المزمور ينطوى على نبوءة مفصّلة عن واقعة صلب المسيح وماجرى أثناءها، ولكل ذلك أيضا لابد من التسليم بأن هذا المزمور يتنبأ فعلا بواقعة الصلب وماجرى أثناءها مع المصلوب .

ولكن، وكما وجدنا من قبل، فى المبحث الثانى من الفصل الأول، فإنه لاخلاف بين كل من الصورتين المسيحية والاسلامية حول واقعة الصلب نفسها، أو حول ماجرى أثناءها مع المصلوب، وإنما ينحصر الخلاف بينهما فى هذا الشأن حول شخص المصلوب فحسب، فبينما تذهب الصورة المسيحية إلى أنه المسيح عليه السلام، تذهب الصورة الاسلامية إلى أنه ليس المسيح، فهذا قد رفعه الله إليه، وإنما هو يهوذا الاسخريوطى، تلميذ المسيح الذى خانه وسعى لتسليمه لأعدائه .

وعلى هذا ، فإننا إذا كنّا نسلم بأن المزمور الثانى والعشرين يتنبأ بواقعة الصلب، فإننا بذلك إنّما نسلم بأنه يتنبأ بواقعة متفق على صحتها فى حد ذاتها

فى كل من الصورتين المسيحية والاسلامية، ويبقى بعد ذلك البحث فى المزمور فيما تختلف فيه هاتان الصورتان ، وهو تحديد شخص المصلوب، فهل فى هذا المزمور مايعيننا على تحديده.

إن داود النبى إذ يتحدث فى هذا المزمور على لسان المصلوب، نجد الأخير يبدأ فيه بتوجيه السؤال إلى الله :

(إلهى إلهى لماذا تركتنى)

إنه يبدأ بسؤال الله متعجبا لماذا تركه، والمقصود لماذا تركه يصلب، ثم يوضح بعد ذلك سبب تعجّبه من ترك الله له بقوله :

(عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيّتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا .)

فقد سبق لآبائه أن اتكلوا على الله فنجّاهم، اتكلوا عليه فلم يخزوا، إليه صرخوا فنجّاهم، أما هو فقد اتكل عليه فلم ينجّه، بل أخزاه .

على أن العجب يزول عندما يوضح بعد ذلك فى المزمور سبب عدم تنجية الله له ، وخزيه إياه ، بقوله :

(أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر)

إنه دودة لا إنسان، إنه حقير كالدودة غير حقيق بوصفه إنسانا ، إنه عار عند البشر، أى عند جميع الناس فى كل زمان ومكان، لهذا أخزاه الله ولم ينجّه حين دعاه .

فمن الذى تصدق عليه هذه الأقوال، مسيح الله الكريم، أم يهوذا

الاسخريوطى، هذا الذى خان المسيح سيّده، وسعى لتسليمه إلى أعدائه، وأعطاهم علامة عليه أنّه من يقبله، واشتهرت قبلة يهوذا هذه على مدى التاريخ والزمان، بأنها قبلة الخيانة والغدر، وصار بذلك عارا عند جميع البشَر بغير خلاف.

لا أظن أن لمنصف إلا أن يسلّم بأن هذا المصلوب الذى يتحدث عن نفسه فى هذا المزمور، فيقول أنه دودة لا إنسان، عار عند البشر، ليس إلاّ يهوذا الاسخريوطى الخائن ، وليس أبدا مسيح الله الكريم، الذى لم يكن، وما كان له أبدا أن يكون فى يوم من الأيام ، دودة لا إنسان، ولا عارا عند أى انسان، ومن باب أولى عند البشر أجمعين .

المزامير العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون:

تحتاج النبوءات التى وجدناها فى هذه المزامير الثلاثة المتتالية إلى وقفة، ففى كل من الصورتين المسيحية والاسلامية لم تكن واقعة الصلب واقعة مجردة، لاتصاحبها وقائع أخرى ، بل سبقها فى كل منهما عدة تفاصيل، أولها دعاء المسيح وصلاته إلى الله أن يجيز عنه كأس الصلب، وإذ يأتى إليه يهوذا على رأس الأعداء للقبض عليه يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض، وهنا فقط تختلف الصورتان، ففى الصورة المسيحية تلقى الأيادى على المسيح فيقبض عليه ويحاكم ويصلب، أما فى الصورة الاسلامية، فإنه فى هذه اللحظة التى يرجع الأعداء فيها الى الوراء ويسقطون على الأرض، يرفع الله مسيحه إليه وتلقى الأيادى على يهوذا الاسخريوطى ظناً بأنه المسيح، ويقبض عليه ويحاكم ويصلب على هذا الأساس .

وتعطينا هذه المزامير الثلاثة فى تواليها ، صورة متكاملة تتنبأ تماما بكل تفاصيل الصورة الاسلامية .

فأولها يبدأ بدعاء من داود النبى إلى الله أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق بأن يرفعه، ثم يتنبأ داود النبى بأصرح صور التنبؤ وأوضحها بأنه عرف بأن الرب مخلص مسيحه استجابة لدعائه فى يوم الضيق، ويصف لنا ماسيكون من الأعداء عندئذ من رجوعهم إلى الوراء وسقوطهم على الأرض .

وثانيها يوضح فرحة هذا الذى خلصه الله وابتهاجه بتخليصه له، ويعطينا أوصافا لهذا الذى خلّصه الله وجدنا أنها لاتنطبق إلاّ على المسيح دون غيره من البشر أجمعين .

أما الأخير فيذكر لنا ماكان بعد تخليص المسيح من صلب آخر غيره، وهو يحدثنا على لسان المصلوب فنعرف منه أنه محال أن يكون مسيح الله الكريم، لأنه محال أن يكون المسيح دودة لا إنسان عار عند البشر على نحو ما وصف لنا نفسه المتحدث فى هذا المزمور، ونعرف من هذه الأوصاف أن هذا المصلوب هو يهوذا الاسخريوطى الذى تنطبق عليه هذه الأوصاف دون المسيح .

وهكذا تكاملت النبوءات الواردة فى هذه المزامير الثلاثة المتتالية معا ، وتطابقت تطابقا كاملا مع الصورة الاسلامية .

المزمور السابع والعشرون : (كاملا)

لداود

(الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . الرب حصن حياتى ممن أرتعب. عندما اقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقىّ وأعدائى عثروا وسقطوا.

إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت علي حرب ففي ذلك أنا مطمئن. واحدة سألت من الرب وإيّاها ألتمس . أن أسكن في بيت الرب كلّ أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرّس في هيكله . لأنه يخبئني في مظلّته في يوم الشرّ. يسترني بستر خيمته . على صخرة يرفعني . والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف . أغنّي وأرنّم للرب .

استمع يارب . بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي قلت اطلبوا وجهي . وجهك يارب أطلب . لا تحجب وجهك عني . لا تخيّب بسخط عبدك . قد كنت عوني . فلا ترفضني ولاتتركني يا إله خلاصي. إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمني . علمّني يارب طريقك . واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي . لاتسلمني الى مرام مضايقيّ . لأنه قد قام عليّ شهود زور ونافث ظلم . لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء - انتظر الرب. ليتشدّد وليتشجعّ قلبك وانتظر الرب.)

في الشق الأول من هذا المزمور، نرى المتحدّث فيه يؤكد في ثقة أن الرب نوره وخلاصه فلا يخاف أحدا، وهو حصن حياته فلا يرتعب من أحد، ثم يشير إلى اقتراب الأشرار منه ليأكلوا لحمه، أي ليقتلوه، وهذا هو حال المسيح عند وصول يهوذا ومن معه من الأعداء للقبض عليه وقتله صلبا ، فماذا يحدث عندئذ ، هنا يقول المتحدّث في هذا الشق :

(مضايقيّ وأعدائي عثروا وسقطوا .)

وهو نفس ماقرأناه عنهم فى المزمور العشرين من قوله :

(هم جثوا وسقطوا .) (٨)

وهو نفس ماوجدنا من قبل، أنه يطابق ماورد فى إنجيل يوحنا، عما حدث لمن قدموا للقبض على المسيح، عندما قال لهم أنه يسوع الناصرى الذى يطلبوه، حيث قالَ هذا الانجيل فى شأنهم عندئذ :

(فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض.) «ص١٨ :٦»

هذا هو مايجرى للأعداء، أما المسيح، فيقول المزمور فى شأنه على لسان نفس المتحدّث، أنه سأل الرب أمرا واحدا، وإياه يلتمس، أن يسكن فى بيت الرب كل أيام حياته، وهذا هو رفعه إلى الله الذى أشار إليه القرآن، فهل الله مجيبه إلى هذا الأمر الذى التمسه، هنا يقول نفس المتحدّث فى المزمور :

(لأنه يخبئنى فى مظلّته فى يوم الشر. يسترنى بستر خيمته. على صخرة يرفعنى.) (٥)

إن الله لمجيبه إلى مادعاه إذن، فيخبّئه فى مظلّته، ويستره بستر خيمته، وعلى صخرة يرفعه، ولعل هذا هو مايفسّر لنا، لماذا لم يعرف الناس فى عهد المسيح، أن الله قد خلصه ورفعه إليه ، فقد تم ذلك فى خفاء عن الناس كما نفهم من المزمور، ولهذا التبس الأمر عليهم، وشبّه لهم أن المسيح هو الذى صلب.

وينتهى هذا الشق من المزمور، بالمتحدّث فيه وقد خلّصه الله، فخبّأه وستره عن أعدائه، ورفعه إليه، يعلن المتحدّث كل ذلك وفرحته به، فيقول أن رأسه الآن

يرتفع على أعدائه حوله، فيذبح في خيمة الرب ذبائح الهتاف، ويغنى ويرنم للرب.

فإذا انتقلنا إلى الشق الثاني من المزمور، فإننا نرى المتحدّث فيه، بعكس حال المتحدّث فى الشق الأول، من الثقة واليقين بأن الله معه ومنجّيه، فلا يخاف ولا يرتعب من أحد، فإننا نجد المتحدّث فى هذا الشق، فاقدا لأى ثقة أو يقين فى هذا الشأن، فهو يسترحم الله، ولا مجيب، وهو يقول لله أنه قال اطلبوا وجهى، وهاهو ذا يطلبه، ورغم هذا فهو يسأله ألاّ يحجب وجهه عنه، وألاّ يخيّب بسخط عبده، أى ألاّ يخيبه بسخطه، فهو إذن يتوقّع رغم دعائه، أن يحجب الرب وجهه عنه، وأن يخيّبه بسخط ، ولهذا يدعوه ألاّ يفعل ذلك .

ثم يقول هذا المتحدّث أن أباه وأمه قد تركاه، ونعرف أن المسيح ولد بغير أب، ولذلك فهذا المتحدّث ليس المسيح، وهو يطلب ألاّ يسلمه الله إلى مرام أعدائه، ويوضّح هذا المرام بأنه قام عليه شهود زور ونافث ظلم، وقد علمنا من الأناجيل أن رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على من تم القبض عليه وجاء كثيرون، فنعلم بذلك أن هذا الشق من المزمور يتنبأ عن هذا الذى قبض عليه وحوكم، وينتهى هذا الشق ، خلافا للشق الأول، دون أدنى إشارة إلى استجابة الله لدعاء الداعى فيه .

ومن اختلاف صيغة الدعاء في كل من شقي هذا المزمور ، من الثقة واليقين باستجابة دعاء الداعي في الشق الأول ، ومن انعدام هذه الثقة أو ذاك اليقين فى الشق الثانى ، نجزم بأن المزمور فى كل من شقيه يشير إلى شخص مغاير للشخص الذى يشير إليه الشق الآخر ، وإذ كان قائل المزمور واحداً ، وهو داود النبي ، نفهم من اختلاف شخص المتحدث بلسانه فى كل من شقى المزمور، قصد التنبؤ عن هذين الشخصين.

ويطابق الشق الأول ، استجابة الله لدعاء مسيحه برفعه إليه ، أما الشق الثانى، فيشير إلي محاكمة آخر غير المسيح، وقيام شهود زور عليه ، ونري هذا الذي يحاكم، غير مطمئن إلي استجابة الله لدعائه ، فأخذ يسترحمه ويستعطفه، ولم يبين المزمور أى إشارة تفيد استجابة الله لدعائه ، وإنه ليهوذا الاسخريوطي إذن هذا الآخر ، الذي قام عليه شهود زور حتى أدين وصلب .

المزمور الرابع والثلاثون : (كاملا)

لداود عندما غير عقله قدام أبيما لك فطرده فانطلق

(أبارك الرب فى كل حين . دائما تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون . عظموا الرب معي ولنعل اسمه معا.

طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفي أنقذنى . نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . طوبي للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير.

هلم أيها البنون استمعوا إليّ فأعلمكم مخافة الرب. من هو الانسان الذى يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا. صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلّم بالغش. حد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسع وراءها. عينا الرب نحو الصدّيقين وأذناه إلى صراخهم. وجه الرب

ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. ألئك صرخوا والرب سمع ومن كلّ شدائدهم أنقذهم.قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلّص المنسحقى الروح. كثيرة هى بلايا الصدّيق ومن جميعها ينجّيه الرب. يحفظ جميع عظامه. واحد منها لاينكسر. الشرّ يميت الشرير ومبغضوا الصدّيق يعاقبون. الرب فادى نفوس عبيده وكل من اتكل عليه لايعاقب.)

وقد قال يوحنا فى إنجليه ، فى شأن المصلوب وهو على الصليب :

(فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلمّا جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكّن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء. والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم. لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لايكسر منه.) (ص١٩ :٣٢-٣٦)

والكتاب المقصود القائل هذا الكلام، هو ماورد فى هذا المزمور من قوله:

(يحفظ جميع عظامه. واحد منها لاينكسر .) (٢٠)

لهذا يتفق المسيحيون، على أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح فبم هو يتنبأ عنه.

لقد طلب من الرب فاستجاب له، ومن كل مخاوفه أنقذه، صرخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلّصه، كثيرة هى بلاياه، ومن جميعها ينجيه الرب، هكذا قال المزمور، فكيف يكون تحقق كل ذلك بالنسبة للمسيح، أليس بتخليصه من الصلب استجابة لدعائه، هل يمكن أن يكون شئ من ذلك بصلب المسيح ، فبم يكون الرب قد أنقذه أو خلّصه إذا كان قد صلب ، وكيف بصلبه يكون قد استجاب لدعائه ونجّاه .

وعلى هذا ، وإذ كان من المسلّم به، أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح ، فإنه إنما يتنبأ بحق باستجابة الله لدعاء مسيحه الكريم بأن يجيز عنه كأس الصلب، فأجازها عنه، وخلّصه من الصلب، وبذلك لم يكسر منه عظم كما تنبأ المزمور.

وإذ يضيف المزمور بعد ذلك، وقرب نهايته ، قوله أن :

(الشرّ يميت الشرّير.) (٢١)

فانه يدل بذلك، على أنه بعد تخليص المسيح من الصلب، فإن الشرّير الذى خانه، وعمل على تسليمه، هو الذى سيصلب بدلا منه، وبذلك يكون الشر قد أمات الشرير .

وهكذا لايكون فى هذا المزمور، الذى يتفق المسيحيون على أنه يتنبأ عن المسيح، إلاّ مايطابق الصورة الاسلامية .

المزمور الخامس والثلاثون :

لداود

(خاصم يارب مخاصميّ. قاتل مقاتليّ. أمسك مجنّا وترسا وانهض إلى معونتى. وأشرع رمحا وصدّ تلقاء مطارديّ. قل لنفسى خلاصك أنا. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى. ليرتدّ إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى. ليكونوا مثل العصافة قدّام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلاما وزلقا وملاك الرب طاردهم. لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوّة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسى. لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به

الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع. أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه.) (١-٩)

ونقرأ عن هذا المزمور :

(«لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوّة شبكتهم» (٧)

ان رأسنا الرب أخفى له اليهود هوة شبكتهم وظنوه قد انخدع فى حبالهم، فى حين أنهم هم الذين قد خدعوا أنفسهم. فيهوذا كان أحد الاثنى عشر .... انهم بلاسبب أخفوا لى فخا - أى ظلما وبهتانا.

«لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع» (٨)

عقاب عادل ليهوذا الذى صنع الفخ فوقع فيه .

عقاب عادل للشيطان الذى نصب فخًا لاماتة ربنا فوقع هو فى الفخ وانكسرت قوته.) [١]

إنه المسيح إذن عند المسيحيين، الذى يدعو فى هذا المزمور، وهو يهوذا الاسخريوطى ، الذى يدعو عليه المسيح فى هذا المزمور، فبم يتنبأ المزمور عن كل منهما.

إنه يدعو الله أن يخاصم مخاصميه، ويقاتل مقاتليه، وأن ينهض إلى معونته ويعد بخلاصه، أما من يطلبون نفسه، أى من يريدون قتله، فليخزوا وليخجلوا، ويماثل الخزى هنا ماوجدناه من خزى الله للمصلوب فى المزمور الثانى

---

(١) كتيّب (تأملات فى المزامير) المنسوب لآباء الكنيسة القديّسين وصادر عن كنيسة مارجرجس باسبورتنج بالاسكندرية صفحة ٥٣ و ٥٤ .

والعشرين، ليرتدّوا إلى الوراء، ليكونوا مثل العصافة قدّام الريح، وهو مايماثل بدوره ماوجدناه فى إنجيل يوحنا فى شأن من قدموا للقبض على المسيح عند وصولهم إليه، من أنهم رجعوا عندئذ إلى الوراء وسقطوا على الأرض، وإذ طلب الداعى من الرب أن يكون هو – أى الرب – خلاصه، وينتهى إلى القول بأن نفسه تفرح بالرب وتبتهج بخلاصه ، نفهم من هذا نبوءة من المزمور بتخليص الله لمسيحه.

أما أعداؤه، فليكن طريقهم ظلاما وملاك الرب داحرهم، لأنهم بلا سبب أخفوا له هوّة شبكتهم، بلا سبب حفروا لنفسه، وما ذلك كله إلا وصول يهوذا ومن معه إلى المسيح للقبض عليه، وكانت قبلة يهوذا للمسيح، هى الوسيلة التى حاول بها إخفاء شبكته هذه ، أى سعيه بمن معه للقبض على المسيح ، لقد حفر للمسيح بلا سبب، فماذا تكون النتيجة ، يقول المزمور:

(لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع. أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه.) (٨و٩)

إن الرب يخلص مسيحه، فتبتهج نفسه بخلاصه وتفرح بالرب، أما يهوذا، فتأتيه التهلكة وهو لايعلم، لقد أعدّ التهلكة للمسيح، ولم يعلم بأنها ستأتيه هو دون المسيح، ولتنشب به الشبكة التى أخفاها، وفى التهلكة نفسها ليقع، وهذا حق، فإن الشكبة التى حاول إخفاءها، وهم الأعداء الذين قدموا معه للقبض على المسيح، قبضوا عليه هو ظنّا منهم أنه المسيح، وبذلك انتشبت به الشبكة التى أخفاها، ثم صلب هو على أنه المسيح أيضا، وبذلك ففى التهلكة نفسها التى أعدّها للمسيح، وقع هو.

وكما قرأنا، يفسرون هذا القول الأخير للمزمور، بأن فى هذا عقاب عادل

ليهوذا الذى صنع الفخ فوقع فيه، فكيف كان ذلك إلا بصلبه هو بدلا من المسيح، وظنّا بأنه المسيح نفسه.

وهكذا، لايكون فى هذا المزمور بدوره، إلاّ نبوءة بتخليص الله لمسيحه، استجابة لدعائه، والقبض على يهوذا الاسخريوطى وصلبه بدلا منه.

المزمور السابع والثلاثون :

لداود

(الشرّير يتفكّر ضد الصدّيق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر.)(١٢-١٥).

(الشرّير يراقب الصدّيق محاولا أن يميته . الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه. فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر.) (٣٢-٣٤).

وكما قلنا فى التعليق على المزمور الثانى، فإن الشق الأول المشار إليه من هذا المزمور، يشير إلى المؤامرة على المسيح، وكما هو الحال فى المزمور الثانى، فلم تثر هذه المؤامرة إلا ضحك الرب واستهزائه، وماكان ذلك إلا لما يقرره المزمور، من أن هذه المؤامرة بالذات، سيأتى بها يوم الشرير، أى يوم منيته، وهو مايشير إلى صلب يهوذا بدلا من المسيح، الصدّيق ، وهذا مايقطع به قول المزمور بعد ذلك، أن الأشرار قد سلّوا السيف لرمى المسكين، فإذا سيفهم يدخل فى قلبهم،

وقسّيهم تنكسر، فأن يدخل سيف الشرير فى قلبه، يماثل تماما فى المعنى صلب يهوذا بدلا من المسيح، بعد سعى يهوذا لصلبه .

أما الآيات الأخيرة ، فتشير ثانية إلى محاولة يهوذا القبض على المسيح لقتله، فالشرير، أى يهوذا، يراقب الصدّيق، أى المسيح، محاولا أن يميته، فماذا تكون النتيجة .

يقول المزمور بعد ذلك قولا يبدو عجيبا، إذ يقول :

(الرب لايتركه فى يده ولايحكم عليه عند محاكمته.) «٣٣»

فأن لايتركه الرب فى يده، قول واضح كل الوضوح، والنبوءة فيه لاريب فيها، وهى أن الله لن يمكّن الأعداء من القبض على المسيح، فإذ يصل إليه يهوذا على رأس الأعداء، فإن الرب لايترك مسيحه فى يد يهوذا، فلا يقبض عليه، فكيف هو إذن ، لايحكم عليه عند محاكمته.

نحن نعرف من الأناجيل ، أن المحاكمة عقدت للمسيح، وصدر الحكم باعتبار المسيح مستوجب الموت، فإذا كان المسيح هو الذى مثل فى هذه المحاكمة فعلا، وكان هو من صدر عليه الحكم، لاتكون هذه النبوءة القائلة بأنه لايحكم عليه عند محاكمته صادقة، وإنما هى تكون كذلك فى حالة واحدة، هى ألا يكون المسيح هو من مثل فى المحاكمة وحكم عليه على أنه المسيح، فبذلك وحده تصدق النبوءة ، إذ تكون المحاكمة قد انعقدت للمسيح، وصدر الحكم بإدانة المسيح، ولكن هذا الحكم لم يصدر عليه فى هذه المحاكمة التى عقدت له، لأن الذى مثل فى المحاكمة على أنه المسيح لم يكن المسيح بالفعل، وإنما آخر، وهو مايطابق الصورة الاسلامية فى هذا الشأن، فبها وحدها تكون قد تحققت

تلك النبوءة القائلة، بأن الرب لايتركه في يده، ولايحكم عليه عند محاكمته.

وإذ تنتهى هذه الآيات من المزمور بقولها:

(انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر.) «٣٤»

فإن رفعه فى هذه الآية، إشارة واضحة إلى رفع الله للمسيح تخليصا له من الصلب، كما أن نظره إلى انقراض الأشرار ، فيه إشارة إلى صلب يهوذا.

وهكذا فإن هذا المزمور، يتنبأ بفشل الأعداء فى إلقاء الأيادى على المسيح، لرفع الله له إليه، وأن الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب على أنه المسيح، سيكون آخر، هو يهوذا الاسخريوطى، مطابقا بذلك الصورة الاسلامية وحدها.

المزمور الحادي والأربعون:

لامام المغنّين . مزمور لداود

(طوبى للذى ينظر إلى المسكين. فى يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه. يغتبط فى الأرض ولا يسلّمه إلى مرام أعدائه. الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهدت مضجعه كلّه فى مرضه .

أنا قلت يارب ارحمني. اشف نفسى لأنى قد أخطأت إليك. أعدائى يتقاولون على بشر. متى يموت ويبيد اسمه. وإن دخل ليرانى يتكلّم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثما. يخرج. فى الخارج يتكلّم. كل مبغضىّ يتناجون معا علىّ. علىّ تفكروا بأذيتى. يقولون أمر ردئ قد انسكب عليه.

حيث اضطجع لايعود يقوم. أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىّ عقبه.) «١-٩»

ولقد ورد فى إنجيل يوحنا على لسان المسيح أنه قال :

(لكن ليتم الكتاب. الذى يأكل معى الخبز رفع علىّ عقبه. أقول لكم الآن قبلّ أن يكون حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو.) «ص١٣ :١٨و١٩»

والكتاب المقصود هنا، هو الآية الأخيرة مما ذكرناه من هذا المزمور، والتى تقول :

(أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىّ عقبه.)

ولهذا السبب، يتفّق المسيحيون، على أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح، فبم يتنبأ هذا المزمور عنه، إنه يقول:

(فى يوم الشر ينجيّه الرب. الرب يحفظه ويحييه. يغتبط فى الأرض ولايسلمّه إلى مرام أعدائه.) «١و٢»

فهل هذا إلاّ نبوءة بأن الله مخلّصه ومنجّيه فى يوم الشر، وهو يوم يحاول الأعداء القبض عليه لصلبه كما نعرف، ففى ذلك اليوم ينجيّه الرب كما يقول المزمور، فكيف هو منجّيه، أبالقبض عليه وصلبه، أم بكف الأيادى عنه ورفعه، إن الله لايسلّمه إلى مرام أعدائه كما يقول المزمور، فهل كان هذا المرام إلاّ القبض عليه وصلبه، وإن الله لن يسلمه إلى مرامهم، إذن فهم لن يقبضوا عليه ولن يصلبوه، وهو مايؤكده المزمور عندما يقول بعد ذلك أن الرب يحفظه ويحييه، وهو مالايكون بصلبه، ولكن بتخليصه من الصلب.

وبذلك يكون هذا المزمور، الذى يتفق المسيحيون على أنه يتنبأ عن المسيح، إنما يتنبأ بحق بأن الرب منجيه فى يوم الشر، فيحفظه ويحييه، ولايسلمه إلى مرام أعدائه، وذلك كله طبقا لصريح نص عبارات المزمور، والتى تقطع بذلك ، بأن الرب مخلّص مسيحه، وبأن الأعداء لن يتمكنوا منه.

أما باقى الآيات التى أوردناها من المزمور، فلا تزيد عن أنها تكشف أمرا عن الشخص الذى يخونه، أنه رجل سلامته وآكل خبزه، وهو مايدل على أنه سيكون أحد المقرّبين إليه، وهو ماينطبق على يهوذا الاسخريوطى .

المزمور الخامس والخمسون :

لامام المغنّين على ذوات الأوتار . قصيدة لداود

(اصغ يا الله إلى صلاتى ولاتتغاض عن تضرّعى. استمع واستجب لى. أتحيّر فى كربتى وأضطرب. من صوت العدو من قبل ظلم الشرير. لأنهم يحيلون علىّ إثما وبغضب يضطهدوننى. يمخض قلبى فى داخلى وأهوال الموت سقطت علىّ. خوف ورعدة أتيا علىّ وغشينى رعب. فقلت ليت لى جناحا كالحمامة فأطير وأستريح. هأنذا كنت أبعد هاربا وأبيت فى البرّية. سلاه. كنت أسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء .

أهلك يارب فرق ألسنتهم لأنى قد رأيت ظلما وخصاما فى المدينة. نهارا وليلا يحيطون بها على أسوارها وإثم ومشقّة فى وسطها . مفاسد فى وسطها ولايبرح من ساحتها ظلم وغش. لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل ليس مبغضى تعظّم فأختبىء منه . بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا

العشرة . إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور . ليبغتهم الموت . لينحدروا إلى الهاوية أحياء لأن فى مساكنهم فى وسطهم شرورا) .

(أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى.)(١-١٦)

ونقـــرأ عـــن الآية التى تشير إلى الخائن فى هذا المزمور ، وتبين سبب ألم المتحدّث فيه، من أنه ليس عدو يعيرّه فيحتمل ، وليس مبغضه تعظّم فيختبئ منه، بل هو إنسان عديله، إلفه وصديقه، الذى معه كانت تحلو له العشرة، نقرأ عنها أنها تتنبأ بأن الذى سيسلم المسيح هو واحد من تلاميذه [١] ، فالمزمور عندهم إذن يتنبأ عن المسيح ، وكأنه يتحدث بلسانه، فبم هو يتنبأ عنه غير ماتقدّم.

إنه يبدأ بالدعاء إلى الله أن يصغى إلى صلاته، ويصل إلى القول بأنه إلى الله يصرخ والله يخلصه، وفى ذلك نبوءة واضحة باستجابة الله لدعاء مسيحه، بتخليصه من أعدائه .

ثم إنه بعد أن بدأ بالدعاء، يصف هذا الذى يدعو الله أن يخلّصه منه، فيقول أن أهوال الموت سقطت عليه، فأتى عليه خوف ورعدة وغشيه رعب، وهذا هو حال المسيح عند وصول الأعداء إليه للقبض عليه ليقتلوه، وهنا يتمنى لو كان له جناح كالحمامة فيطير ويستريح، وفى هذا أيضا إشارة واضحة إلى أنه لامجال لتخليصه فى هذه اللحظة إلاّ برفعه من بين الأعداء، ولذلك يتمنى أن يكون له جناح كالحمامة فيطير، وبالطبع لا يستطيع .

---

(١) كتاب (قضية الصليب) للقس لبيب ميخائيل صفحة ٨٧ .

أما اللـه ، فكمـا يقول المزمور، فقد كان أسرع فى نجاته من الريح العاصفة ومن النوء، فـهل أصـدق من هـذا تعبير، عن رفع الله لمسيحه إليه، من بـين الأعداء، فى اللحظة التى هموا فيها بالقبض عليه، لقد كان أسرع فى نجـاته عندئذ من الريح العاصفة ومن النوء، حتى أنهم لم يدركوا حينئذ ، أن اللـه قد رفعـه إليه، وكل ماعرفوه أن أمرا غريبا قد وقع فى نفس اللحظة، وهو رجـوعهم إلى الـوراء وسقوطهم على الأرض، فهل كان هذا الرجوع إلى الوراء والسـقوط على الأرض، إلا أثـرا لقدرة الله وقوته، التى كانت فى نجاة المسيح من بينهم، أسرع من الريح العاصفة ومن النوء.

وهكذا لاتوجد فى هذا المزمور، الذى يجد فيه المسيحيون نبوءة عن المسيح، إلا نبوءة صريحة فى تنجية الله له، بتخليصه من بين أعدائه.

المزمور السابع والخمسون:

لامام المغنّين. على لاتهلك. مذهّبة لداود عندما هرب من قدّام شاول فى المغارة .

(ارحـمنى يا اللـه ارحـمنى لأنـه بك احتمـت نفسـى وبظـلّ جنـاحيك أحتمى إلى أن تعبر المصائب. أصـرخ إلى اللـه العلى الله المحامى عنى. يرسل من السماء ويخلّصنى. عيـّر الذى يتهممنى. سلاه. يرسل الله رحمته وحقه. نفسى بين الأشبال. أضطجـع بين المتقدين بنى آدم أسنـانهم أسنة وسهام ولسانهم سيف ماض. ارتفع اللهم على السماوات . ليرتفع على كل الأرض مجدك . هيأوا شبكة

لخطواتي . انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرة. سقطوا في وسطها . سلاه.) «١ – ٦»

وإذ يبدأ المزمور بتوجيه الدعاء إلى الله، ثم يقرر أن الله سيستجيب لهذا الدعاء، نستخلص من ذلك قصد التنبؤ بهذه الاستجابة.

ويصف الداعي في المزمور ، كيفية استجابة الله لدعائه إليه أن يحميه ، فيقول أن الله يرسل من السماء ويخلّصه، ولازم ذلك أن إلى السماء يرفعه، وهو مايماثل ماقرأناه في المزمور الثامن عشر من قوله:

(أرسل من العلا فأخذني.) «٦»

أما الخائن يهوذا الاسخريوطي، فهو من يشير إليه المزمور حين يقول:

(هيّأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرة. سقطوا في وسطها.) «٦»

وهو مايطابق تماما، ماسبق أن قرأناه عن يهوذا الاسخريوطي في هذا الخصوص، في مزامير سابقة، بما لايحتاج إلى العودة لايضاحه في شأن هذا المزمور.

وبذلك تتكامل النبوءة في هذا المزمور، عن تخليص الله لمسيحه، بأن يرسل من السماء ويخلّصه، بينما تلقي الأيادي على يهوذا الاسخريوطي، فيحاكم ويصلب بدلا من المسيح، وبذلك يسقط أمام المسيح في نفس الحفرة التي حفرها له.

المزمور التاسع والستون:

لامام المغنّين على السوسن . لداود

(خلّصنى يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسى. غرقت فى حمأة عميقة وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرنى. تعبت من صراخى. يبس حلقى. كلّت عيناى من انتظار إلهى. أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب. اعتزّ مستهلكىّ أعدائى ظلما. حينئذ رددت الذى لم أخطفه.

يا الله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف. لايخز بى منتظروك ياسيد رب الجنود. لايخجل بى ملتمسوك ياإله اسرائيل. لأنى من أجلك احتملت العار. غطّى الخجل وجهى. صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى. لأن غيرة بيتك أكلتنى وتعييرات معيريك وقعت على. وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا علىّ. جعلت لباسى مسحا وصرت لهم مثلا. يتكلّم فىّ الجالسون فى الباب وأغانىّ شرّابى المسكر.

أما أنا فلك صلاتى يارب فى وقت رضى يا الله بكثرة رحمتك استجب لى بحق خلاصك. نجّنى من الطين فلا أغرق نجّنى من مبغضى ومن أعماق المياه. لا يغمرنى سيل المياه ولايبتلعنى العمق ولاتطبق الهاوية علىّ فاها. استجب لى يارب لأن رحمتك صالحة. ككثرة مراحمك التفت إلى. ولا تحجب وجهك عن عبدك. لأن لى ضيقا. استجب لى سريعا. اقترب إلى نفسى. فكّها. بسبب أعدائى افدنى. أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى. قدّامك جميع مضايقىّ. العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت

رقة فلم تكن ومعزّين فلم أجد. ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلاً.) «١-٢١»

وقد أشار إنجيل يوحنا إلى الآية الأخيرة التى تقول:

(ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلاً .)

وذلك باعتبار أن الآية المذكورة، إنما تتنبأ بسقى المسيح خلاً وهو على الصليب، حيث قال فى هذا الخصوص:

(بعد هذا رأي يسوع أن كل شئ قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. وكان إناء موضوعا مملوّا خلاً. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدّموها إلى فمه.) «ص١٩: ٢٨و٢٩»

فالآية المذكورة ، هى الكتاب المشار إليه فى هاتين الآيتين من إنجيل يوحنا، ولذلك يعتبر المسيحيون أن هذا المزمور يتنبأ عن المصلوب، والذى هو المسيح عندهم، ولنطالع المزمور إذن، لنتبين عمّن هو يتنبأ .

وأول مايلاحظ بالنسبة لهذا المزمور، هو اختلاف أسلوب الدعاء فيه، عن أسلوب الدعاء فى المزامير التى وجدنا أنها تتنبأ عن المسيح، ففى الأخيرة، كنا نجد الدعاء يقترن بالقطع باستجابته، مثل:

(أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى.) «مز١٨ :٣»

و **(طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كلّ مخاوفى أنقذنى.)** «مز٣٤: ٤»

كما نجد أن الداعى، فى المزامير السابقة، التى تتنبأ عن المسيح، واثق

ومطمئن إلى أن استجابة الله لدعائه، هي مايستحقّه منه، فتلك هي معاملته حسب برّه وحسب طهارة يده، ومن ذلك :

(خلّصني لأنه سرّ بي. يكافئني الرب حسب برّي. حسب طهارة يدى يرد لي.) «مز ١٨ :١٩و٢٠»

أما هذا المزمور، فعلى العكس ، فهو من ناحية قد خلا من أى إشارة تفيد أن دعاء هذا الداعى فيه سيستجاب، رغم شدّة تذلله إلى الله بالدعاء، ومن ناحية أخرى، فإننا نرى الداعى فيه، يعرف أن دعاءه غير حقيق بأن يستجاب، ومع ذلك فهو يدعو الله، بل ويلح فى الدعاء، ليس لأنه يرى أن دعاءه حقيق بأن يستجاب، وإنما طمعا فى كثرة رحمة الله فحسب، وإن كان دعاؤه لايستحق أن يستجاب، وفى ذلك يقول الداعى فى المزمور:

(بكثرة رحمتك استجب لي) «١٣»

و (ككثرة مراحمك التفت إلى .) «١٦»

واختلاف أسلوب الدعاء فى هذا المزمور، عنه فيما تقدّم من المزامير، التى وجدنا أنها تتنبأ عن المسيح، على التفصيل المتقدّم، يقطع بأن الداعى فى هذا المزمور، غير الداعى فى تلك المزامير الأخرى، أى يقطع بالتالى بأن الداعى فى هذا المزمور ليس المسيح.

وفوق هذا، فإن عبارات الداعى نفسه فى هذا المزمور، تقطع فى حدا ذاتها، بأن هذا الداعى لايمكن أن يكون المسيح، فهو يقول فى دعائه مخاطبا الله :

(يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف .) «٦»

و (أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى.) «١٩»

فأين من يجرؤ أن يقول بانطباق هذه الأقوال على المسيح ، هل عرف الله للمسيح حماقة، هل عرف الله للمسيح ذنوبا، هل يعرف الله للمسيح عارا وخزيا وخجلا، حاشى لله أن يقال شئ من هذا عن المسيح، وحاشى لله إذن أن يكون المسيح هو المتحدّث فى هذا المزمور.

إنه يهوذا الاسخريوطى، الذى عرف الله حماقته، وذنوبه عن الله لم تخف، والله قد عرف عاره وخزيه وخجله، وهو لهذا يعرف أن دعاءه غير حقيق بأن يستجاب، ومع ذلك فهو يدعو الله ، بل ويلح فى الدعاء، طمعا رغم ذلك فى كثرة رحمة الله ، ترى، ألا يفسّر لنا ذلك أيضا صيحته على الصليب، بعد أن يئس من استجابة الله لدعائه، فقال :

(إلهى إلهى لماذا تركتنى .) «متى ص ٢٧ :٤٦»

على أن الداعى فى هذا المزمور، يقول عبارة قد تبدو غريبة، وغير مفهومة، إذ يقول :

(حينئذ رددت الذى لم أخطفه .) «٤»

فأى معنى يمكن أن يكون لهذه الآية، إذا كان الداعى فيها هو المسيح، ومن هذا الذى يمكن أن يكون قد رده، حال أنه لم يخطفه، إن هذه الآية لايستقيم لها أى معنى، إذا كان الداعى فى المزمور، هو المسيح، ولايستقيم لها معنى، إلاّ أن يكون الداعى فى المزمور هو يهوذا الاسخريوطى .

فيهوذا قد وصل إلى المسيح، على رأس الأعداء، ليخطفه من بين تلاميذه، وإذ يخلّص الله مسيحه، برفعه من أمام من قدموا للقبض عليه، فيرجع هؤلاء إلى

الوراء ويسقطون على الأرض، ثم يقومون ثانية فلا يجدون بين أيديهم غير هذا الخائن يهوذا، فيلقون عليه الأيادى ظنا منهم أنه المسيح الذى قدموا للقبض عليه، أما هو، فيقف مسلما لهم، مشدوها بما جرى أمامه، فلا ينفى لمن قبضوا عليه كونه المسيح، بل يستسلم لظنّهم هذا، ولا يفصح بعد ذلك لمن حاكموه عن حقيقة شخصيته حتى صلب، سترا منه لأمر اختفاء المسيح عند محاولة القبض عليه، ولعلّه رأي فى سكوته هذا، حماية منه للمسيح نفسه، وبذلك، يكون يهوذا وقد قدم لخطف المسيح، إلاّ أنه فى الواقع لم يخطفه، وإن ظنّ الناس عكس ذلك ، ويهوذا هنا هو من يستطيع فى هذه الحالة، أن يتصوّر أنه بسكوته بعد تخليص الله لمسيحه، وعدم كشفه بعد ذلك لحقيقة شخصيته، حماية منه للمسيح نفسه، يتصور أنه بذلك يكون وكأنه قد ردّ المسيح الذى لم يخطفه، ولذا جاءت الآية القائلة (حينئذ رددت الذى لم أخطفه) على لسانه فى هذا المزمور.

ثم نقرأ فى نفس المزمور كذلك ، قول الداعى فيه ، والذى لا خلاف على أنه يتحدّث بلسان المصلوب :

(صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى .) «٨»

وكالآية السابقة، لايستقيم لهذه الآية بدورها أى معنى، إذا كان المصلوب هو المسيح ، ويستقيم لها المعنى تماما إذا كان المصلوب هو يهوذا الاسخريوطى، ذلك أنه وقد صلب على أنه المسيح، وظن الناس أن هذا الذى علّق على الصليب هو المسيح، ولم يعرفوا فيه يهوذا الاسخريوطى، فإن يهوذا بذلك، يكون قد صار أجنبيا عند إخوته، وغريبا عند بنى أمه، ولقد صار كذلك، لأنهم ظنوا أنه المسيح، ولم يعرفوا فيه يهوذا أخاهم، وهكذا يستقيم لهذه الآية معناها، وهى بذلك تكشف عن حقيقة شخصية المصلوب بما يقطع بأنه ليس المسيح .

وهكذا، فإذ المسلّم به، أن هذا المزمور يتنبأ عن المصلوب، فإن آياته قاطعة بالنسبة لشخصه، بأنه يهوذا الاسخريوطي، وليس المسيح أبدا ، أو بأى حال.

المزمور الحادي والتسعون : (كاملا)

(الساكن في ستر العلى فى ظل القدير يبيت. أقول للرب ملجئى وحصنى إلهى فأتكل عليه. لأنه ينجيّك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر. بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي. ترس ومجنّ حقه. لاتخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار. ولا من وباء يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة. يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك. إليك لايقرب. إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار .

لأنك قلت أنت يارب ملجئى. جعلت العلىّ مسكنك. لايلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. على الأسد والصل تطأ. الشبل والثعبان تدوس. لأنه تعلق بى أنجّيه أرفعه لأنه عرف اسمي. يدعونى فأستجيب له. معه أنا فى الضيق. أنقذه وأمجّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى.)

ويخبرنا إنجيلا متي ولوقا، بما نعرف منه أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح ، إذ نقرأ فى إنجيل متى عن المسيح، عندما أصعد الى البرية ليجرّب من إبليس، أنّ الأخير قال للمسيح :

(إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أنه يوصى

ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك.) «ص٤ :٦و٧»

وهو مايطابق مانقرأه فى إنجيل لوقا من قوله :

(إن كنت ابن الله فاطرح نفسك هنا إلى أسفل. لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك. وأنهم على أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك.) «ص٤ :٩-١١»

وما أشار كل من هذين النصين، إلى أنه مكتوب عن المسيح، هو ما ورد فى هذا المزمور الحادى والتسعون من قوله :

(لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك.) «١١و١٢»

لهذا يتفق المسيحيون، على أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح ، فلنر إذن بم هو يتنبأ عنه .

إنه يقول أن الله ينجّيه من فخ الصياد، وما وصول يهوذا ومن معه إلى المسيح للقبض عليه، ومحاولة يهوذا تقبيله عندئذ، تلك القبلة التى كانت علامة لمن معه للقبض على المسيح، ماكل ذلك إلاّ فخ الصياد الذى أشار إليه المزمور، وإن الله لمنجّيه منه كما قرأنا.

ويمضى المزمور بيانا لأمر تنجية الله لمسيحه فيقول :

(بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى.) «٤»

تماما كما قرأنا فى المزمور السابع والعشرين من قوله :

(لأنه يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر. يسترنى بستر خيمته.)«٥»

وتدل الآيتان، وعلى نحو ماذكرنا من قبل، فى التعليق على الآية الأخيرة، على أن تنجية الله لمسيحه، برفعه إليه من بين أعدائه، بتتم فى خفاء عن الناس، ولهذا التبس الأمر عليهم ، وشبه لهم أن المسيح هو من قبض عليه، وحوكم وصلِّب بالتالى .

ثم يقول المزمور أنه عن جانبه يسقط ألف، وربوات عن يمينه، وفى هذا مايشير إلى أمر رجوع الأعداء إلى الوراء وسقوطهم على الأرض، بعد وصولهم إلى المسيح للقبض عليه، وذلك على نحو مافصلنا من قبل، عما ذكره يوحنا فى إنجيله فى هذا الشأن .

ثم يورد المزمور بعد ذلك ، مايعيد تأكيد عدم إلقاء القبض على المسيح بقوله:

(إليك لا يقرب . إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار.) «٧و٨»

إن ألفا يسقطون إلى جانبه، وربوات عن يمينه، كما رأينا، أما هو، أى المسيح، فإليه لايقرب، هكذا قال المزمور، بل إنما أيضا بعينيه ينظر فيرى مجازاة الأشرار، كما قال المزمور، وهل مجازاة الأشرار هنا، التى سينظر فيراها، إلاّ يهوذا الشرير، مقبوضا عليه ثم مصلوبا بدلا منه.

فإذا قال المزمور بعد ذلك:

(لأنك قلت أنت يارب ملجئى. جعلت العلى مسكنك. لا يلاقيك شرّ ولاتدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. ...لأنه تعلق بى

أنجيه. أرفعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أنقذه وأمّجده.) «٩-١٦»

فما هي النبوءة التي تقول بها هذه الآيات، لأنه قال أنت يارب ملجئي، جعل العليّ مسكنه، أليس هذا هو رفعه إلى السماء، وهو نفس ماقرأناه في المزمور الثامن عشر من قبل من قوله :

(أرسل من العلا فأخذني.) «١٦»

وبذلك جعل من العليّ مسكنه.

ثم يقول أنه لايلاقيه شر، ولاتدنو ضربة من خيمته، ويوضح كيف يكون ذلك، فيقول أنه يوصي ملائكته به لكي يحفظوه في كل طرقه، على الأيدى يحملونه لئلا تصدم بحجر رجله، فهل يعنى ذلك إلا أن الله رافعه إليه، فيوصى ملائكته لكي يحفظوه، وعلى الأيدى يحملونه، حتى يكون من العلى مسكنه، ولذلك لن يلاقيه شر ولن تدنو ضربة من خيمته.

وهذا هو أيضا مايدل عليه قول المزمور بعد ذلك، أن الله ينجّيه لأنه تعلّق به، يرفعه لأنه عرف اسمه، يدعوه فيستجيب له، معه هو في الضيق، ينقذه ويمجّده، وقد عرفنا من قبل في التعليق على المزمورين الرابع والحادى والعشرين، ماهو المجد الحقيقي للمسيح، ألا وهو تخليص الله له، وهكذا، فان الآيات المتتالية السابقة، لاتحتمل إلاّ معنى واحدا وهو أن الله ممجد مسيحه بتخليصه الذى يكون برفعه إلى العلا، وذلك في نفس لحظة محاولة القبض عليه، فيوصى ملائكته لكي يحفظوه، وعلى الأيدى يحملونه.

ويقر المسيحيون بأن المقصود من الآية التي تشير إلى حمل الملائكة

للمسيح على أيدى، هو رفع الملائكة للمسيح إلى السماء، وفى ذلك نقرأ:

(«على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك» (ع١٢):

عندما أصعد المسيح إلى السماء كان محمولا على أيدى الملائكة. ...اذن فلا غرابة ان كان ربنا قد أصعد الى السماء بأيدى الملائكة لكى لاتصدم بحجر رجله.)[1].

ولكنهم يرون أن رفعه هذا، إنما كان بعد صلبه ودفنه وماقيل عن قيامته من بين الأموات، ولكن هل فى المزمور مايؤيد ذلك، لا أظن أن أحدا يستطيع أن يستخلص من المزمور، إلاّ أن الله مخلّص مسيحه، لحظة محاولة القبض عليه على نحو مارأينا تفصيلا فيما سبق.

وهكذا لانجد فى هذا المزمور، الذى يتفق المسيحيون على أنه يتنبأ عن المسيح، إلا نبوءة صريحة قاطعة، بتخليص الله له لحظة محاولة القبض عليه، برفعه له، وعندها ينظر، فيرى مجازاة الأشرار، وذلك بالقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه.

المزمور المائة والتاسع:

لامام المغنّين. لداود. مزمور

(يا إله تسبيحى لاتسكت. لأنه قد انفتح علىّ فم الشرير وفم الغش.

(١) كتاب (تفسير المزامير) للقديس أغسطينوس الجزء الأول وهو من سلسلة كتابات الآباء لبيت التكريس بحلوان صفحة ١٧٣-١٧٥.

تكلموا معى بلسان كذب. بكلام بغض أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب. بدل محبّتى يخاصموننى. أما أنا فصلاة. وضعوا علىّ شراً بدل خير وبغضا بدل حبّى.

فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيّة. لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر.) (١-٨)

وينبئنا بطرس فى سفر أعمال الرسل، بأن يهوذا هو الذى تتنبأ عنه الآية الأخيرة، بقوله :

(أيها الرجال الاخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع. وإذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة. ...لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر.) (ص١ :١٦-٢٠)

وتنفيذا للنبوءة التى تقول، وليأخذ وظيفته آخر، فقد اختاروا آخر ليأخذ وظيفة يهوذا، والنبوءة المقصودة ، والتى أشار إليها بطرس، هى آخر آية من الآيات التى ذكرناها من هذا المزمور، والتى تقول :

(ووظيفته ليأخذها آخر.)

يهوذا إذن هو الذى تتنبأ عنه هذه الآية، ويهوذا بالتالى هو الذى تتنبأ عنه الآية التى سبقتها، والتى تقول:

(إذا حوكم فليخرج مذنبا)

لأن الآيتين متتاليتان، وتتحدثان معا عن شخص واحد، وقد حقق بطرس ذلك الشق من النبوءة القائل:

(ووظيفته ليأخذها آخر .)

* فمتى إذن تحقق الشق الأول، القائل عن نفس الشخص ، وهو يهوذا كما أنبأنا بطرس :

(إذا حوكم فليخرج مذنبا)

أليس تحقق هذه النبوءة ، هو ما كان بمثول يهوذا فى المحاكمة على أنه المسيح، تلك المحاكمة التى خرج منها مذنبا كما تدلنا الأناجيل، وإن ظن مؤلفوها أن المسيح هو الذى حوكم، وإلاّ ، فليدلّنا من يعترض على ذلك، عن تلك المحاكمة التى مثل فيها يهوذا وخرج مذنبا، وقبل أن يأخذ وظيفته آخر، إن لم تكن هى هذه المحاكمة التى أشرنا إليها.

وهكذا نخلص من هذا المزمور، الذى يتفق المسيحيون على أنه يتنبأ عن يهوذا الاسخريوطى، إلى أنه يتنبأ بحق، بأن يهوذا هو الذى سيمثل فى المحاكمة ويخرج مذنبا بدلا من المسيح .

المزمور المائة والثامن عشر:

(احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته. ليقل اسرائيل إنّ إلى الأبد رحمته. ليقل بيت هارون إنّ إلى الأبد رحمته. ليقل متّقو الرب إنّ الى الأبد رحمته.

من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب. الرب لى فلا أخاف. ماذا يصنع بى الانسان. الرب لى بين معينىّ وأنا سأرى بأعدائى. الاحتماء بالرب خير من التوكّل على إنسان. الاحتماء بالرب خير من التوكّل على الرؤساء. كلّ الأمم أحاطوا بى. باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى واكتنفونى. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بى مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك . باسم الرب أبيدهم. دحرتنى دحورا لأسقط. أما الرب فعضّدنى. قوتى وترنمى الرب وقد صار لى خلاصا. صوت ترنّم وخلاص فى خيام الصدّيقين. يمين الرب صانعة ببأس. يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس. لا أموت بل أحيا وأحدّث بأعمال الرب. تأديبا أدّبنى الرب والى الموت لم يسلّمنى.

افتحوا لى أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا.) «١-٢٣»

ويخبرنا بطرس فى سفر أعمال الرسل، بأن المسيح هو المقصود بقول المزمور المذكور :

(الحجر الذى رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية.) «٢٢»

إذ جاء فى سفر أعمال الرسل قول بطرس عن المسيح :

(هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية.) «ص:٤:١١»

فاذا كان المسيح هو المقصود بالآية المذكورة ، والتى وردت فى هذا المزمور، فبم يتنبأ المزمور عنه .

إنه يبدأ بالقول بأنه من الضيق دعا الرب فأجابه من الرحب، ونعرف أن دعاء المسيح إلى الله فى يوم الضيق كان أن يجيز عنه كأس الصلب، هذا هو الضيق الذى دعا الله منه، وهو مايؤكده شرح المزمور لهذا الضيق بقوله:

(أحاطوا بى واكتنفونى .... أحاطوا بى مثل النحل.) «١١»

ويقطع المزمور باستجابة دعاء المسيح بتخليصه من الصلب بقوله :

(لا أموت بل أحيا) «١٧»

و (إلى الموت لم يسلمنى .) «١٨»

وبذلك لا يكون فى هذا المزمور أيضا، والذى يتفق المسيحيون على أنه يتنبأ عن المسيح، إلا نبوءة قاطعة باستجابة الله لدعائه فى يوم الضيق، فلا يسلمه إلى الموت، فلا يموت، بل يحيا، وذلك بطبيعة الحال إنما كان بتخليصه من الصلب، وليس بصلبه .

المزمور المائة والثاني والثلاثون :

ترنيمة المصاعد

(من أجل داود عبدك لاتردّ وجه مسيحك.) «١٠»

ولعل فى هذه الآية، من المزمور المائة والثانى والثلاثين، خير ختام لهذا المبحث، فالداعى فيها يتشفّع إلى الله، بداود عبده، ألاّ يرد وجه مسيحه، والمقصود بطبيعة الحال، ألا يرد دعاء مسيحه إليه فى يوم الضيق، بأن يجيز عنه

كأس الصلب، وإنه لخير تشفع، لأكرم متشفَّع له، ولأحق دعاء باستجابة الله له، ولقد استجابه حقاً، على نحو ماوجدنا يقينا فى كل هذا المبحث .

المبحث الثاني

الحقيقة في المزامير

بعد كل ماسبق، ماهى الحقيقة التى وجدناها فى المزامير ، وبأيّ الصورتين هى تتنبأ ، بالصورة المسيحية، أم بالصورة الاسلامية.

تبدأ الصورتان متفقتان معا، على أنه كانت هناك مؤامرة لقتل المسيح، وفى شأن هذه المؤامرة نقرأ فى إنجيل متى :

(حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا. وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه.) «ص٢٦ :٣و٤»

ومن هذه البداية، بدأت النبوءات فى المزامير، فأشار المزمور الثانى باستنكار إلى هذه المؤامرة، فقال:

(لماذا ارتجّت الأمم وتفكّر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين. لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما.) «١-٣»

على أن نفس المزمور، يستطرد بعد إشارته إلى هذه المؤامرة مباشرة ، فيقول:

(الساكن فى السماوات يضحك. الرب يستهزى بهم.) «٤»

ويثور التساؤل، فيم ضحك الساكن فى السماوات من هذه المؤامرة، ولم هو يستهزئ بالمتآمرين، ويجيب المزمور السابع والثلاثون على هذا التساؤل، ببيان نتيجة هذه المؤامرة بالنسبة للشرير، حين يقول:

(الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأىَ أن يومه آتٍ.) «١٢و١٣»

فنفهم أن سبب الضحك والاستهزاء، هو أن هذه المؤامرة لن تنال من المسيح، وإنما ستنال من الشرير نفسه، لأنه بها سيأتى يومه، والمقصود يوم موته.

وتستمر الصورتان معا على اتفاق، فنرى فى كل منهما المسيح فى يوم الضيق، يصلى إلى الله أعمق الصلاة، ويدعو بأشد رجاء، أن يجيز الله عنه كأس الصلب، فيرفعها عنه.

ويقابل ذلك تصاعد الدعاء فى المزامير، من البار الكامل صاحب المجد، نبوءة عن تلك الصلاة من المسيح إلى الله، ودعائه إليه أن يجيز عنه كأس الصلب، وهو دعاء من أحق داع بأحق دعاء بأن يستجاب، وفى ذلك قرأنا فى المزامير:

(يارب إلهى ... إن وجد ظلم فى يدىّ. ... فليطارد عدو نفسى وليدركها وليدس إلى الأرض حياتى وليحط إلى التراب مجدى.) «مز٧: ٣-٥»

و **(اقض لى يارب كحقى ومثل كمالى الذى فىّ.)** «مز ٧: ٨»

ويتصاعد الدعاء فى المزامير، كأنه المسيح نفسه، يدعو الله أن يستجيب لدعائه فى يوم الضيق:

(عند دعائى استجب لى يا إله برّى.) (مز ٤ :١)

بل إن داود نفسه، يدعو الله، أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، فيقول :

(ليستجب لك الرب فى يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب.) (مز٢٠ :١)

ويتشفّع المتشفّع إلى الله بداود عبده ألا يرد وجه مسيحه:

(من أجل داود عبدك لاترد وجه مسيحك.) (مز ١٣٢ :١٠)

إلى هنا، تلتقى الصورتان المسيحية والاسلامية، وتلتقى معهما معا كذلك، النبوءات فى المزامير، ولكن إلى هنا فقط تلتقيان، وبعد هذا تختلف الصورتان، فمع أى منهما تلتقى النبوءات فى المزامير.

أول من ينبئنا بنتيجة دعاء المسيح إلى الله أن يخلّصه من الصلب، أن يجيز عنه كأس الصلب، هو داود النبى، فبعد دعائه إلى الله فى المزمور العشرين، أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، بأن يرفعه، يمضى فى نفس المزمور، فيتنبأ بصريح العبارة، وبأجلى قصد للتنبؤ، فيقول :

(الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه) (مز ٢٠ :٦)

ثم يربط فى وضوح وجلاء، بين تنبّؤه هذا بتخليص الله لمسيحه، وبين دعائه إلى الله فى أول المزمور، أن يستجيب لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، باستطراده مكمّلا نفس الآية السابقة، بقوله :

(يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه.) (مز٢٠ :٦)

ثم يستطرد، بعد الآية السابقة، موضحا كيف سيكون تخليص الله له فيقول :

(هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل.) «٧»

إشارة إلى من قدموا للقبض على المسيح، ثم يضيف بعدها:

(أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر.) «٧ أيضا»

إشارة إلى المسيح بطبيعة الحال ، وبعدها يقول :

(هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا. يارب خلص. ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا.) «٨و٩»

إشارة إلى رجوع الأعداء إلى الوراء وسقوطهم على الأرض عندئذ من ناحية، وذلك على نحو ماقرأنا فى إنجيل يوحنا، وإلى استجابة الله لدعاء مسيحه وتخليصه، من ناحية أخرى .

وتصدح النبوءات فى المزامير، قاطعة باستجابة الله لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، وتصف بأجلى صورة وأوضح بيان، كيف سيكون تخليص الله لمسيحه فتقول :

(لأنه ينجيّك من فخ الصياد ... بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى . ... يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك. إليك لايقرب.) «مز٩١:٣-٧»

و (لأنه يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر. يسترنى بستر خيمته. على صخرة يرفعنى.) «مز٢٧: ٥»

و (طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى.) «مز٣٤: ٤»

و (كثيرة هى بلايا الصدّيق ومن جميعها ينجّيه الرب. يحفظ جميع عظامه. واحد منها لاينكسر.) «مز ٣٤: ١٩و٢٠»

و (فى يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه. يغتبط فى الأرض ولايسلّمه إلى مرام أعدائه.) «مز ٤١: ١و٢»

و (لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فسادا.) «مز١٦: ١٠»

و (لأنهم نصبوا عليك شرا. تفكروا بمكيدة. لم يستطيعوها.) «مز٢١: ١١»

وهكذا قطعت النبوءات بتخليص الله لمسيحه، استجابة لدعائه إليه فى يوم الضيق، بل وأوضحت أن ذلك سيتم فى خفاء عن الناس، ثم تمضى النبوءات مفصّلة كيفية تخليص الله لمسيحه، فتقول:

(ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها إلى العلا.) «مز٧: ٧»

و (... يارافعى من أبواب الموت.) «مز ٩: ١٣»

و (أرسل من العلا فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة. أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى. أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى. أخرجنى إلى الرحب. خلصنى لأنه سرّ بى.) «مز١٨: ١٦-١٩»

و (يرسل من السماء ويخلصنى .) (مز ٥٧: ٣)

و (كنت أسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء.) (مز ٥٥: ٨)

و (لايلاقيك شر ولاتدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك فى كل طرقك. على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك.) (مز ٩١: ١٠-١٢)

هكذا تنبأت المزامير، فى وضوح وجلاء، باستجابة الله لدعاء مسيحه فى يوم الضيق، برفعه إليه، موضحة ذلك بكل تفصيل، فتقول أنه عند وصول الأعداء إلى المسيح للقبض عليه، يسقط عن جانبه ألف، وربوات عن يمينه ، إليه لايقرب، لا تدنو ضربة من خيمته، يظلله الله بخوافيه وتحت أجنحته يحتمى، يستره بستر خيمته، يرسل من السماء ويخلّصه، يرسل من العلا فيأخذه، ينشله، يرفعه من أبواب الموت، يكون فى نجاته أسرع من الريح العاصفة ومن النوء، ويوصى ملائكته به، فعلى الأيدى يحملونه، لئلا تصدم بحجر رجله.

تماما تماما كما تقرر الصورة الاسلامية .

وتعرفنا النبوءات أيضا بشخص من سيقوم بخيانة المسيح، وارشاد أعدائه للقبض عليه، فنرى فى هذه النبوءات، وكأن المسيح يعرفّنا به فيقول:

(أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به. آكل خبزى رفع علىّ عقبه.) (مز ٤١: ٩)

و (لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل. ليس مبغضى تعظّم على فأختبئ منه. بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى. الذى معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور.) (مز ٥٥: ١٢-١٤)

فتدلنا هذه الآيات على أن الخائن سيكون من تلاميذ المسيح، وهو ماينطبق على يهوذا الاسخريوطى.

وتمضى النبوءات فى المزامير، لتعرّفنا بما سيكون من أمر هذا الخائن ، ترى، ما الذى يكون منه، وهو الوحيد الذى لم تخف عنه معجزة تخليص الله لمسيحه طبقا للصورة الاسلامية، وما كان لها أن تخفى عنه وقد قبض عليه هو بدلا من المسيح، وظنا ممن قبضوا عليه بأنه المسيح نفسه، إنه طبقا للصورة الاسلامية، لا يكشف أمر تخليص الله لمسيحه، ولا يفصح عن حقيقة شخصيته، لعله ظن بذلك أنه يحمى المسيح من أن يعاود الأعداء محاولتهم ثانية، فيتصور نفسه بذلك وكأنه يرد المسيح الذى حاول خطفه، وإن كان فى الواقع لم يخطفه، وهذا ماعبرت عنه النبوءة بلسان يهوذا حين قالت :

(حينئذ رددت الذى لم أخطفه.) (مز ٦٩:٤)

وتمضى النبوءات فى تكاملها مع الصورة الاسلامية، فالرب لم يترك مسيحه فى أيدى الأعداء، وإنما توفاه ورفعه إليه، وألقى الأعداء القبض على يهوذا الاسخريوطى، ظنا منهم أنه المسيح، وتنعقد المحاكمة لمحاكمة المسيح، ويصدر الحكم فيها بالادانة، ولكن هل كان المسيح هو من صدر عليه الحكم فعلا، لا، لأن الذى مثل فى المحاكمة فى الواقع كان يهوذا وليس المسيح، وبالتالى، فان الحكم لايكون قد صدر فى الواقع على المسيح، وإنما على يهوذا، وفى ذلك النبوءة تقول عن المسيح :

(الرب لايتركه فى يده ولايحكم عليه عند محاكمته.) (مز٣٧:٣٣)

أما عندما تشير المزامير إلى يهوذا، باعتباره هو الماثل فى الواقع فى المحاكمة، فإنها تتنبأ عن ذلك فتقول:

(فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر.) «مز١٠٩: ٦-٨»

فقد أنبأنا بطرس كما وجدنا من قبل، بأن يهوذا الاسخريوطى هو المقصود بالشق الأخير، القائل عن وظيفته ليأخذها آخر «أعمال ص٢ :٢٠»، وهو بالتالى الذى مثل فى المحاكمة وخرج مذنبا.

فما الذى يحيق بيهوذا بعد ذلك، هذا ماتقطع به النبوءات فى المزامير حين تقول:

(هوذا يمخض بالاثم. حمل تعبا وولد كذبا. كرا جبا. حفره فسقط فى الهوة التى صنع. يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه.) «مز٧: ١٤-١٦»

و **(تورطت الأمم فى الحفرة التى عملوها. فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم. معروف هو الرب قضاءاً أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه.)** «مز٩: ١٥و١٦»

و **(لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسى. لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع.)** «مز٣٥: ٧و٨»

و **(سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيّهم تنكسر.)** «مز ٣٧: ١٥»

و (**هيأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدامي حفرة. سقطوا في وسطها.**) (مز٥٧:٦)

هكذا تنبأت المزامير عن يهوذا، حفر للمسيح حفرة فوقع في وسطها. كرا جباً حفره، فسقط في الهوة التى صنع، في التهلكة نفسها ليقع، فيتحقق بذلك قضاء الرب الأمضي، أن الشرير يعلق بعمل يديه، وهو تماما تماما مايطابق الصورة الاسلامية دون الصورة المسيحية.

ومع ذلك، فإن يهوذا نفسه، ورغم خيانته، يدعو الله أن يخلصه هو الآخر، وهو يعرف أن دعاءه غير حقيق بأن يستجاب، ولكنه مع ذلك يدعو طمعا في كثرة مراحم الله، وإذ تتنبأ المزامير بذلك، تقول:

(**بكثرة رحمتك استجب لي.**) (مز ٦٩:١٣)

و (**ككثرة مراحمك التفت إلي.**) (مز ٦٩:١٦)

ومن ذلك فهمنا سر صيحة يهوذا وهو على الصليب، قبل أن يسلم الروح:

(**إلهي إلهي لماذا تركتني.**) (متى ص ٢٧:٤٦)

وهي نفس الصيحة، التي بدأ بها المزمور الثاني والعشرون، المتفق على أنه يتنبأ عن المصلوب، والذي وجدناه يفسر سبب ترك إلهه له بعد ذلك بقوله:

(**عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيّتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر**) (مز ٢٢:٤-٦)

الله لم يخز آباءه، فنجّاهم، أما هو، فأخزاه الله، ولم ينجه، لأنه دودة لا إنسان، أي حقير كدودة، لايستحق أن يكون إنسانا، لأنه عار عند البشر، وهذا

هو نفس ما أكده فى دعائه إلى الله فى المزامير، حيث وجدناه فيما اعتبر نبوءة عنه، يقول:

(يا الله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف.) (مز٦٩ :٥)

و **(أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى.)** (مز ٦٩ :١٩)

وهكذا استجاب الله لدعاء مسيحه الكريم، فخلّصه بأن رفعه إليه، فى خفاء عن الناس، وقبض على يهوذا الاسخريوطى، وحوكم وصلب على أنه المسيح، ولذا تألم أتباع المسيح وتوجعوا، إذ ظنّوا أنه هو الذى صلب فعلا، بينما أن الواقع أن الذى صلب كان آخر غير المسيح، وحتى بهذا تنبأت المزامير فقالت:

(تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء اخر.) (مز١٦ :٤)

وتمضى قرون تقارب الستة، ويأتى محمد بالقرآن، على أنه وحى الله المنزل عليه، ويعلنها القرآن قاطعة حاسمة، أن المسيح لم يصلب، بل توفّاه الله ورفعه إليه، وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم، وحق بذلك على أتباع المسيح أن يعاودوا النظر فيما شبّه لهم، وأن يقرأوا النبوءات حق قراءتها، وأن يعرفوا يقينا أنها ماتنبأت إلاّ بأن الرب مخلّص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرسل من العلا فيأخذه، يرفعه فوق القائمين عليه، يوصى ملائكته به فعلى الأيدى يحملونه، إلى آخر ماوجدناه، مما صدحت به النبوءات بحق، وعندئذ يفرحون للمسيح ولمجده الحقيقى، بتخليصه من بين الأعداء، برفعه إلى الله، ولكنهم بدلا من ذلك، يظلون على إنكار هذا المجد الحقيقى للمسيح، جاعلين من هذا المجد عارا، بتمسكهم بالقول بصلبه، تاركين مجده الحقيقى الذى يتمثل فى تخليص الله له من الصلب، إلى هذا الباطل وذاك الكذب الذى يتمثل فى القول بصلبه،

وحتى بهذا أيضا تنبأت المزامير، وكأنى بها المسيح نفسه يصرخ فيهم حتى اليوم فيقول لهم :

(يابنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا. حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب. سلاه. فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه. الرب يسمع عندما أدعوه.) (مز٤ :٢و٣)

فهل يعلمون .

الفصل الرابع

ماقد يثور من اعتراضات على الحقيقة التى انتهينا إليها

وصولا إلى تفاصيل الصورة الاسلامية ، عن تخليص الله للمسيح، برفعه إليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه، ألزمنا الصورة الاسلامية بكل مالا يعارضها من تفاصيل الصورة المسيحية، ووصولا إلى الكشف عن الحقيقة، بين الصورتين المسيحية والاسلامية، ارتضينا معيارا للكشف عنها، نفس المعيار الذى يعتمده المسيحيون، ويتخذون منه أساسا لأبحاثهم ودراساتهم، ألا وهو نبوءات العهد القديم، وبالذات نبوءات سفر المزامير، التى يجد فيها المسيحيون، النبوءات عن صلب المسيح، وكنا بذلك وكأننا نحكّم المسيحيين أنفسهم فى الأمر، ومع هذا لم نتردد فى قبول كل ذلك، وفى المضى قدما على هذا الطريق، مادام أنه ليس فى أصول البحث مايوجب الاعتراض عليه أو رفضه .

فماذا كانت نتيجة ذلك كله، لقد وجدنا ، وبإعمال كل ذلك، أن النبوءات جميعا، إنما تطابق كلّ التطابق، الصورة الاسلامية وحدها، ودون غيرها.

لم تكن كلمة واحدة نتسقّطها من هنا أو من هناك، ولم تكن آية واحدة نلتقطها من هذا المزمور أو من ذاك، وإنما كانت النبوءات كلّها، التى وجدناها فى المزامير، والنبوءات كلها، التى يستند إليها المسيحيون أنفسهم، كلها بلا

استثناء، وجدنا بحق أنها إنما تنبأت باستجابة الله لدعاء مسيحه الكريم، بتخليصه من الصلب، برفعه إليه، والقبض على يهوذا الاسخريوطى، ومحاكمته وصلبه بدلا منه .

وإنه ليحق لنا فى أصول البحث، أن نقف عند هذا الحد، ولكننا لسنا بصدد مجرد بحث، إنما نحن بصدد قضية الايمان نفسها، أهم وأعز قضية شخصية لكل إنسان، ولذا، فإننا يجب أن نبلغ فيها حدّ الكمال نفسه، أو أقرب مايمكن إليه، ويقتضينا هذا أن نمضى بعد ذلك، إلى بحث مايمكن أن يثار من اعتراضات على الحقيقة التى انتهينا إليها.

وأول ماقد يثار فى هذا الصدد، هو التساؤل ، عما إذا كانت الصورة التى انتهينا إليها، من تخليص المسيح والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح، يمكن أن تكون صحيحة، خاصة وقد ورد فى إنجيل متى عن يهوذا أنه خنق نفسه، ونخصص لكل من هذين الأمرين مطلبا فى مبحث أول من هذا الفصل.

وثانى ماقد يثار فى هذا الصدد، هو التساؤل، إذا كانت النبوءات واضحة صريحة على النحو السالف تفصيله، فكيف إذن يستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم، على صلب المسيح دون يهوذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم إذن هم لايستدلّون منها على تخليص المسيح والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه، ونخصص لكل من هذين الأمرين مطلبا فى مبحث ثان.

ويلزم بعد ذلك، تفسير أمر تخليص الله لمسيحه، وهو مانخصص له مبحثا ثالثا.

ويبقى أخيرا تساؤل، بشأن مدى صحة الأناجيل المتداولة، بعد أن ثبت لنا، عدم صحة ماورد فيها بشأن تحديد شخص من قبض عليه وحوكم وصلب ، من أنه المسيح، حال أن الصحيح أنه كان يهوذا الاسخريوطى، فهل يمكن لهذه الأناجيل أن تذكر وقائع غير صحيحة، وما السبب فى ذلك، وهذا مانخصص له المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل .

المبحث الأول

مدي إمكانية صحة واقعة رفع المسيح و صلب يهوذا وماذكر عن خنق يهوذا لنفسه

وينقسم هذا المبحث بدوره، وطبقا لما تقدّم، إلى مطلبين :

الأول : فى مدى إمكانية صحة واقعة رفع المسيح وصلب يهوذا .

والثانى : فى شأن ما ورد بإنجيل متى عن خنق يهوذا لنفسه .

المطلب الأول

مدى إمكان صحة واقعة رفع المسيح و صلب يهوذا

صحيح أنه ليبدو غريبا حقا، أن يكون يهوذا هو مرشد الأعداء إلى المسيح للقبض عليه، وإذ يرفع الله المسيح، فإن هؤلاء الأعداء يلقون الأيادى على يهوذا نفسه، ظنا منهم أنه المسيح ، ويحاكم بعد ذلك ويصلب على أنه المسيح أيضا.

على أن هذا إن بدا غريبا بمنطق العصر الحالى، حيث لاتكاد توجد فيه شخصية ذات شأن، إلا وكانت معروفة شكلا من الجميع تقريبا ، إلاّ أننا يجب أن نبحث هذا الأمر بمنطق عصر المسيح نفسه، وإمكانيات ذلك العصر، حيث لافيديو ولا تليفزيون، لاسينما، ولاصحف أو مجلات، وحيث احتاج المتآمرون، رغم انتشار أمر المسيح ودعوته ، إلى من يدلهم عنه ويرشدهم إليه، فأعطاهم يهوذا الاسخريوطى علامة عليه، هى أنه من يقبّله، فدلنا هذا، على أن من توجهوا معه للقبض على المسيح ، لم يكونوا على معرفة بشكله ، وإلا، فما حاجتهم إلى علامة تدلهم عليه، أما يهوذا، فهو أحد تلاميذ المسيح، وبالتالى فإنه كان أقل أهمية منه بالنسبةإليهم، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن معرفتهم أصلا بشكله كانت معدومة .

وإذ يذهب يهوذا عارضا الارشاد عن المسيح، فلابد أنه فاعل ذلك فى خفاء، حتى لا يفتضح أمره، ولذا، فإذا قابل أحدا فى هذا الشأن ،فلن يزيد عن واحد أو اثنين، ولعلّه ، أو لعلّهما، لن يعيرا شكله انتباها، إذ همّهما الوحيد هو القبض على المسيح .

ويتوجه يهوذا على رأس الجمع ليرشدهم عن المسيح، ونعرف أن من معه لايعرفون شكل المسيح، وطبيعى أن يهوذا لن يقابل أفراد هذا الجمع فردا فردا، وإنما يقابل واحدا أو اثنين ممّن قادتهم، ويسير معه أو معهما وخلفهم الجمع الكبير، ونعرف أن الوقت ليل، إذ كانوا يحملون مشاعل، ويستطيع أى امرء أن يعرف ماتحدثه المشاعل من زغللة لعيون حامليها ومن حولهم، حتى أنها لاتتيح لهم رؤية واضحة إلا فى أضيق نطاق.

ونعلم عن تلاميذ المسيح أنهم كانوا فى نفس الوقت نياما، حتى أن المسيح

حاول أكثر من مرة أن يوقظهم، دون جدوى، ونعرف أيضا أنهم هربوا عند محاولة القبض على المسيح، سواء دهمتهم المفاجأة فهربوا، أو قطع أحدهم أذن عبد رئيس الكهنة ثم فرّوا.

ولنستعرض مسرح الواقعة عندئذ، فالمسيح واقف وأمامه يهوذا، وخلف الأخير الجمع وقد أعطاهم علامة على المسيح أنه من يقبله، والمسيح يسأل من يريدون، فيقولون يسوع الناصرى، فلما قال لهم إنى أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، ولاشك أن رفع الله لمسيحه، وأثره المتمثّل فى رجوع الأعداء إلى الوراء وسقوطهم على الأرض، لابد وأن يحدث هرجا، وإذ يعرف الجمع أنهم وصلوا إلى من قدموا للقبض عليه، سيبادر من فى الخلف إلى التقدّم للقبض عليه، وهنا يجدون يهوذا وحده ، واقفا بينهم ، وقد أذهله مارأى، مما كان من تخليص الله للمسيح، وأما الجمع، فيظنون أنه المسيح الذى قدموا للقبض عليه، وهم أصلا لايعرفون شكل المسيح أو يهوذا، فيلقون الأيادى عليه على أنه المسيح، فلا يعترض، ولا ينفى كونه المسيح، ولايفصح عن حقيقة شخصيته، وإذ لايعترض على كونه المسيح ، فمن أين لأحد من الجمع أن يعترض على ذلك ، وحتى لو شك أحدهم فى هذا الأمر، فهل يصرّح بشكّه، هل يعلن خيبته ومن معه، وبدلا من القبض على المسيح، يعود ليعلن مجده، بالطبع لا ، وكيف بعد يستطيع أحد أن يشك، والمقبوض عليه نفسه، لا يعترض على ظنهم بأنه المسيح، مع علمه بما ينتظره باعتباره المسيح من محاكمة وصلب

يقبض الجمع إذن على يهوذا باعتباره المسيح، ويتوجهّون به إلى قيافا رئيس الكهنة، أو إلى حنان حما قيافا أولا ، حسب ماوجدناه من اختلاف الرواية فى

الأناجيل فى هذا الشأن، وما كانت لأى ممن عرض عليهم، فرصة من قبل، للتحقق من شكل المسيح أو يهوذا ، ثم إن لديهم من قبض عليه على أنه المسيح، وهو لاينفى ذلك، فمن أين لهم أن ينفوا عنه ذلك .

ولقد كان هناك من يستطيع أن يكشف حقيقة شخصية المقبوض عليه، وهو بطرس، فهذا رغم هربه مع باقى التلاميذ، اختبأ بعيدا يراقب الجمع يقبضون على من ظنّوه المسيح، ولاشك أنه كان بعيدا إلى الحد الذى يطمئن فيه إلى أن أحدا لا يلاحظه، وهو نفس الحد الذى لا يمكّنه من التعرّف على شخص المقبوض عليه، وهو على أى حال لايسعى إلى هذا التحقق، فهذا أمر لم يشك فيه، وإنما كان همّه أن يعرف ماسيحيق به، ولكنه لايستمر فى تتبعه له، بعد أن كاد أمر صلته به أن يفتضح، فابتعد نهائيا، وضاعت بذلك فرصة تحققه من شخص المقبوض عليه.

ونعود إلى يهوذا فى دار رئيس الكهنة، إنهم يطلبون شهود زور عليه، وتقدّم شاهدا زور يشهدان عليه، بينما هو ساكت لايتكلّم، حتى ليتعجّب رئيس الكهنة، ويسأله أما يسمع مايشهدان به عليه، ثم يسأله مستحلفا إياه، أن يقول إن كان هو المسيح ابن الله، فيقول له أنت قلت، إنه لايجيب بالايجاب، لأنه ليس المسيح فعلا، وإنما هو يهوذا الاسخريوطى، ولعله قد تاب وندم بعد أن عاش معجزة تخليص المسيح، فآثر ألا ينطق بعدها بغش، ولعلّه أيضا راغب فى التستر بذلك على المسيح نفسه، ومع هذا، وكأنما أراد أن يعرّف أتباع المسيح بأنه ليس المسيح، فقال :

(وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) «متى ص٢٦ :٦٤»

وابن الانسان فى إنجيل متى هو المسيح، والمتحدّث يقول أنه من الآن، أى من اللحظة التى هو يتحدّث فيها، يبصرون ابن الانسان على النحو الذى أشار إليه، فكيف يكون ذلك، إلاّ أن يكون هذا المتحدّث شخص آخر غير المسيح، إذ لا يمكن أن يكون هو نفسه المسيح، واقفا بينهم، وفى نفس الوقت يكون المسيح فى مكان آخر، جالسا عن يمين القوة آتيا على سحاب السماء، لاشك إذن أن هذا المتحدّث شخص آخر غير المسيح، ولذا، وحسب اعتقاده، قال أنه فى نفس اللحظة التى كان يتحدّث هو فيها، يرون المسيح جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء.

وفى اليوم التالى، وأمام بيلاطس البنطى، يسأله الأخير إن كان هو المسيح، فلا يجيبه هو الآخر بالايجاب، وإنما، وكما قال فى المرة السابقة، يقول له أنت تقول، ثم لايجيبه ولا عن كلمة واحدة، حتى تعجّب الوالى جدا، فإذا كنا قد رأينا المسيح عند وصول الأعداء إليه للقبض عليه، لايتردد فى أن يجاهر بأنه من يريدون، عندما يقولون له أنهم يريدون يسوع الناصرى، فإذا كان المسيح نفسه هو الماثل أمام قيافا ثم الوالى، ففيم عدم مجاهرته بأنه المسيح، ليس هناك من تفسير لذلك، إلا أن يكون هذا الماثل هنا ليس المسيح، وإنما آخر، نعرف أنه يهوذا الاسخريوطى.

ويعجب الوالى، ويفكّر فى إطلاق سراحه، ولكن الجموع تنادى طالبة آخر، ويسألهم بيلاطس عما يفعله بهذا الذى يظنّونه المسيح، فيقولون جميعا ليصلب، ونفهم من لفظ جميعا هنا، أن أحدا من أتباع المسيح لم يكن بين هذه الجموع، وإلاّ لما اشترك فى المطالبة بصلبه، ويعلو صياح الجميع مطالبين بصلبه، فيغسل بيلاطس يديه معلنا براءته من دم هذا الانسان، وأسلمه ليصلب، وصلب

بالفعل ، إتماما لما تنبأت به المزامير، عن صلب الخائن يهوذا الاسخريوطى بدلا من المسيح.

وهكذا نخلص من كل ذلك، إلى أن الحقيقة التى انتهينا إليها فى الفصل السابق ، يمكن أن تكون صحيحة، بل ووجدنا فى بعض الوقائع، التى رددتها الأناجيل ذاتها، مايمكن أن يساندها.

المطلب الثانى
ماورد بإنجيل متي من خنق يهوذا لنفسه

ينفرد إنجيل متى، بين الأناجيل الأربعة، بالقول عن يهوذا أنه:

(مضى وخنق نفسه .) (ص٢٧ :٥)

وعدم ذكر الأناجيل الثلاثة الأخرى لهذه الواقعة، هو ثانى نقاط ضعف هذه الرواية، لأن أولى هذه النقاط هى ما أثبتناه فى الفصل السابق، من أن يهوذا هو الذى قبض عليه وحوكم وصلب على أنه المسيح .

على أن أسفار العهد الجديد، أوردت رواية أخرى عن موت يهوذا، إذ يقول بطرس فى سفر أعمال الرسل عن يهوذا :

(فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشقّ من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوما عند جميع سكّان أورشليم) (ص١ :١٨و١٩)

ومن الغريب أن يقول لنا بطرس، أن هذا الذى يذكره عن موت يهوذا،

صار معلوما عند جميع سكان أورشليم، ومع ذلك يغفله البشيرون الأربعة فى أناجيلهم، رغم أهمية هذا الأمر إن صحّ، فضلا عن أن يذكر البشير متى فى إنجيله، رواية مغايرة عن موت يهوذا، ذلك أن قوله عنه أنه مضى وخنق نفسه، معناه أن يهوذا انتحر شنقا بخنق نفسه، أما رواية بطرس فلا تفيد أى انتحار، وإنما هى تشير وكأن لعنة من الله قد حلّت بيهوذا، فسقط على وجهه وانشق من الوسط، وهذا غير الانتحار خنقا تماما .

وهكذا، فإن كلا من هاتين الروايتين تنفى الأخرى، لأن كلا منهما تساوى الأخرى تماما فى قيمتها، فتنفى كل منهما صحة الأخرى، وهو ماتنتفى به صحتهما معا، وإذ قام الدليل لدينا من النبوءات، على نحو مافصلناه فى الفصل السابق، على أن يهوذا هو الذى صلب بدلا من المسيح، فإن هذه الرواية، التى جرت بها النبوءات من قبل، فقامت بذلك دليلا عليها، وشاهدا على صحتها، تكون هى وحدها الحقيقة بالاعتبار فى هذا الخصوص .

المبحث الثانـــى

كيف يستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم
على صلب المسيح
ولم لا يستدلون منها علي رفعه و صلب يهوذا بدلا منه

وينقسم هذا المبحث بدوره الى المطلبين التاليين :

أولا : فى كيفية استدلال المسيحيين من نبوءات العهد القديم على صلب المسيح .

والثاني: فى سبب عدم استدلال المسيحيين من نبوءات العهد القديم على رفع المسيح وصلب يهوذا بدلا منه.

المطلب الأول
كيف يستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم على صلب المسـيح

من يمعن النظر فى النبوءات التى اعتبر المسيحيون أنها تتنبأ عن صلب المسيح، ليتبين بسهولة، أن المسيحيين فى هذا السبيل، يقتصرون على البحث عن النبوءات التى تتنبأ بواقعة الصلب، فيعتبرونها نبوءات بصلب المسيح نفسه، دون أن يبحثوا فيها عن حقيقة شخص من تتنبأ بصلبه، ظناً منهم بأن هذه الشخصية لايجوز أن تكون محل بحث، ما داموا يعرفون أن المسيح هو الذى صلب، ولهذا فإنهم، مهما حوت النبوءات عن واقعة الصلب من عبارات، تقطع بأن المصلوب الذى تتنبأ عنه لا يمكن أن يكون المسيح، فإنهم بغير تردد، يعتبرونها رغم ذلك نبوءات عن صلب المسيح نفسه، ولايجدون إزاء ذلك، بدأ من التسليم بانطباق هذه العبارات على شخص المسيح نفسه، مهما بدا من استحالة ذلك، وفى هذا السبيل فإنهم جعلوا منه القائل عن نفسه فى المزامير :

(أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر) (مز٢٢:٦)

و (يا الله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف.) (مز ٦٩:٥)

و (أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى.) (مز ٦٩:١٩)

بل إنهم ليقولوا بأنه قد صلب، لم يجدوا سبيلا إلا أن يجعلوا منه لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة، فهكذا قال عنه بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية :

(المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كلّ من علّق على خشبة.) (ص ٣:١٣)

وهكـــذا، فبدلا من أن تدلّهم هذه النبوءات عن المصلوب بحق، أنه لايمكن أن يكـــون المســـيح، لأنه لايمكن أن يكون دودة لا إنسان، ولا عارا عند البشـــر، ولـم يعرف له الله حماقة أو ذنوبا، وما كان ليكون ملعونا، لم يجدوا سبـيلا للقول بصلبه، إلاّ بأن يقولوا بانطباق كل هذه الأوصاف والأقوال، المستحيلة بالنسبة له، بانطباقها عليه، وحاشى لله أن ينطبق على المسيح الكريم شئ منها.

وعلى العكس من ذلك، فإن النبوءات العديدة الصريحة القاطعة بتخليص الله لمسيحه من الصلب، برفعه إليه، استجابة لدعائه له أن يجيز عنه كأس الصلب، فإنهم يقفون منها أحد موقفين، إما بنفى صلتها بالمسيح رغم وضوح تنبئها عنه، لما فى التسليم بانطباقها عليه من تسليم بعدم صلبه، وإما إزاء وضوح وصراحة قصد المسيح من كلماتها، يضطر البعض إلى التسليم بانطباقها على المسيح، مع تصوير تخليص الله له بأنه ليس تخليصه من الصلب، وإنما تخليصه بقيامته من الأموات بعد صلبه وموته ودفنه، رغم صراحة الآيات، فى أن تخليصه إنما كان من الموت أصلا، برفع الله له من بين الأعداء عند وصولهم إليه، للقبض عليه، وذلك كله على نحو مافصلنا من قبل، فى المبحث الأول من الفصل الثالث.

وإذا كنا قد قبلنا منذ البداية، لأسباب فصلناها، أن نقصر بحثنا على النبوءات في المزامير، ما لم تقصر عن الكشف عن الحقيقة التى كنا بصدد البحث عنها، وقد وجدنا أنها لم تقصر عن ذلك، إلاّ أننا مع هذا، لانستطيع أن ننهى بحثنا في النبوءات، دون أن نتناول فى هذا الصدد، أمرين خارج سفر المزامير، لأهميتهما البالغة عند المسيحيين، في هذا الموضوع، أحدهما يعتبرونه نبوءة عن صلبه، والثاني يعتبرونه مثالا أو رمزا لما جرى من صلب المسيح حسب ظنّهم.

أما الأمر الأول، وهو النبوءة، فقد أشار إليها البشير مرقس حين قال فى إنجيله، وبعد ذكره أن العسكر قد صلبوا المسيح:

(وصلبوا معه لصّين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره. فتمّ الكتاب القائل وأحصى مع أثمة.) (مر١٥ :٢٧و٢٨)

والكتاب أو النبوءة المشار إليها هنا بقوله (وأحصى مع أثمة) قد وردت فى الاصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء النبى، فى العهد القديم .

أما الأمر الثانى، وهو المثال أو الرمز، فهو تقدمة إبراهيم عليه السلام، إمتحان الله له ولابنه حتى همّ بذبحه ففداه بذبح عظيم.

وفيما يلى نتناول كلا من هذين الأمرين على حدة .

نبوءة الاصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء النبى:

أول ما نلاحظه بالنسبة لهذا الاصحاح، أنه فى طبع الكتاب المقدّس، اقتطع من الاصحاح الثانى والخمسين السابق عليه من هذا السفر، الآيات الأخيرة منه، وهى من رقم ١٣ إلى رقم ١٥ ، وأدمجت مع الاصحاح الثالث والخمسين فى

مقدّمته، ليصبح منهما كلّ واحد ، يحمل فى الكتاب المقدّس العنوان التالى :

(ص ٥٢ من عدد ١٣ و ص ٥٣)

فدل ذلك ، على ارتباط الآيات المقتطعة من الاصحاح الثانى والخمسين، بالاصحاح الثالث والخمسين، دون الاصحاح الثانى والخمسين الذى اقتطعت منه، حتى استلزم الأمر، أن تقتطع من الأخير، لتدمج مع الاصحاح الثالث والخمسين، كمقدّمة له .

وقد جاء نص الاصحاح الثالث والخمسين، بعد دمج الآيات المشار إليها فى مقدمته، على النحو التالى : (كاملا)

(هوذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم. هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسدّ ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه.

ص ٥٣ من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب. نبت قدّامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به .

لكنّ أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة

تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي. وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرّة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين .)

وإذ نقرأ في نهاية الاصحاح الثاني والخمسين، المدمجة مع الاصحاح الثالث والخمسين في بدايته :

(من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه.)

فإننا نجد النص الانجليزي للكتاب المقدّس، يورد نفس الآية بصيغة المستقبل، بما ترجمته أن الملوك سيقفلون أفواههم لأن ما لم يخبروا به سيرونه، وما لم يسمعوا به سيعتبرونه، وبذلك فإن الفارق في نفس النص بين اللغتين، فضلا عن صيغة المستقبل في النص الانجليزي، أن كلمة فهموه في النص العربي، وردت في النص الانجليزي بمعنى اعتبروه، فإذا سلّمنا بأن النص يتنبأ عن المستقبل، فإن النص الانجليزي يكون أوضح في بيان قصد التنبؤ، بوروده في صيغة المستقبل، ويبقى الفارق في النص بين اللغتين، متمثلا في الفارق بين كلمتي فهموه في النص العربي، واعتبروه في النص الانجليزي، ذلك أن فهم

الأمر لغة يعنى علمه أو عرفه أو أدركه، أما إعتبر الشئ لغة فتعنى إختبره أو عدّه، فالفهم هو إدراك حقيقة الأمر، أما الاعتبار، فلا يزيد عن التقرير بما هو ظاهر، وهذا المعنى الأخير، هو الأقرب إلى سياق الكلام، فما لم يخبروا به سيبصرونه، وما لم يسمعوا به سيعتبرونه، وفى تطبيق ذلك على ما قيل من صلب المسيح، ما يوضّح ما نقصده من هذا التفصيل.

فلقد وجدنا أن المزامير، وهى التى سبقت سفر إشعياء بقرون، قد تنبأت بأن الرب مخلّص مسيحه، إستجابة من الله لدعائه إليه فى يوم الضيق ، وبأن يهوذا الاسخريوطى هو الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا من المسيح، وهذا ماتقول الآية، أنهم أخبروا به وسمعوا به من قبل، وكان ذلك فى المزامير كما تقدّم ، ومع هذا ، ففى جيل واقعة الصلب، يبصر الناس ويعتبرون ، أن الذى صلب هو المسيح وليس يهوذا، وهذا مالم يخبروا به من قبل أو يسمعوه، فقد أخبرتهم المزامير من قبل وسمعوا منها بعكسه، إذن ففى جيل الصلب سيبصرون مالم يخبروا به فى المزامير، وسيعتبرون ما لم يسمعوا به منها، فيبصرون ويعتبرون أن المسيح هو الذى صلب لا يهوذا، بينما قد أخبروا وسمعوا من قبل بالعكس.

وهكذا تتضح النبوءة جلية فى هذه الآية، فهى تتنبأ بحق بأنه فى جيل الصلب، سيشبّه للناس فيحسبون أنهم يبصرون، ومن ثم يعتبرون، أن المسيح هو الذى صلب لا يهوذا، رغم أن النبوءات سبق وأنبأتهم بالعكس، وبهذا يستقيم معنى الآية والنبوءة الواردة فيها، وتتفق تماما مع كل ما انتهينا إليه من قبل، ومع الصورة الاسلامية، وبغير هذا لايستقيم لها أى معنى.

وبعد هذا يبدأ الاصحاح الثالث والخمسون بالتساؤل :

(من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب .)

ومن أسلوب التعجّب في السؤال، نفهم أن الخبر المقصود لم يصدّقه أحد، والخبر المقصود طبعا هو مادلّت عليه الآية السابقة عليها، ألا وهو استجابة الله لدعاء مسيحه في يوم الضيق، بتخليصه من الصلب وصلب يهوذا بدلا منه، وهو الذى عرفنا أن أحدا في جيل الصلب لن يصدقه، وما ذراع الرب التى يتساءل المزمور عمّن استعلنت له، إلاّ قدرة الرب ومعجزته، التى تمثلت فى رفع المسيح إليه تخليصا له من أعدائه الذين قدموا للقبض عليه .

ويستطرد الاصحاح بعد ذلك، فنفهم منه أن شخصا واحدا قد صدّق الخبر واستعلنت له بالفعل ذراع الرب، ويقول الاصحاح عنه أنه محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع مختبر الحزن فلم يعتد به، فهل هذا المحتقر المخذول إلاّ يهوذا الاسخريوطى، وهو وحده الذى استعلنت له ذراع الرب، برفع المسيح أمام عينيه، والقبض عليه هو بدلا من المسيح .

وإذا عدنا إلى محاولة القبض على المسيح، نجد أن المؤامرة عليه هى مؤامرة اليهود، والذنب فيها ذنب الشعب اليهودى، وهم أنفسهم شعب إشعياء النبى، وبصلب يهوذا بدلا من المسيح، يكون يهوذا قد حمل وزر هذا الذنب الذى ارتكبه الشعب اليهودى، ومن هنا نفهم قول الاصحاح:

(والرب وضع عليه إثم جميعنا.) «٦»

ويقول الاصحاح :

(على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش .) «٩»

والاصحاح يتحدث عن المصلوب، يقول أنه لم يعمل ظلما، وهذا حق

بالنسبة لمن أدانوه، فقد أدين على ظلم لم ينسبوه له وإنما للمسيح، ولو عرفوا فيه غير المسيح لما أدانوه، وأيضا لم يكن فى فمه غش، وهذا ما وجدناه عند محاكمته، فإذ سئل عما إذا كان هو المسيح عدة مرات، لم يجب فى أى منها بالايجاب، تحقيقا لما جاء في النبوءة، من أنه لم يكن فى فمه غش، بل وجدناه أيضا يذكر مايفهم منه أنه ليس المسيح على نحو مافصلنا من قبل.

ثم يقطع الاصحاح بأنه إنما يتنبأ عن يهوذا لا عن المسيح حين يقول :

(أما الرب فسرّ بأن يسحقه بالحزن.) «١٠»

والرب محال أن يسّر بأن يسحق مسيحه بالحزن، ولكن ذلك ممكن بالنسبة ليهوذا، لما كان منه من خيانة للمسيح، ويمضى المزمور بعد ذلك بما يؤكد أن يهوذا هو المقصود به، حيث يقول :

(من تعب نفسه يرى ويشبع.) «١١»

وهو مايطابق ما سبق أن قرأناه من نبوءات تشير إلى صلب يهوذا فى المزامير، كتلك التى تقول:

(يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه.) «مز ٧:١٦»

إلى آخر ماقرأناه بهذا المعنى من نبوءات في المزامير.

وبذلك نخلص من هذا الاصحاح بحق، إلى اتفاقه تمام الاتفاق مع الصورة الاسلامية، على التفصيل المتقدّم .

تقدمة ابراهيم :

إمتحن الله إيمان إبراهيم نبيه عليه السلام، بأن طلب منه أن يذبح إبنه وحيده الذى يحبّه، وامتثل إبراهيم لأمر ربّه، حتى إذا ما همّ بذبحه، ناداه ملاك الرب من السماء ألا يمد يده إلى الغلام، وأنزل له كبشا عوضا عنه، وباركه الله لأنه لم يمسك إبنه وحيده عنه[١].

ويرى المسيحيون فى هذه التقدمة، أحد أكمل الرموز الكتابية التى تشير إلى صلب المسيح، ويرون فى إبن إبراهيم الذى طلب الله من أبيه أن يذبحه، رمزا إلى المسيح، وذلك إلى أن همّ إبراهيم بذبحه .

فمنهم من يرى بعد ذلك، أن الكبش الذى ذبح عوضا عن إبن إبراهيم، أصبح رمزا للمسيح، بدلا من إبن إبراهيم [٢].

ومنهم من لم يستطع أن يرى فى إبن إبراهيم، رمزا للمسيح، ثم بعد ذلك فى الكبش الذى ذبح عوضا عن إبن إبراهيم، رمزا للمسيح، فيقول بأن الرمز لم يكتمل من وجه واحد، وهو أن إبن إبراهيم عوّض عنه بكبش ممسك فى الغابة بقرنيه، أما المسيح فلم يكن له من عوض[٣].

ونحن نوافق تماما على القول بأن تقدمة إبراهيم هى أحد أكمل الرموز

---

(١) الاصحاح الثانى والعشرون من سفر التكوين .

(٢) كتاب (المسيح فى جميع الكتب) تأليف أ. م. هودجكن صفحة ٣٢-٣٤.
وكتاب (بيان الحق) الجزء الأول – الطبعة الثانية – ليسّى منصور صفحة ٦٨-٧١ .

(٣) كتاب (خليل الله فى اليهودية والمسيحيه والاسلام) لحبيب سعيد وصادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة صفحة ٩٤ .
وكتاب (يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته) للدكتور هانى رزق الطبعة الثانية صفحة ١٢٦-١٣٦ .

الكتابية، بشأن ماحدث مع المسيح بالنسبة لواقعة الصلب، ولكن الذى لا نستطيع أن نقبله، لأنه لايجوز قبوله فى أصول البحث، أن يقال أنّ إبن إبراهيم يرمز إلى المسيح، وإذ يفتديه الله بذبح عظيم، يصبح هذا الكبش الذى ذبح عوضا عن إبن إبراهيم، هو الرمز للمسيح بعد إبن إبراهيم، أو أن يقال أن هذا الرمز لم يكتمل من وجه واحد من وجوهه، وهو عدم ذبح إبن إبراهيم بينما صلب المسيح، بينما هذا الوجه، هو قلب الرمز وأساسه، وبغيره فلا رمز على الاطلاق.

إن تقدمة إبراهيم لتحوى حقاً وصدقا، الرمز الكامل لما حدث مع المسيح بالنسبة لواقعة الصلب.

فكما امتحن الله إيمان إبراهيم، بأن طلب منه أن يذبح إبنه وحيده الذى يحبه، كذلك امتحن الله إيمان المسيح بأن أعلمه بأنه يريد له أن يصلب.

وكما امتثل إبراهيم وإبنه لأمر ربهما، حتى هم إبراهيم بذبحه، كذلك امتثل المسيح لمشيئة الله، فقال له لتكن لا إرادتى بل إرادتك، حتى وصل الأعداء يتقدّمهم يهوذا الاسخريوطى إلى المسيح للقبض عليه.

وهنا، وكما منع الله إبراهيم من ذبح إبنه، بأن ناداه ملاك الرب من السماء، طالبا منه أن يكفّ عن ذلك ، إستجاب الله أيضا لدعاء مسيحه، فرفعه إليه من بين أعدائه، مخلّصا إياه بذلك من الصلب الذى كان سيقع عليه، تماما كما خلّص الله إبن إبراهيم من الذبح على النحو المتقدّم.

وكما ذبح كبش عوضا عن إبن إبراهيم، فقد صلب الخائن يهوذا بدلا من المسيح.

وهكذا كانت تقدمة إبراهيم، حقاً وصدقا، وكما يقولون هى أحد أكمل

الرموز الكتابية، لما جرى مع المسيح بالنسبة لواقعة الصلب، وكما هو واضح، ففيها الرمز الكامل لتخليص الله له من الصلب، وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه، وبغير هذا لاتكون رمزا بأى حال، فلا يمكن أن يكون من الضدّين معا، إبن إبراهيم والكبش، رمز للمسيح، كما لايمكن للرمز ألا يكتمل من وجه يقال بأنه واحد، هو تخليص إبن إبراهيم وعدم تخليص المسيح، حال أن هذا الوجه الواحد، هو فى الحقيقة الوجه الوحيد أيضا للرمز فى هذه التقدمة .

المطلب الثانى

لم لا يستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم علي رفع المسيح و صلب يهوذا بدلا منه

لا أحسب بعد كل ما سبق، أن الاجابة على السؤال: لماذا لايستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم، على وضوحها، على استجابة الله لدعاء مسيحه، برفعه إليه من بين أعدائه، تخليصا له من الصلب، وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه، لا أحسب الاجابة على هذا السؤال تحتاج بعد إلى إيضاح، ومع هذا نرى مناسبا تخصيص هذا المطلب للاجابة عليه.

لقد وجدنا من قبل ، فى المبحث الثانى من الفصل الثانى، وجدنا أن المسيحيين قد خرجوا بما سمى طريقة دراسة الكتاب المقدس عن طريق الرموز، والتى أشار إليها كتاب (كيف تدرس الكتاب المقدس)، الذى قال عنها أنها قد أسئ وأبهظ استعمالها إلى حد كبير فى بعض الأماكن .

ولقد حدد هذا الكتاب [١]، عدة طرق لدراسة الكتاب المقدّس، كما فصّل الشروط التى يجب على كل دارس اتباعها بالنسبة لكل طريقة منها، ثم عاد، ابتداء من صفحة ٨٧ منه، فحدد الشروط العامة التى يجب اتباعها بالنسبة لكل هذه الطرق مجتمعة .

وتتلخص شروطه هذه، فى أن الدارس للكتاب المقدس يجب أن يكون مولودا ولادة ثانية، والمقصود أن يكون مسيحيا، وأن يكون مستعدا للجد والكد فى هذه الدراسة، وتكون له إرادة مسلمة تسليما كاملا إلى مشيئة مؤلف الكتاب المقدّس ، وأن يطيع تعاليم الله بمجرد اتضاحها له، وأن يفحص الأمر بذهن الأطفال ، وأن يدرسه باعتباره كلمة الله .

كما يقول المؤلف أن دراسة الكتاب المقدّس تتضمن أربعة أمور، أولها قبول تعاليمه قبولا تاما عندما يؤكدها الوحى تأكيدا نهائيا وقاطعا، حتى لو بدت غير منطقية أو مستحيلة التحقيق، والثانى أن دراسته باعتباره كلمة الله، تتضمن الاعتماد المطلق على مواعيده فى كل ماتتحمله هذه المواعيد من معنى ومبنى، فالذى يدرس الكتاب المقدّس باعتباره كلمة الله ، لن يمس ولو واحدا من هذه المواعيد، بل يقول لنفسه أنه لايستطيع أن يكذّب الله، والأمر الثالث، هو الطاعة فى كل ما يأمر به أو يفرضه الكتاب المقدّس، أما آخر هذه الأمور، فهو أن تكون دراسته فى روح صلاة .

وهكذا، فإنهم يشترطون فى دارس الكتاب المقدس أن تكون له إرادة مسلّمة

(١) كتاب (كيف تدرس الكتاب المقدس) للدكتور ر. أ . ترّى، تعريب مرقس فهمى فرج، وهو من مطبوعات مطبعة الأمانة ٣ شارع جزيرة بدران بالقاهرة .

تسليما كاملا لمشيئة مؤلف الكتاب المقدّس، باعتبار أن ما ورد فى هذا الكتاب كله، هو كلام الله نفسه، وهو ما يوجب أن تكون تعاليم هذا الكتاب، مقبولة قبولا تاما، حتى لو بدت غير منطقية أو حتى مستحيلة التحقيق، لأن فى تكذيب شئ منها تكذيب لله نفسه، وهذا غير جائز ، ولذلك أيضا فعلى الدارس ألا يمس ولو واحدا من مواعيد الكتاب حتى لايكذّب الله .

فإذا التزم أى شخص بهذه الشروط، استحال عليه الوصول إلى الحقيقة التى وصلنا إليها، وكمثال على ذلك، فعندما يقرأ الدارس على لسان المصلوب، فى المزمور الثانى والعشرين، قوله عن نفسه :

(أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر) «٦»

فإن العقل والمنطق يأبيان على الفور، أن يكون المسيح هو القائل عن نفسه هذا الكلام، لأنه لا يمكن أن يكون حقيرا كدودة، وليس إنسانا، ولا عارا عند البشر، ولكن الأناجيل تحدد شخص المصلوب بأنه المسيح، بل وتشير إلى هذا المزمور باعتبار أنه يتضمن نبوءة عن صلبه، فإذا قال واحد بحق، أن المسيح لايمكن أن يكون هو المصلوب، لأنه لايمكن أن يكون حقيرا كدودة وليس انسانا، ولاعارا عند البشر، فإنه يكون بذلك قد وقع فى محظور الشروط الموضوعة لدراسة الكتاب المقدّس، إذ يكون قد كذّب ما أجمعت عليه الأناجيل الأربعة، وهو صلب المسيح، ويكون بالتالى، حسب قولهم، قد كذب الله نفسه، باعتبار أن هذه الأناجيل موحى بها من الله، وأنها ككلام الله نفسه، وهذا مرفوض، ولذلك لا يجدون سبيلا إزاء هذا الوضع، إلا أن يقولوا بالمستحيل نفسه، وهو انطباق هذه الآيات على شخص المسيح، فجعلوا منه بذلك القائل عن نفسه أنه دودة لا إنسان، عار عند البشر .

بل إنهم لم يقفوا عند هذا الحد كما وجدنا من قبل، فقد جعلو منه لعنة ليقولوا بصلبه، فقالوا أنه صار لعنة لأجلهم، لأنه مكتوب فى النبوءات أنه ملعون كل من علّق على خشبة [1] .

وفاتهم أنه مكتوب أيضا :

(معروف هو الرب قضاء أمضى.الشرير يعلّق بعمل يديه.)(مز ٩ :١٦)

فهل صار المسيح شريرا أيضا لأجلهم، وقد علّق بعمل يديه، لأنه مكتوب كما قرأنا عن قضاء الرب الأمضى، أن الشرير يعلّق بعمل يديه، هل منهم من يجرؤ أن يقولها عن المسيح، إنها لاتختلف عما هو مكتوب من أنه ملعون كل من علّق على خشبة، ولكن هذه الأخيرة يحاولون إدخالها فى إطار من غموض فلسفى، فقالوا أنه بصلبه صار لعنة من أجلهم، أما أن يصير شريرا، فهذه أوضح وأصرح من أن يلفها أحد بأى غموض أو إبهام، ولاينفع فيها أى إطار فلسفى أو غير فلسفى، ولايجرؤ واحد منهم أن يعلن انطباقها على المسيح، وإنما يهوذا وحده الذى تنطبق عليه، ويهوذا دون المسيح هو من صار لعنة، ويهوذا دون المسيح هو الذى يقول عن نفسه أنه دودة لا إنسان ، عار عند البشر، وهو يهوذا دون المسيح إذن من قالت النبوءات جميعا أنه سيصلب.

وفى نفس الوقت، يحدثنا داود النبى فى المزمور العشرين، بصريح العبارة عن مسيح الرب، ويتنبأ لنا بكل وضوح، بأنه عرف بأن الرب مخلّص مسيحه، استجابة لدعائه في يوم الضيق، فيرفعه، ويحارون إزاء ما يلمسونه من صراحة التنبؤ عن المسيح فى هذا المزمور، فيجدون أنفسهم بذلك أمام واحد من أمرين، الأول،

---

(١) الرسالة إلى أهل غلاطية ص ٣ : ١٣ .

وهو الأسهل، هو الهرب من صراحة النبوءة فى هذا المزمور، بالادعاء بأنها لاتتنبأ عن المسيح، وهذا الهروب فى حد ذاته، يؤكد يقينهم بأن التسليم بانطباقها على المسيح، يحتم التسليم بأنه لم يصلب، أما الثانى، وهو الأكثر غرابة، فيقوم على التسليم بأن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح، ولكنهم يدّعون أن ما قاله المزمور عن تخليص الله للمسيح، لا يقصد به تخليصه من الصلب، وإنما قيامته من الأموات بعد صلبه وموته ودفنه بنحو ثلاثة أيام، وذلك رغم وضوح النبوءة وحسمها، بأنها تشير إلى لحظة محاولة القبض على المسيح، وليس أبدا إلى ميّت فى قبر، حيث تشير إلى لحظة تخليصه بقولها:

(هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل.) «٧»

فهذه اشارة إلى لحظة محاولة القبض على المسيح، وأبدا ليست إشارة إلى قبر، فليس فى قبر تكون مركبات وخيول .

وهكذا ، فإنهم لتقيّدهم بعدم مخالفة ما قالت به الأناجيل، من أن المسيح هو الذى صلب، لم يروا المسيح فى النبوءات فى مسيح الرب، وإنما رأوه فى هذا القائل عن نفسه، أنه دودة لا إنسان وعار عند البشر، وأن الله عرف حماقته، وذنوبه عن الله لم تخف، إلى آخر ما قرأناه فى هذا الشأن، ولكن، أين فى أصول البحث ما يقبل أو يجيز ذلك.

وتقدمة إبراهيم، يقولون بأنفسهم أنها أحد أكمل الرموز الكتابية لما جرى مع المسيح، ونرى معهم أنها لكذلك حقاً، وطبيعى أن يكون إبن إبراهيم رمزا للمسيح، وكما نجّى الله إبن إبراهيم، كان محتمًا لذلك أن ينجّى المسيح، وكما ذبح كبش عوضا عن إبن إبراهيم، صلب يهوذا عوضا عن المسيح، ولكنهم

يأبون التسليم بما هو واضح فى الرمز على النحو المتقدّم، لتقيدهم بالقول بصلب المسيح دون يهوذا، ولهذا فبعد إذ يرون فى إبن إبراهيم رمزا للمسيح، يعود البعض منهم فيرى فى الكبش رمزا للمسيح، مع أن إبن إبراهيم والكبش نقيضان لايلتقيان فى واحد، ومحال أن يرمزا معا لواحد، ولهذا يقف البعض الآخر بالرمز عند ما قصد به كرمز، ألا وهو تخليص الله للمسيح كما خلّص من قبل إبن إبراهيم، فينفون ذلك، وبهذا يبطلون فى الواقع أى معنى للرمز فى هذه التقدمة، وعلى أى من هذين الوجهين، فان أيا منهم لايقول بهذا الرأى أو ذاك، طبقا لما يفهمه أو يستخلصه من التقدمة نفسها، وإنما لمجرد محاولة الربط بين هذه التقدمة، وبين ماشبه لهم من صلب المسيح، ولو لم يحاولوا ربطها بما شبه لهم من ذلك، ما وجدوا فيها فى حد ذاتها، إلا كل مايطابق الصورة الاسلامية.

وبذلك يتضح جليا، السبب فى وصولنا إلى حقيقة ما تنبأت به المزامير، وعدم وصول المسيحيين إلى هذه الحقيقة، رغم وضوحها ويسرها، فقد وصلنا إلى الحقيقة لأننا بحثنا عنها وحدها، فلم نتقيد إبتداء فى بحثنا عنها، بصحة أى فرض بشأنها، أما هم، فلن يصلوا إليها أبداً، ماداموا يفترضونها على وجه معيّن ابتداء، ويأبون الوصول إلى غيره، فلا يحاولون غير إثبات صحّته فحسب، مهما خالفوا فى هذا السبيل كل عقل وكل منطق .

المبحث الثالث
تفسير تخليص الله للمسيح برفعه إليه

ليس لأحد في مجال تفسير تخليص الله لمسيحه من الصلب ورفعه إليه، بعد أن أعلمه بإرادته في أن يصلب، وتسليم المسيح بمشيئة الله هذه ، ليس لأحد في هذا الشأن أن يتدع تفسيرا من عنده، وإنما يجب أن يكون هذا التفسير هو الحقيقة نفسها في هذا الشأن، ولعله ليس هناك مايفسر لنا هذا الأمر، خيرا من الآية في المزمور الحادى عشر، التي تقول:

(الرب يمتحن الصدّيق .) (٥)

فقد وجدنا من قبل، أن المسيحيين يجدون في تقدمة ابراهيم وإبنه، أحد أكمل الرموز الكتابية، لما جرى مع المسيح بالنسبة لواقعة الصلب، ولقد اتفقنا معهم في ذلك، ولكننا وجدناهم يقفون بالرمز عند أهم ما فيه كرمز، وهو مكافأة الله لابراهيم وإبنه على إيمانهما وطاعتهما لله، بتخليص إبن إبراهيم من الذبح، وفدائه بذبح عظيم، أو يعكسون الرمز، فيصبح الكبش هو الرمز للمسيح بعد إبن إبراهيم، بينما وجدنا نحن بحق، أن الرمز إنما اكتمل تماما، بتخليص الله لمسيحه من الصلب، وصلب يهوذا الاسخريوطي بدلا منه، كما خلص الله من قبل إبن إبراهيم من الذبح، وذبح كبش بدلا منه .

وبذلك، فإنه كما امتحن الله إبراهيم وإبنه، بأن طلب من إبراهيم أن يذبح إبنه وحيده الذى يحبه، كذلك امتحن الله المسيح فأعلمه أنه سبحانه وتعالى يريد له أنه يصلب، وكما نجح إبراهيم وإبنه في الامتحان حتى هم إبراهيم بذبحه،

كذلك نجح المسيح أيضا فى الامتحان حيث طلب من الله، رغم صلاته أن يجيز عنه كأس الصلب، طلب منه أن تكون لا إرادته هو، بل إرادة الله فى هذا الشأن، وكما خلّص الله إبن إبراهيم بأن افتداه بذبح عظيم، كذلك خلّص الله المسيح فرفعه إليه وصلب يهوذا بدلا منه، فتكامل بذلك الرمز فى هذه التقدمة، وتطابق بذلك كل التطابق ومن جميع النواحى مع ما رمز إليه، وفى الحالين، الرمز وما رمز إليه، كان:

(الرب يمتحن الصدّيق .)

المبحث الرابع

هل يمكن أن يذكر العهد الجديد وقائع غير صحيحة

إنتهينا من كل ماتقدّم ، إلى أن الحقيقة فى شأن موضوع الصلب، أن الله سبحانه وتعالى، قد استجاب لدعاء مسيحه الكريم، فرفعه إليه وخلّصه من الصلب، بينما قبض على يهوذا الاسخريوطى وحوكم وصلب بدلا منه، وعلى أنه المسيح نفسه، وذلك على نحو ما تنبأت لنا به المزامير، وهذا يعنى أن ما أوردته الأناجيل فى العهد الجديد من الكتاب المقدّس، تحديدا لشخص من قبض عليه وحوكم وصلب، بأنه المسيح، غير صحيح، وينفى ذلك بطبيعة الحال، مابدأنا به من افتراض الصحة فى الأناجيل، وذلك فى القليل فى خصوص هذه الواقعة بالذات، ولزم لذلك أن نخصص مبحثا، نتناول فيه مدى إمكان أن يذكر العهد الجديد وقائع غير صحيحة .

وأول مايثيره هذا الموضوع هو التساؤل، عما إذا كان العهد الجديد قد تضمن وقائع أخرى غير صحيحة، كما يستدعى هذا الأمر بحث حقيقة الوحى المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد، وصولا إلى تحديد سبب ورود وقائع غير صحيحة فى العهد الجديد، وفيما يلى نتناول فى مطلب مستقل، كلا من هذه الأمور الثلاثة .

المطلب الأول

هل تضمن العهد الجديد وقائع غير صحيحة

المطالع لأسفار العهد الجديد وحدها ، يخرج من قراءته لها، بحقيقة مؤكدة، وهى عدم صحة بعض ما تضمّنته هذه الأسفار من وقائع، وهو يخرج بهذه النتيجة لسبب واحد، وهو أن ما ورد فى بعض هذه الأسفار نفسها، ينفى ماورد فى بعضها الآخر، وليس هنا مجال لحصر هذه الوقائع، وإنما نكتفي بذكر أمثلة منها .

فقد سبق أن قرأنا فى إنجيل متى عن يهوذا أنه :

(مضى وخنق نفسه.) (ص ٢٧:٥)

بينما قرأنا فى سفر أعمال الرسل عن موت يهوذا أنه :

(وإذ سقط على وجهه انشقّ من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم.) (ص ١٨:١و١٩)

وقد سبق أن بيّنا الفارق بين الصورتين المذكورتين لموت يهوذا، وأن كلا منهما تنفى الأخرى، ولا يبقى صحيحا فى شأن موته إلا الصورة التى أثبتناها والتى تقوم النبوءات دليلا عليها وشاهدا على صحتها .

ومن ذلك أيضا ما نقرأه، عن محاكمة المسيح فى كل من إنجيلى متى ومرقس [١]، من أن الوالى عندما سأله :

(أنت ملك اليهود .)

لم يجبه الماثل أمامه بأكثر من قوله :

(أنت تقول .)

وبعد ذلك لم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجّب الوالى جداً.

أما إنجيل يوحنا، فإذ يورد نفس الواقعة [٢] ، نرى فيها هذا الماثل أمام الوالى، يرد على جميع أسئلة الوالى بإجابات مستفيضة، حتى تركه الوالى وخرج.

ولايمكن أن يكون صحيحا، أن هذا الماثل أمام الوالى، قد سكت ولم يجب الوالى ولا عن كلمة واحدة ، حتى تعجب الوالى لذلك جدا، وأن يكون فى نفس الوقت، قد أجاب الوالى على كل أسئلته، بإجابات مستفيضة، فلم يترك سؤالا واحدا دون جواب حتى تركه الوالى نفسه وخرج، وعلى هذا ففى القليل، فإن إحدى هاتين الروايتين غير صحيحة .

وتخبرنا أناجيل متى ومرقس ولوقا أن الجنود سخّروا رجلا قيروانيا يدعى

(١) متى ص ٢٧ : ١١-١٤ ، ومرقس ص ١٥ : ٢-٥ .
(٢) يوحنا ص ١٨ : ٣٣ - ٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمعان ، لحمل صليب من شبه لهم أنه المسيح (١)، أما إنجيل يوحنا فيخبرنا (٢) بأن من شبّه لهم أنه المسيح، خرج حاملا صليبه إلى الموضع الذى صلب فيه.

ولايمكن أن تكون كل من هاتين الروايتين صحيحة، فإما أن سمعان القيروانى هو الذى حمل الصليب، أو أن المصلوب نفسه هو الذى حمل صليبه إلى موضع صلبه، وعلى هذا ففى القليل، فإن أحدى هاتين الروايتين غير صحيحة .

وفى إنجيلى متى ومرقس، نقرأ أن اللصين اللذين صلبا مع من شبّه لهم أنه المسيح كانا يعيرانه(٣)، أما إنجيل لوقا فيقول أن أحد هذين اللصين فقط قد عيره، أما الآخر فقد عاتب هذا الذى عيره على ذلك (٤)، ولايمكن أن يكون مانسب إلى هذا الآخر فى كل من الروايتين صحيحا ، فإما أنه عير من شبه لهم أنه المسيح، وإما أنه عاتب الآخر على تعييره له، وعلى هذا فإحدى الروايتين على الأقل غير صحيحة .

وهناك العديد من هذه الأمثلة فى العهد الجديد، وهى لاتعنينا هنا إلاّ كدليل على أن بعض أسفار العهد الجديد نفسها، هى الشاهد على عدم صحة بعض ماورد فى بعضها الآخر، وهذا وحده كاف لنفى الوحى فى كتابتها، لأن الوحى يتنافى مع إيراد وقائع غير صحيحة، وهو مايقودنا إلى البحث فى حقيقة

(١) متى ص ٢٧ : ٣٢، ومرقس ص ١٥ :٢١، ولوقا ص ٢٣ :٢٦ .

(٢) يوحنا ص ١٩ :١٧ .

(٣) متى ص ٢٧ :٤٤ ، ومرقس ص ١٥ :٣٢ .

(٤) لوقا ص ٣٣ : ٣٩ و ٤٠ .

الوحى المقال به، فى كتابة أسفار العهد الجديد، وهو موضوع المطلب التالى من هذا المبحث .

المطلب الثانى
حقيقة الوحي المقال به في كتابة أسفار العهد الجديد

يتكوّن العهد الجديد، من سبعة وعشرين سفرا، الأربعة الأولى منها هى الأناجيل الأربعة ، وكل منها منسوب إلى مؤلفه، يليها سفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا البشير، مؤلف إنجيل لوقا، يليه ثلاثة عشر سفرا، عبارة عن ثلاث عشرة رسالة، كلها صادرة من شاول الذى لقّب ببولس الرسول، وكل منها موجّهة إلى جهة معينة، وتعرف باسم الجهة الموجهة إليها، تليها رسائل أخرى صادرة من آخرين، يمثل كلّ منها أحد أسفار العهد الجديد، ونأتى أخيرا إلى آخر أسفار العهد الجديد، وهو سفر الرؤيا .

وللتعرف على حقيقة الوحى المقال به فى كتابة هذه الأسفار، ينبغى التعرّف أولا على كيفية كتابة هذه الأسفار، ثم على ماهية الوحى المقال به فى كتابتها، لنخلص من ذلك إلى الحقيقة بشأن هذا الوحى، ونتناول فيما يلى كلا من هذه النقاط على حدة .

أولا : كيفية كتابة أسفار العهد الجديد :

قد يحتاج الوصول إلى الحقيقة فى شأن هذا الموضوع إلى مجلّدات، يقصر عنها أى جهد فردى، وهو بطبيعة الحال ما يجاوز نطاق هذا البحث،

ولذلك فلا مناص فى هذا الصدد، من الاكتفاء بإيجاز يحيط بالموضوع بصفة عامة، ووفقا لأغلب ماهو مستقر عليه لدى المسيحيين أنفسهم .

وعلى هذا، فعن الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم، نقرأ أنه لمدة طويلة كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح، شفاهية متناقلة لنحو خمسة وثلاثين عاما، حتى فقد واستشهد كثيرون من أعمدة الكنيسة، فكتب مرقس بشارته (إنجيل مرقس)، ودفع غيره ليحذو حذوه، وتنشأ بشائر أخرى، يحذو بعضها حذوه، مثل إنجيلى متى ولوقا، ويختلف بعضها عنه، حتى أصبح هناك فى وقت قصير، لكل منطقة من المناطق المسيحية إنجيلها، حتى كان هناك عدد لا يستهان به من البشائر، وظهرت سلسلات من الأناجيل، نتيجة لظهور مذهب الغنوسيين أو المستنيرين، حتى رأت الكنيسة أن الأمر جد خطير، فبدأت فى تقصى أسس هذه البشائر، واقتصرت على البشائر الأربع المعروفة ، واعتبر ماعداها بشائر أبوكريفية، طوردت وجمعت وأحرقت، حتى اختفت، ولم يصل إلينا منها إلاَّ النذر اليسير[١] .

ونقرأ عن لوقا البشير، مؤلف إنجيل لوقا، أنه لم يكن حتى من الرسل الاثنى عشر، وأنه لايدعى أنه شاهد بعينيه الأمور التى كتبها، بل يصرح بأنه كتبها باجتهاد وتدقيق، من الذين كانوا معاينين وخدّاما للكلمة، وأن هذا لاينفى كونه أوحى إليه بها من الروح القدس، ولذا وجب اعتبارها كل الاعتبار[٢] .

كما نقرأ عن فارق، بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى، حول

---

(١) كتاب (أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الانجيل)، للمؤلف الألمانى يواكيم أرميا، ونقله إلى العربية الدكتور عزت زكى، وصادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة صفحة ١٠-١٢ .

(٢) كتاب (رب المجد) تأليف جماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادى القاهرانى صفحة ٢١٧ .

عودة المسيح بالمجد، أنه فيما كانت الأناجيل الأولى تتوقع عودته بمجد وبتاريخ مبكر وغير معلوم، فإننا لانجد فى الانجيل الرابع شيئا يشبه ما ورد فى مرقس ١٣ أو متى ٢٤ أو لوقا ٢١ ، وتدون الأناجيل الثلاثة كلمات المسيح وتفسيرها الذى أعطته إياها الكنيسة الأولى، ولكن عندما مرت السنون، ولم يجئ المسيح ، نشط يوحنا إلى تفحص كلمات المسيح مرة ثانية، محاولا أن يعطيها تفسيرا خاصا من عنده [١].

وينسب سفر أعمال الرسل إلى لوقا البشير، ويليه ثلاثة عشر سفرا، كل سفر منها عبارة عن رسالة من شاول الذى لقّب ببولس الرسول ، إلى جهة من الجهات، ومن هنا تتضح أهمية شاول هذا وأهمية رسائله .

ونقرأ عن رسائل بولس الرسول ، أن أول إشارة إلى شاول كانت فى سفر أعمال الرسل، بمناسبة سرد تفاصيل رجم استفانوس المسيحى، فيقول السفر أن شاول كان راضيا لقتله، وكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت يجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن، ثم طلب شاول من رئيس الكهنة أن يسلّمه رسائل إلى الجماعات، حتى إذا مالقى أناسا من الطريق يسوقهم إلى أورشليم.

ويذكر سفر الأعمال بعد ذلك، أنه عندما اقترب شاول إلى دمشق أبرق حوله نور من السماء، وظهر له يسوع قائلا (شاول شاول لماذا تضطهدنى.)، وانتهى هذا الأمر إلى اعتبار شاول رسولا للمسيح، وكتب رسائله هذه التى أصبحت أسفارا مقدسة، ولم تكن هذه الرسائل- حسبما نقرأ أيضا - بحوثا أو

(١) كتاب (شهادة انجيل يوحنا) بقلم القس جورج ابلتون ونقله إلى العربية إبراهيم مطر، وصادر عن مكتبة المشعل الانجيلية ببيروت صفحة ١٢و ١٣ .

عظات، بل رسائل بكل معنى الكلمة، كتبت على نسق الرسالة اليونانية المألوفة، ولم يدر بخلده عند كتابتها، أو على الأصح عند إملائها، أنه يسطر ألفاظا ستبقى ذخرا ثمينا تعتز به الأجيال القادمة،وتتخذه مستقى عميقا تستخرج منه أسمى ماعرف البشر من أخلاق وعظات، وقد كتب رسائله بموحيات الساعة الناشئة عن حاجات عاجلة حاتمة .

وهو في رسالته إلى أهل تسالونيكي، يأخذ في تفنيد أقوال ذوى النميمة، الذين اتهموه ظلما بأنه يسعى إلى مغانم مادية من وراء دعايته، كما أنه أثناء مقامه في أفسس، انتهت إليه أنباء مقلقة عن أتباع المسيحية في كورنثوس، فبادر إلى كتابة رسالة إلى زعمائهم (١ كور ٥ :٩-١٢)، لكن التاريخ لم يبق على هذه الرسالة بين المخلفات التي تسلموها من السلف، وعبثت بها أيدى الحدثان فلم يعثر لها على أثر، كما نقرأ أن بعض الشراح يقولون أن تيخيكى حمل معه أربع رسائل - فليمون وكولوسي وأفسس وأخرى إلى لاودكية (كولوسي: ٤-١٦)، وأن هذه الأخيرة فقدت ولم يحتفظ بنسخة منها [١].

وإذ كانت هذه هي ظروف كتابة رسائل بولس الرسول، ففيها الكفاية التي تغني، في نطاق هذا البحث، عن تتبع ظروف كتابة باقي رسائل العهد الجديد، إذ يمكن اعتبارها مشابهة لنفس ظروف كتابة رسائل بولس الرسول .

ولايبقى بعد ذلك من أسفار العهد الجديد، سوى سفر الرؤيا ، وهو المنسوب إلى يوحنا اللاهوتي، ويخبرنا فيه أنه كان في الروح في يوم الرب، وسمع وراءه صوتا عظيما ، كصوت بوق، يقول له أنا هو الألف والياء، الأول والاخر،

---

(١) كتاب (سيرة رسول الجهاد) بقلم حبيب سعيد - الطبعة الثانية ، صادر عن دار الشرق والغرب صفحة ١١٢ و١١٣ و١٢٧ و ٢٣٠

وطلب منه أن يكتب مايراه فى كتاب، يرسل به إلى الكنائس السبع، فدون بدوره هذه الرؤيا، وكان بذلك سفر الرؤيا .

هذه هى بإيجاز، ظروف كتابة أسفار العهد الجديد ، ومنها نعرف أن الأناجيل لم تكن دائما الأربعة المتداولة فقط، وإنما لفترة ما بعد المسيح ، لم تكن هناك أى أناجيل ، ثم دون مرقس إنجيله، وتتالى تدوين الأناجيل ، حتى أصبح هناك العديد من الأناجيل، ولاشك أنها تناقضت حتى اقتضى الأمر تدخل الكنيسة، أو بمعنى أصح الكنائس، التى اختارت الأناجيل الأربعة المتداولة حاليا، أما الباقى فقد طوردت وأحرقت .

ومن الأناجيل الأربعة التى وقع عليها الاختيار، ما هو محقق معرفة مؤلفه، ومنها من اختلف الرأى فى تحديد شخص مؤلفه، وقد أملت ظروف معينة على مؤلفى هذه الأناجيل تأليفها، ولاشك أن كل هذا ينطبق أيضا على غيرها من الأناجيل التى طوردت وأحرقت.

ونعرف من إنجيل لوقا، أن هذا الانجيل لم يكن أكثر من خطاب من لوقا البشير مؤلفه، إلى شخص يعرفه دعاه بالعزيز ثاوفيلس، ويقول لوقا فى بدايته لهذا العزيز، أن كثيرين قد ابتدأوا فى تأليف قصة فى الأمور المتيقنة عنده، وقد رأى هو وقد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق أن يكتب إليه على التوالى، ليعرف صحة هذا الكلام الذى علم به، وبذلك نعرف من إنجيل لوقا، أنه كانت هناك قصص عديدة، ألفها كثيرون مثل هذه التى ألفها هو، وكل ما قال أنه يمتاز به، أنه قد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق حسب قوله، ولم ينف أن يكون غيره أيضا قد فعلوا ذلك .

والذى يبدو غريبا حقا، أمر شاول الذى لقب ببولس الرسول، فأى امرئ

لايملك إلاّ أن يقرر، أن شاول هذا هو المؤسس الحقيقى للمسيحية التى نعرفها اليوم، فقد كان من غلاة المضطهدين للمسيحية وأتباعها، ولم يلق المسيح يوما ما فى حياته، وبعد رفع المسيح شوهد راضيا برجم استفانوس المسيحى ، ثم سافر فى طلب أتباع المسيح للتنكيل بهم، وفجأة إذا به يدّعى أن المسيح ظهر له وعاتبه على اضطهاده له، وكان طبيعيا أن يقابل هذا الادعاء من المؤمنين بالشك، بل إن منهم من نعته بأمور شائنة، حتى اضطر فى إحدى رسائله إلى الدفاع عن نفسه كما رأينا، ولم يبق لنا التاريخ على أولى رسائله، كما لم يبق لنا أيضا على رسالة أخرى له، وقد أملت ظروف معينة كتابة هذه الرسائل، ولم يدر بخلده أنها ستبقى عند المسيحيين ذخرا تعتز به الأجيال القادمة ، ومع ذلك سمحوا له بإقامة المسيحية على النحو الذى يراه، واعتبرت كتاباته كتابات مقدسة موحى بها من الله، ولا تقل درجة الالتزام بها عندهم عن أقوال المسيح نفسه .

أما باقى الرسائل ، التى كتبها آخرون غير شاول، فيمكن قياسها على رسائل شاول نفسه، ولايبقى بعد ذلك من العهد الجديد، سوى سفر الرؤيا، وهو على أى حال لايزيد عن كونه رؤيا قيل بها .

ثانيا: ماهية الوحى المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد:

فى التعريف بهذا الوحى، نقرأ فى كتاب بعنوان (المسيحية فى الاسلام)[١] ، بعد أن يتحدّث المؤلف عن فكرة الوحى فى الاسلام وفهمه له أنه تنزيل للآيات بألفاظها وكلماتها من عند الله، يقول أن المسلمين يسلّمون بسهولة فائقة، بأن الوساطة البشرية لم تترك أثرا بالمرة لشخصيات الرسل الموحى

---

(١) للايغومانوس إبراهيم لوقا – الطبعة الثالثة إبتداء من صفحة ٤٠ منه .

إليهم، ويخالف هذا النظر إلى الوحى من الناحية الاسلامية، النظر إليه من الناحية المسيحية، حيث يؤمن المسيحيون أنه ليس عند الله حروف ولا لغات، فليس عنده إذن إنزال آلي، بل كما قال بطرس الرسول فى رسالته الثانية (٢ بط ١ :٢١) «تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»، فمعنى الوحى هو إظهار حقائق غير ممكنة معرفتها بقوانا الطبيعية، كسر الثالوث الأقدس وسر التجسد، وأما ما يمكن للعقل أن يصل إليه، ولكن تحت خطر الضلال، فيسمى إلهاما، والوحى والالهام أمر واحد بالنسبة لله، وأمران بالنسبة للعقل البشرى، وهما لايعنيان أن الله لقّن الكتبة الذين كتبوا الأسفار المقدّسة ما سطروه حرفا حرفا، بل أنه حركهم للكتابة وأنار عقولهم بالمعرفة وحفظهم من الزلل، وليس فى هذه الدرجات الثلاث مايستحيل على الله، أو ينافى شيئا من صفاته، كما أنه ليس فيها ماينزع عن الانسان حرّيته ونبوغه الذاتى.

ويمضى المؤلف فيقول، أنه ربما كانت بعض الحوادث والظروف مجهولة من الكاتب، فلا يصل إليها إلاّ إذا أوحاها الله إليه مباشرة، أو تكون معلومة لديه، أو مما يستطيع معرفته باستطلاع الأخبار واستفتاء الشهود والاستقراء، فلا حاجة عندئذ لتنزيلها عليه لعدم الفائدة، وإنما يلهمه الله كتابتها، ويصونه فى إيرادها عن الضلال، وهذا كاف لأن يعزى الكتاب إلى الله.

ويضيف المؤلف أن جميع ما كتبه البشيرون الأربعة رسالة واحدة، هى الانجيل الذى قدّسه المسيح وبشّر به، وأعاده الروح القدس إلى أذهان هؤلاء البشيرين، وكل كاتب منهم يمثل – بوحى الله – تعليم الانجيل المعطى شفويا من المسيح تمثيلا صادقا، وكل بشارة تؤدى رسالة خاصة مكملة للأخرى.

ثالثا : حقيقة الوحى المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد:

صحيح أن المسلمين بالنسبة للقرآن يسلّمون بأن الوساطة البشرية، لم تترك أثرا بالمرة لشخصية الرسول الموحى إليه، فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن هو وحى الله المنزل على رسوله بلفظه ومعناه، دون أن يكون لشخصية الرسول أى أثر فيه، ولكن هذه ليست الصورة الوحيدة للوحى فى الاسلام، فهناك وحى آخر لشخصية الرسول أثر كبير فيه، وذلك بالنسبة لأحاديث الرسول، فالقرآن يقول فى شأن الرسول :

﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلاّ وحى يوحى .﴾ «سورة النجم ٣و٤»

ومن هنا ففى الاسلام، وإن كان القرآن هو وحى الله لفظا ومعنى، دون أن يكون لشخصية الرسول أى أثر فيه، فإن أحاديث الرسول وإن كانت وحى الله، فإن لشخصية الرسول أثر فيها، لأن ألفاظها للرسول الموحى إليه .

وعلى أى حال، فأن يكون القرآن وحى الله لفظا ومعنى، هو أمر يزيده جلالا وقدسية، أكثر كثيرا من أن يكون المعنى وحده موحى به من الله، واللفظ للرسول، ونفس الأمر ينطبق على الكتب السماوية السابقة، فأن تكون وحى الله لفظا ومعنى، لأمر يجعلها تزيد جلالا وقدسية أكثر كثيرا، من أن تكون وحى الله معنى فقط ويكون اللفظ للموحى إليه.

وقد يبدو إيمان المسلمين بإنجيل موحى به من الله معنى ولفظا، غريبا عند المسيحيين، لأنه ليس بين أيديهم اليوم مثل هذا الانجيل، ولكن، هل ينفى عدم وجود هذا الانجيل اليوم، وجوده من الأصل ، بالطبع لا ، ولعل فى العهد الجديد المتداول نفسه، مايؤيد ذلك .

ففى إنجيل متى، ينسب للمسيح أنه قال :

(الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها.) (ص٢٦ :١٣)

وهو نفس ما نقرأه فى إنجيل مرقس (ص١٤ :٩) على لسان المسيح أيضا، فأى إنجيل هذا الذى أشار إليه المسيح، أليس معنى كلامه هذا أنه كان يشير إلى إنجيل يعرفه من كان يتحدث إليهم، فأى الأناجيل هو، ونحن نعرف أن أيا من الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم لم يكن قد كتب بعد .

كما نقرأ على لسان بطرس فى سفر أعمال الرسل قوله :

(فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر. فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيها الرجال الاخوة تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون.) (ص١٥ :٧و٨)

فأى إنجيل هذا الذى أشار اليه بطرس، وأين هو الانجيل الذى يسمع الأمم بفم بطرس كلمته كما اختار الله ويؤمنون، ألا ينفى هذا القول لبطرس عن الأناجيل المتداولة شرعيتها، لأنها بغير شك غير هذا الانجيل الذى أشار إليه، بل إننا لنقرأ، أنه كان من بين الأناجيل التى طوردت وأحرقت إنجيل كان يسمى إنجيل بطرس[1]، فمن الذى أحرقه، ومن أعطاه الحق أن يفعل ذلك ، بينما بفم بطرس كما قرأنا قد اختار الله أن يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون.

---

(١) كتاب (أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الانجيل) للمؤلف الألمانى يواكيم أرميا ونقله إليه العربية الدكتور عزت زكى صفحة ١٢ .

ونقرأ كذلك عن إنجيل الله (رو ص١ :١)، وإنجيل ابنه (رو ص١ :٩)، وإنجيل المسيح (رو ص١٥ :١٩و٢٠) و (١ كو ص ٩ :١٢) و (٢ كو ص ٢ :١٢) و (غلا ص ١ :٦و٧)، وإنجيل مجد المسيح (٢ كو ص ٤ :٣و٤)، ويقينا لم يقصد بهذه الآيات أى من الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم، لأن هذه الآيات سبقت تدوين الأناجيل المذكورة بعشرات السنين .

حقيقة الخلاف إذن ليست فى كيفية الوحى، فليس فى الاسلام مايمنع أن يكون الوحى من الله بالمعنى فقط واللفظ للرسول الموحى إليه، وإنما الخلاف الحقيقى هو فى ثبوت الوحى لمن قيل بالوحى إليهم من الله، فإذا ثبت أن المتحدّث موحى إليه من الله بما يقول، قبل قوله كوحى موحى به من الله، سواء أكان وحيا باللفظ والمعنى معا، أو بالمعنى وحده واللفظ للرسول الموحى إليه.

والمسلمون إذ يسلمون تسليما كاملا بالوحى من الله إلى المسيح عليه السلام، سواء كان هذا الوحى باللفظ والمعنى معا، أو بالمعنى وحده ويكون اللفظ للمسيح، فإنهم لايسلمون بالوحى بأى من صورتيه هاتين إلا للمسيح وحده ولمن سبقه من الرسل الأنبياء عليهم السلام، أما مؤلفوا الأناجيل وما تلاها من أسفار العهد الجديد، فلا يسلم الاسلام بأى وحى إليهم فيما ألفوه، فهل هذه الأناجيل الأربعة المتداولة وغيرها من أسفار العهد الجديد، موحى بها من الله أم لا .

لا خلاف أن الوحى من الله لا يمكن أن يرد عليه الخطأ ، ولقد سبق أن بينا أن هذه الأسفار قد ورد عليها الخطأ، وأنها هى نفسها الدليل على عدم صحة بعض ما ورد فيها، إذن فالعصمة من الخطأ منتفية عن هذه الأسفار، وبالتالى فإن الوحى منتف فى كتابتها .

ثم إنه من غير المفهوم أن تظهر بعد المسيح مئات الأناجيل ، وبعد مئات من السنين، فى عام ٣٢٥ الميلادى، يعقد مجمع مسيحى (مجمع نيقيه)، يختار المجتمعون فيه أربعا من هذه المئات من الأناجيل، ويفرض بعد ذلك على الناس على مدى العصور والأزمان، الايمان بهذه الأناجيل الأربعة دون غيرها، إدعاء بأنها وحدها دون غيرها، موحى بها من الله، أما الباقى فتطارد وتحرق .

ولو صح أن هذه الأناجيل الأربعة، دون غيرها من مئات الأناجيل التى ظهرت، هى الموحى بها من الله ، للزم أن يكون هناك معيار واضح ومحدد، وأن يكون اختيارها قد تم على أساس منه، مع إبقاء باقى ماعرف من أناجيل، لتبقى دليلا على صحة هذا المعيار، وشاهدا على سلامة الاختيار، ولكن المعيار الوحيد الذى قيل به هو أنها قبلت من الكنيسة، فأى كنيسة يقصدون، والكنائس قد تعددت حتى بلغت مئات، وكان لكل كنيسة إنجيلها كما قرأنا، وحتى هذا القول منهم لو صح، فإنه غير كاف لاثبات الوحى لهذه الأناجيل الأربعة المتداولة دون غيرها، وما مطاردة باقى الأناجيل وإحراقها، إلا دليل العجز عن إثبات أى فارق يميز الأناجيل الأربعة التى قبلت عن غيرها، فلزم إحراق هذه الأخرى حتى لاتزاحم الأربعة التى اختيرت فى أهميتها وقبولها .

ثم ها هو لوقا البشير، إنه يكتب خطابا وليس إنجيلا، ويوجهه الى شخص واحد سماه باسمه، وليس إلى الناس كافة، وقد كان أمينا حين بدأ خطابه بالاشارة إلى أن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عنده، وقد رأى هو الآخر إذ قد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق أن يكتب إليه على التوالى، ليعرف صحة الكلام الذى علم به، هو نفسه إذن لايعطى ما يكتبه اعتبارا أكثر من أنه قد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق، ولم يقل بأنه يوحى إليه بما يكتب،

ولو ظن فى نفسه ذلك، لما تردد فى أن يكتبه، وإذ لم يفعل، ولم يشأ أن يعطى مايكتبه أكثر مما هو واقع، من أنه قد تتبع كل شئ من الأول بتدقيق، فحسب، فكيف لغيره أن يدعى أنه قد أوحى إليه بما يكتب .

ومثل لوقا البشير، غيره من البشيرين وباقى مؤلفى العهد الجديد، فلو ظن أحدهم فى نفسه أنه يوحى إليه بما يكتب، لما تردد فى ذكر ذلك فى كتاباته نفسها، ولكنهم جميعا قعدوا عن ذلك، لأنهم أدرى الناس بأنهم لم يوح إليهم بشئ مما يكتبون .

ثم يوحنا البشير مؤلف إنجيل يوحنا، من هو، إننا نقرأ أنه قد يكون أحد ثلاثة، تلميذ يوحنا الرسول، فكتب عما سمعه وتعلّمه من الرسول، أو يوحنا الشيخ الذى كان تلميذا للمسيح فى فلسطين وليس أحد الرسل، أو معلم كبير من كنيسة أفسس مجهول الهوية وكانت رغبته أن يفسر إنجيل المسيح للذين يتكلمون اللغة اليونانية حوله [١]، وهذا الرأي غاية فى الخطورة، لأن الاصل أن الوحى إنما يثبت للشخص الذى يوحى إليه أولا، وعندئذ، وبعد ثبوت الوحى له، تقبل أقواله كأقوال موحى بها إليه، أما مجرد كتابات غير محقق معرفة كاتبها، وبالتالى غير ممكن نسبة الوحى إليه، لأن الوحى لاينسب إلى مجهول، فإنه لايمكن بحال من الأحوال إعتبار مثل هذه الكتابات موحى بها، مهما حوت أو تضمنت من أقوال، فكيف يمكن القول بالوحى فى تأليف إنجيل يوحنا، ومؤلفه غير محقق لنا معرفته، حتى يمكن البحث أولا فى ثبوت أو عدم ثبوت الوحى إليه، إن عدم معرفة مؤلف إنجيل يوحنا بيقين، لكاف فى حدا ذاته لنفى نسبة الوحى عن هذا الانجيل .

---

(١) كتاب (شهادة إنجيل يوحنا) بقلم القس جورج ابلتون ونقله إلى العربية إبراهيم مطر، وصادر عن مكتبة المشعل الانجيلية ببيروت صفحة ٤ .

بــــل هناك أمر أكثر خطورة بالنسبة للأناجيل الأربعة معا، إذ نقرأ عن فارق بين انجـــيل يوحنا والأناجـــيل الثلاثة الأخرى، حول عودة المسيح بالمجد، أنه بينما كانت الأناجيل الثلاثة الأولى، تتــــوقع عــــودته بمجد وتاريخ مبكر وغير معلوم، فإننا لانجد فى الانجيل الـــــرابع (إنجيـــــل يوحـــــنا) شيئا يشبه ماورد فى مرقس ١٣ أو متـــى ٢٤ أو لـــــوقا ٢١ ، وتدون الأناجيل الثلاثة كلمات المسيح وتفسيرها الذى أعطته إيــــاها الكنـــــيسة الأولى، ولكن عندما مرت السنون ولم يجئ المسيح، نشط يوحنا إلى تفحص كلمــــات المسيح مرة ثانية، محاولا أن يعطيها تفسيرا خاصا من عنده ، وقد اتضح له بــــأن الفترة التى سوف تمر حتى النهاية، هى فترة طويلة، وأطول بكثير مما ظنه التلاميذ الأوائل (١).

ويحتاج هذا الفارق إلى وقفه، فالأمر لا يتلعق بتفسير أعطته الكنيسه الأولى كما يقال لأقوال المسيح ، بل الأمر يتعلق بأقوال نسب صدورها الى المسيح نفسه فى الأناجيل الثلاثة الأولى، فقد سأله التلاميذ، حسبما ذكرت هذه الأناجيل ، عن علامة مجيئه وانقضاء الدهر، وورد على لسانه فى هذه الأناجيل، ردا عليهم، بيانا لعلامات مجيئه وانقضاء الدهر بتفصيل كبير، وانتهى منها بأن قال ما نصه :

(الحق أقول لكم لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله.) «متى ص٢٤ :٣٤ ومرقس ص ١٣ :٣٠»

(الحق أقول لكم لايمضى هذا الجيل حتى يكون الكـــــل.) «لوقا ص٢١ :٣٢»

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٢ و ١٣

وطبعا مضى هذا الجيل، وأجيال عديدة بعده، ولم يكن إلى يومنا هذا شئ مما نسب إلى المسيح، فى هذه الأناجيل الثلاثة، أنه سيكون فى هذا الجيل الذى كان يتحدث إليه، ولذلك فإن الحقيقة فى هذا الشأن لا تخرج عن أحد أمرين فإما أن هذه الأقوال ، التى نسبت إلى المسيح فى هذه الأناجيل الثلاثة، لم تصدر منه، فلم يقلها المسيح وإنما نسبت إليه بغير حق، وهذا هو سبب عدم مطابقتها للواقع وعدم تحقق شئ منها، وإما أنها قد صدرت من المسيح فعلا، وثبت بعد ذلك أنها مخالفة للواقع، وهذا مستحيل عند المسيحيين والمسلمين على السواء، فهى عند المسيحيين أقوال صادرة من الله، وعند المسلمين أقوال موحى بها من الله، وفى الحالتين يستحيل عند الطرفين معا أن يرد عليها الخطأ، ولذلك لايبقى ممكنا بشأن هذه الأقوال، عند المسيحيين والمسلمين جميعا إلا نفى صدورها عن المسيح نفسه .

وإذا كنا نراهم هنا، يحاولون تبرير عدم صحة هذه الأقوال، من حيث ثبت عدم مطابقتها للواقع، بأن الأمر لايعدو أن يكون تفسيرا خاطئا أعطته الكنيسة الأولى لأقوال المسيح، فإن ذلك القول مردود هنا بأن هذه المعلومات الخاطئة ، والتى تحقق عدم صحتها، لم ترد فى الأناجيل فى صورة تفسير لأقوال المسيح، وإنما وردت كأقوال صدرت منه وعلى لسانه مباشرة، ولايعنى ذلك، إلا أن كاتبى الأناجيل ، قد سمحوا لأنفسهم أن ينسبوا للمسيح أقوالا لم يقلها، لا لشئ، إلا لأن هذه الأقوال هى مجرد تفسير اعتقدوا بصحته لأقواله، دون أن تصدر هذه الأقوال المنسوبة للمسيح منه أصلا، وهو تفسير ثبت عدم صحته كما تقدم، وهو ماينتفى به الوحى عن هذه الأقوال على أى حال.

أما يوحنا، فكما نفهم ، فإنه وعلى حسب قولهم، بعد أن ثبت له عدم صحة ماأعطته الكنيسة الأولى من تفسير لأقوال المسيح، عندما مرت السنون ولم يجئ المسيح حسب تفسير الكنيسة الأولى، نشط هو إلى تفحص كلمات المسيح، محاولا أن يعطيها تفسيرا خاصا من عنده ، فاتضح له بأن الفترة التى سوف تمر حتى النهاية، هى فترة طويلة ، وأطول بكثير مما ظنه التلاميذ الأوائل ، وهذا يعنى فى جميع الأحوال، أن مانسب إلى المسيح أنه قاله فى هذا الشأن، سواء فى إنجيل يوحنا أو فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، لم يصدر منه شئ من المسيح نفسه، وإنما كلها مجرد تفسير من مؤلفى الأناجيل شخصيا، لأقوال للمسيح فى هذا الشأن، ومع ذلك فقد سمحوا جميعا لأنفسهم، أن ينسبوا هذه التفسيرات الشخصية لهم، إلى المسيح نفسه، باعتبارها أقوالا صدرت منه هو شخصيا، وليس كمجرد تفسير شخصى لأقواله، ولا أحد حتى اليوم، يستطيع أن يعرف حقيقة الأقوال التى صدرت عن المسيح فعلا فى هذا الشأن .

ثم شاول، هذا الذى لقّبوه ببولس الرسول ، أين هو من الوحى، شخص لم يلق المسيح يوما قبل رفعه، وكان من أكبر المضطهدين للمسيحيين، ولمجرد ادعائه بأن المسيح ظهر له فى الطريق، سمحوا له بأن يقيم المسيحية على الوجه الذى هى معروفة عليه اليوم، واعتبرت كتاباته أسفارا مقدسة، يلتزم المسيحيون بالعمل بها، بينما قرأنا من قبل، أنه هو نفسه، لم يدر بخلده أن كتاباته ستكون ذخرا للأجيال من بعده، كما وجدنا أيضا أن رسالتين من رسائلة قد فقدتا، فهل كانتا موحى بهما أيضا، ولم زالتا إذن.

صفوة القول، بالنسبة للأناجيل المتداولة، ولغيرها من أسفار العهد الجديد، أنها لاتختلف من حيث الوحى عن غيرها من الأناجيل التى طوردت وأحرقت،

فالوحى منتف عنها جميعا، وانتفاء الوحى فى كتابة هذه الأسفار، ينفى عنها العصمة من الخطأ، ولهذا وردت فيها وقائع غير صحيحة على نحو ماتقدّم بيانه.

وانتفاء الوحى فى كتابة هذه الأسفار، أتاح لمؤلفيها ألا يقتصروا على تدوين الحقائق التى عرفوها، وعلى النحو الذى عرفوها عليه، بل أضافوا اليها ما أسماه البعض تفسيرا لأقوال المسيح، بينما فى حقيقته، هو نسبة أقوال إلى المسيح، دون أن يكون قد قالها ، لا لشئ إلا كما قرأنا، لاعتقادهم بصحتها، وذلك مثل ما أوردته الأناجيل الثلاثة الأولى على لسان المسيح، من أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون فى هذا الجيل الذى كان يتحدث إليه، وهو ماثبت عدم صحته، ومثله أيضا ما أورده يوحنا فى إنجيله فى هذا الشأن نفسه على لسان المسيح، والذى رأينا أنه لا يعدو أن يكون مجرد تفسير خاص من عنده، دون أن يكون أقوالا حقيقية صدرت عن المسيح.

وإذا كان مؤلفوا الأناجيل قد سمحوا لأنفسهم بذلك، فإننا يجب أيضا أن نتوقع مثله من مترجمى الأناجيل إلى مختلف اللغات ، والغريب أنه حتى فى أيامنا هذه، وبعد نحو عشرين قرنا من عصر المسيح، مازلنا نعيش مثل هذا الأمر، من التعديل فى الأقوال المنسوبة للمسيح فى الأناجيل، وذلك فيما يطلق عليه الترجمة العربية الجديدة لنص الأناجيل، والتى تقوم بها لجنة شكّلت لهذا الغرض، بتكليف من بابا الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس فى مصر، والتى بدأت عملها هذا فى السبعينات من هذا القرن ، ولم تنجز منه حتى إعداد هذه الطبعة، سوى الترجمات العربية الجديدة لنص أناجيل متى ومرقس ولوقا، ونورد فيما يلى إشارة موجزة لبعض ما قامت به اللجنة المذكورة، فى ترجمتها هذه، من تعديل فى نصوص الأناجيل، وصل إلى حد تعديل بعض مانسب إلى المسيح فيها

من أقوال، على نحو ما يؤمن به أعضاؤها.

وكمثال بسيط على ذلك، فإني قد استشهدت في الطبعتين الأوليتين من هذا الكتاب، كدليل على أن الشخص الذى قبض عليه وحوكم وصلب لم يكن المسيح، بأن الشخص المقبوض عليه، باعتباره المسيح حسب ظن من قبضوا عليه، عندما كان يسأل عند محاكمته عما إذا كان هو المسيح لم يكن يجيب بالايجاب، بل كان يقول ردا على ذلك، أنت قلت، أو أنتم تقولون، بينما لو كان هو المسيح حقا، لما تردد في الافصاح عن شخصيته، كما فعل لحظة محاولة القبض عليه (١).

وإذا بالترجمة العربية الجديدة، تورد فيما صدر من ترجمات جديدة، عكس ماتقدّم، وتجعله يقطع في إجاباته بأنه هو المسيح نفسه، فبدلا من أن يرد بقوله أنت قلت أو أنتم تقولون، جعلته يرد بقوله نعم أنا هو كقولك أو نعم أنا هو كقولكم، وذلك على النحو الذى يتضح من التفصيل التالى بيانه :

فى إنجيل متى نقرأ :

(فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت.) «ص٢٦ :٦٣و٦٤»

أما فى الترجمة العربية الجديدة لنص إنجيل متى، فنقرأ هاتين الآيتين على النحو التالى :

(فأجاب رئيس الكهنة وقال له «أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا

---

(١) الطبعة الأولى صفحة ١٦٠ و ١٦١ والطبعة الثانية صفحة ٢١٧ – ٢١٩ .

هل أنت المسيح ابن الله ؟». فقال له يسوع «. نعم أنا هو كقولك ».

وفي إنجيل لوقا نقرأ :

(فقال له الجميع أفأنت ابن الله. فقال لهم أنتم تقولون أنى أنا هو)
«ص ٢٢ :٧٠ »

أما الترجمة العربية الجديدة لنص إنجيل لوقا فتقرأ فيها هذه الآية على النحو التالى :

(فقالوا جميعا «أفأنت إذن ابن الله .» .فقال «نعم أنا هو كقولكم» .)

ونقرأ فى إنجيل متى :

(فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود. فقال له يسوع أنت تقول .) «ص٢٧ :١١»

أما فى الترجمة العربية الجديدة، لنص إنجيل متى فتقرأ هذه الآية :

(ووقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا «. أأنت ملك اليهود.» . فقال له يسوع « نعم . أنا هو كقولك» .)

ونقرأ نفس الآية فى إنجيل مرقس تقول :

(فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود. فأجاب وقال له أنت تقول.)
«ص١٥ :٢»

أما فى الترجمة العربية الجديدة لنص إنجيل مرقس فتقرأ:

(فسأله بيلاطس « أنت ملك اليهود ». فأجاب قائلا له . « نعم .أنا هو» .)

كما نقرأ نفس الآية فى إنجيل لوقا تقول :

(فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود. فأجابه وقال أنت تقول .) «ص٢٣: ٣»

أما فى الترجمة العربية الجديدة لنص إنجيل لوقا فتقرأ :

(فسأله بيلاطس قائلا .«. أأنت ملك اليهود . » فأجابه وقال « نعم أنا هو كقولك ».)

وبـــذلك نتبـين أن هنـــاك خط واضح سارت عليه لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، فى ترجمتها الجديدة للآيات سالفة الذكر، والذى يتمثل فى أن تضيف على لسان هذا الذى يحاكم فى الأناجيل، مالم يرد على لسانه فى الترجمات السابقة، لا لشئ، إلا لتؤكد أن هذا الذى كان يحاكم هو المسيح نفسه، فأضافت على لسانه فى الترجمة الجديدة، ما يفيد إقراره بصريح العبارة بأنه المسيح، بخلاف الترجمات السابقة التى لم تقطع إجاباته فيها بذلك، فأضافت فى الترجمات الجديدة، إلى رد هذا الذى كان يحاكم، على ما وجه إليه من أسئلة عما إذا كان هو المسيح، أضافت إلى هذا الرد، فى بدايته، قوله (نعم أنا هو)، وهى عبارة لا أصل لها ولا أساس فى الترجمات السابقة، وهو ما لو كان صحيحا، للزم وروده فيما سبق من ترجمات، ولأزال ماتثيره إجابات هذا الذى كان يحاكم فيها من شك فى حقيقة شخصيته، وهو الشك الذى يستخلص من أقواله نفسها، وهو أيضا الشك نفسه الذى قصدت اللجنة إلى إزالته باضافتها هذه.

ولكن ، من ذا الذى يملك أن يضيف على لسان هذا الذى كان يحاكم

في الأناجيل، مالم يقله، مما لم يرد في الترجمات السابقه للأناجيل، أفلا يكفى ماأضافه مؤلفوا الأناجيل أنفسهم على نحو ماوجدنا من قبل، وألا يكفى أيضا ماجرى من مطاردة مئات الأناجيل التى عرفت مع الأناجيل المتداولة وإحراقها، وألا يكفى ماقد يكون قد شاب الترجمات السابقة من إضافات أملتها معتقدات المترجمين، ألا يكفى كل هذا لتنتهى هذه الاضافات المتكررة لنصوص الانجيل،وترى ، ما الذى سيكون عليه نص هذه الأناجيل فى نهاية الزمان ، إن المؤمن الحق ليفزع، مما ستكون عليه حال هذه الأناجيل عندئذ، إذا استمر هذا الحال على ماهو عليه إلى اليوم.

ومع هذا فأقدر أن هذه الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، سيقدر لها يوما أن تنتشر بين أتباع الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر، وتصبح هى المعتمدة عندهم وحدها دون سواها، وبالتالى فلا أحسب أنى سأعدم يوما من يرمينى أنا بعد ذلك بالتزوير، ويقول أنى ادعيت زورا أن هذا الذى كان يحاكم فى الأناجيل، لم يقر بأنه المسيح، بينما هو قد قالها بصريح العبارة نعم أنا هو، وسيستشهد حينئذ بنصوص هذه الترجمة العربية الجديدة، التى أضافت على لسان هذا الذى كان يحاكم قوله نعم أنا هو، وإنى من اليوم أسجل ذلك كله عسى أن يتردد من يرمينى بالتزوير فيما بعد ، قبل أن يفعل ذلك.

ويصف القرآن المؤامرة على المسيح بالمكر، فيقول :

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.) «آل عمران:٥٤»

وتجرى الترجمة العربية للأناجيل ، على وصف هذه المؤامرة بالمكر حيث تقول:

(وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه.) «متى ص ٢٦:٤»

و (وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه.) «مرقس ص ١٤:١»

إلاّ أن لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، لم تشأ أن تبقى فى ترجمتها كلمة (مكر)، التى يجرى بها وصف نفس الأمر فى القرآن، وبدلا منها كتبت كلمة (خدعة)، فجرى نص الآيتين السابقتين عندها على النحو التالى:

(وتشاوروا ليمسكوا يسوع بخدعة ويقتلوه.) «متى ص ٢٦:٤»

و (فأخذ رؤساء الكهنة والكتبة يبحثون كيف يمسكونه بخدعة ويقتلونه.) «مرقس ص١٤:١»

ولايبدو لهذا التعديل أى فائدة ، ولايكاد يفهم له أى معنى سوى محاولة البعد بألفاظ الانجيل عن ألفاظ القرآن فى شأن نفس الواقعة .

ونقرأ فى إنجيل لوقا :

(وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين. المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.) «ص٢:١٣و١٤»

أما الترجمة العربية الجديدة، لنص إنجيل لوقا، فتقرأ فيها هاتان الآيتان على النحو التالى :

(ثم ظهرت بغتة مع الملاك كوكبة من جند السماء يسبحون الله

قائلين. «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام. وبالناس مسرته».)

وأشارت اللجنة فى الهامش، بالنسبة للشق الأخير القائل (وبالناس مسرته.) ، أنها حرفيا (وبالناس المسرة.) ، وأن المقصود بها مسرة الله بالناس، ومعنى هذا أن لجنة الترجمة، لم تجد حرجا أن تعدل النص الأصلى، الى ماتراه من تفسير له ، قد يحتمله النص الأصلى، ولكنه أيضا قد يحتمل غيره، وإذا كانت اللجنة قد أشارت إلى هذا فى هامش هذه الطبعة، فإن المقطوع به، أن الطبعات التالية ليس محتما أن يكون لها تعليقات فى الهوامش، ومن سيقرأ النص بعد ذلك لن يفهم أنه مجرد تفسير من لجنة الترجمة للنص الأصلى، وإنما سيعتقد تماما أن هذا هو النص الأصلى نفسه .

والذى نخلص إليه من كل ماتقدّم، هو انتفاء الوحى فى كتابة أسفار العهد الجديد المتداولة اليوم، وقد وجدنا أن مؤلفيها أنفسهم، قد أوردوا على لسان المسيح فيها مالم يقله مما ظنّوه تفسيرا لأقواله، واستنتجنا أن المترجمين لأسفار العهد الجديد إلى مختلف اللغات، ربما قاموا هم أيضا بنفس الشئ، بل تأكد لنا ذلك بدليل قاطع، بما ثبت لنا بشأن لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، التى بدأت عملها هذا فى السبعينات من هذا القرن، ولم تتمه بعد، من استباحتها لنفسها أن تدخل تعديلات فى الأناجيل التى ترجمتها، شملت حتى مانسب إلى المسيح فيها من أقوال .

على أننا لا نقصد من ذلك بأى حال إهدار أى قيمة لأسفار العهد الجديد، وإنما كنا فحسب نثبت الواقع فى شأنها، وعلى ضوء هذا الواقع، يمكننا تحديد القيمة التى يجب أن نوليها لهذه الأسفار، ولعل خير مانقرأه فى هذا الخصوص، هو ماقاله أحد الكتاب مما يلى :

(ما الثقة التى توجهها أساليب النقد والبحث الحديث إلى هذه الوثائق، إن الكثيرين – ومن ضمنهم مؤلف هذا الكتاب – يؤمنون كل الايمان بوحى هذه الأسفار ، إلا أننا لانفترض بالضرورة وجود هذا الايمان فى قرائنا الكرام، بل على عكس ذلك نفترض جدلا بأن نعتبر هذه الأسفار كأنها مخطوطات بشرية لها نفس الثقة التى لغيرها من المخطوطات القديمة – لا أكثر ولا أقل. على أنه لمن المستغرب أن قوما من الذين يدعون لأنفسهم قوة الادراك وفضيلة الانصاف، يتوهمون أن الافتراض جدلا بعدم وحى هذه الاسفار يجردها حتما من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة، ويتركها بلا قيمة إلا فى دائرة الروح والأخلاق.)[1]

ونحن إذا كنا نؤمن بيقين، خلافا لما يؤمن به هذا الكاتب ، بانتفاء أى وحى فى كتابة هذه الأسفار، إلا أننا نتفق معه تمام الاتفاق، فى أن نفى الوحى بالنسبة لهذه الأسفار، لا يجرّدها من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة، وإنما تعتبر بحق مخطوطات بشرية، لها نفس الثقة التى لغيرها من المخطوطات القديمة .

وبذلك تتضح الأمور كلها وتستقيم، ويمكن على أساس من ذلك ، ومما أثبتناه فى كل ماسبق، تفسير كل ما كان.

لقد زال بذلك مابدا من تناقض بين الأناجيل المتداولة، من حيث إثباتها أن المسيح نفسه هو الذى صلب، وبين ماجرت به النبوءات من قبل، من أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرسل من العلا فيأخذه، يرفعه من

(١) كتاب (العقل والايمان أو لماذا نؤمن بعقائدنا المسيحية) بقلم نورمن أندرسن – الطبعة الثانية المترجمة إلى العربية وصادرة عن مطبعة النيل المسيحية صفحة ٢٢ .

أبواب الموت، يرفعه فوق القائمين عليه، وأن الخائن يهوذا الاسخريوطى هو الذى سيصلب بدلا منه، حيث قالت فى شأنه أنه كرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع، ومعروف هو الرب قضاء أمضى، الشرير يعلّق بعمل يديه، فرجع بذلك تعبه على رأسه، وعل هامته هبط ظلمه.

لقد زال هذا التناقض بما قالته النبوءات نفسها، فى نهاية الاصحاح الثانى والخمسين من سفر إشعياء، من أن هذا الذى جرت به هذه النبوءات ، سيعجب الناس إذ سيبصرون مالم يخبروا به فيها، ومالم يسمعوا به فيها سيعتبروه، ففهمنا من ذلك أنه فى جيل واقعة الصلب، سيحسب الناس أنهم يبصرون ما أخبرتهم النبوءات بغيره، وسيعتبرون أن المسيح هو الذى صلب، وهو مالم يسمعوا به فى النبوءات من قبل، وبالفعل، ففى جيل الصلب، وإذ خلّص الله مسيحه، فقد تم ذلك فى خفاء عن الناس ، تماما كما أخبرتنا النبوءات من قبل، بخوافيه يظلله وتحت أجنحته يحتمى ، يخبئه فى مظلته فى يوم الشر، يستره بستر خيمته.

أما يهوذا الاسخريوطى، فإذ قبض عليه على أنه المسيح، وجدناه يسكت فلا ينفى ذلك، وظل على سكوته هذا حتى صلب، فكان لازما لكل ذلك، أن يلتبس الأمر على من عاشوا واقعة الصلب، فيعتبرون أن المسيح هو الذى صلب، وإذ دوّن البشيرون وغيرهم أناجيلا، فإنه كان لازما أيضا لذلك ولانتفاء الوحى من الله عما يكتبون، أن يكتبوا فيها ماشبه لهم ولمن عداهم أيضا فى جيل الصلب، من أن المسيح وليس يهوذا ، هو الذى صلب.

حتى أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ونبيه محمد عليه السلام بالقرآن، كلام الله الذى لايرد عليه الخطأ، معلنا للناس كافة ماخفى من قبل عليهم، من أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه ذلك فحسب

للناس، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه، مالهم به من علم إلا اتباع الظن، وماقتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما .

وهكذا استقامت الأمور جميعا بالنسبة لموضوع الصلب ، فنبوءات العهد القديم تعرّفنا بأن الرب مخلص مسيحه، رافعه من أبواب الموت، رافعه فوق القائمين عليه، يرسل من العلا فيأخذه، وبأنه سيخلصه فى خفاء، بخوافيه يظلله، يستره بستر خيمته، يخبئه فى مظلته فى يوم الشر،وبأن الشرير -يهوذا- سيعلّق بعمل يديه، فيرجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته يهبط ظلمه، بل وتعرفنا أيضا بأنه فى جيل الصلب، سيعتبر الناس غير هذا، إذ يحسبون أنفسهم يبصرون صلب المسيح نفسه، وهو مالم يخبروا به من قبل، فقد أخبرتهم النبوءات بعكسه، ولكن وقد شبه لهم ذلك، فقد اعتبروا أن المسيح هو الذى صلب، ودون البشيرون فى أناجيلهم التى ألفوها، وانتفى وحى الله عنها، أن المسيح هو الذى صلب، على نحو ما شبه لهم، إلى أن جاء القرآن ، وحى الله على رسوله الأمين، معلنا الحقيقة فى هذا الشأن، وبها وحدها استقامت الأمور جميعا.

إنها آيات أربع فحسب، من القرآن الكريم، أعلنتها قاطعة حاسمة، أن المسيح ماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم، وماقتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما.

ترى ، أى جلال تنطوى عليه هذه الآيات الأربع، ليس لمنصف بعد كل هذا، إلاّ أن يسلم أن كل ماتقدم فى هذا البحث، إنما كان بمثابة التحدى لصحة هذه الآيات، وإذا بالحقيقة مذهلة، بل إذا بها معجزة، أن هذه الآيات هى الحق وحده، وبها وحدها تستقيم الأمور جميعا، تستقيم نسيجا كاملا متكاملا، بدءاً من نبوءات العهد القديم، إلى حقيقة ماجرى ، وماشبه للناس خلافا له أنه

جرى، إلى هذه الآيات الأربع، تكشف كلّ ماخفى، وبها تستقيم الأمور جميعا.

ترى، أبعد يحتاج امرء إلى دليل، على أن هذه الآيات هى كلام الله، ووحيه المنزل على رسوله الأمين، لا أحسب لمنصف أن يطلب أكثر من هذا دليل.

البـــاب الثانى

فـــي الحقيــقــة
بــين
ألوهية المسيح وعدم ألوهيته

فى هذا الباب، نبحث فى الحقيقة بين أمرين، الأول: هو ألوهية المسيح حسب الاعتقاد الغالب لدى المسيحيين، والثانى: عدم ألوهية المسيح حسب اعتقاد جميع المسلمين، وكما فعلنا فى الباب الأول، فإنه للبحث عن الحقيقة بين هذين الأمرين، لا يجوز افتراض صحة أى منهما إبتداء، وعلى هذا، فإنه يتعين علينا أن نبين فى فصل أول، ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون، وانتفاء هذه الألوهية كما يعتقد المسلمون، ثم نتبع ذلك بفصل ثان، نخصصه للبحث عن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة فى هذا الأمر ، وهو المعيار الذى يتعين أن يكون مقبولا من كل من المسيحيين والمسلمين على السواء، أو فى القليل لا يقبل من أى منهم فى أصول البحث أن يرفضه، ثم نتبع ذلك بفصل ثالث، يخصص لتطبيق ماننتهى إليه من معيار فى الفصل الثانى، على أن ننهى هذا الباب، بفصل رابع وأخير ، نتناول فيه ماقد يثار من اعتراضات على الحقيقة التى ننتهى إليها فى الفصل الثالث .

الفصل الأول
ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون وعدم ألوهيته كما يعتقد المسلمون

وكما هو واضح من عنوان هذا الفصل، فإن البحث فيه ينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : فى ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون.

المبحث الثانى : فى عدم ألوهية المسيح كما يعتقد المسلمون.

المبحث الأول
ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون

إذا كنا فى الباب السابق، قد استطعنا أن نستخلص من الأناجيل الصورة التفصيلية لصلب المسيح كما يعتقد المسيحيون، فإننا لانستطيع أن نستخلص من الأناجيل، الصورة التى يعتقد بها المسيحيون عن ألوهية المسيح، وذلك للسبب البسيط الواضح، وهو أن المسيحيين أنفسهم، قد اختلفوا حول هذه الصورة، وإن اتفقوا على نصوص الأناجيل، بل إن منهم من ينفى هذه الألوهية المقال بها نفسها .

وليس أمامنا من سبيل إزاء ذلك، للتعرّف على الألوهية المقال بها من غالبية المسيحيين، أو بمعنى أدق، للتعرف على طبيعة المسيح عندهم، سوى الرجوع إلى تعريف المسيحيين أنفسهم لهذه الطبيعة وشرحهم لها، وإذا كان ذلك يقتضى منا، التعرف على صور هذه الطبيعة فى مختلف المذاهب المسيحية، فإنه يحق لنا، تجنبا للخوض فى الخلافات اللانهائية بين المذاهب المختلفة فى هذا الخصوص، أن نكتفى بتفصيل الرأي حول هذه الطبيعة فى أحد المذاهب، مع الاشارة بقدر الامكان إلى الخلافات بينه وبين غيره من المذاهب، حول طبيعة المسيح، وطبيعى أن يكون المذهب الذى يقع عليه اختيارنا، هو المذهب الغالب فى بلدى مصر، وهو المذهب الأرثوذكسى.

ولعل خير مايمكن أن يعيننا فى هذا الصدد، كتيب صغير من منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية للكرازة المرقسية، وهو بعنوان (تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح)، ومما يزيد هذا الكتيّب أهمية فى هذا الخصوص فوق ماتقدّم، أنه عبارة عن نص الكلمة التى ألقاها الأرشيدياكون وهيب عطا الله جرجس[١]، ممثلا لوجهة نظر كنيسة الاسكندرية، فى المؤتمر العالمى الذى عقد بمدينة القدس القديمة، فى المدة من ١٢-١٥ أبريل سنة ١٩٥٩، ولهذا فإن هذا الكتيّب بغير شك، يمثل قمة تعاليم كنيسة الاسكندرية فى هذا الصدد.

والتزاما بالأمانة الكاملة، أنقل هنا ماورد فى هذا الكتيب، فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام :

---

(١) وقد ورد عنه فى هذا الكتيب أنه دكتور فى الآداب والدراسات المصرية والقبطية، وبكالوريوس فى اللاهوت، وليسانسيه فى الفلسفة .

(إنى أجرؤ عــلى أن أقرر أن الخلاف، كل الخلاف ، بين الكاثوليك ومن يقول بقولهم من أصحاب الطبيعتين كالبروتستانت وبعض الأرثوذكس الــذين يعترفون بمجمع خلقيدونية من جانب، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح وممن لا يؤمنون بقانونية مجمع خلقيدونية من جانب آخر - أقول إن الخلاف بين هؤلاء وأولئك خلاف فلسفى صرف يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبّر به عن الإتحاد الكائــن بين لاهوت السيد المسيح وناسوته .

أما نحن فى الشرق، فإننا نتخوف كل التخوف من استخدام مصطلحات فلسفية فى تعريف أو تحديد معنى أو حقيقة من الحقائق اللاهوتية، فالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى كنيسة الاسكندرية والكنيستان السوريانية والأرمنية) تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضا بناسوته. ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك. وقد يبدو فى هذا نوع من التناقض. ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقض منطقى عقلى، إلاّ أن كنيستنا لا ترى فيه شيئا من التناقض لأنها تنظر إلى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية ينحل فيها كل مايبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض أو محال. هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى أو فلسفى. فيها لايسأل المسيحى لم ، أو كيف، إنّ فى ديانتنا أسرارا نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان لا شئ إلاّ لأنها قد أعلنت لنا من الله. ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى، لا لشئ إلاّ لأننا أيقنا أنها من الله . وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شئ، كذلك نؤمن بأسرار ديانتنا من دون أن نكون فى حاجة إلى أن نسأل، لم، أو كيف، ولاشك أن العقل الفلسفى لايستطيع أن يقبل هذا الايمان

الصوفى. ولكن العقل الفلسفى ليس فى الواقع عقلا روحيا على الحقيقة: إنه عقل لايؤمن إلاّ بقدراته ومقاييسه وحدها. والديانه بالنسبة إلى العقل الفلسفى هى علم يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع أى فرع آخر من فروع المعرفة الانسانية. والعقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع له كل فروع المعرفة المادية. ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء، وما إليها من أجل أن تجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفى.

وياللأسف، أننا لانستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية، أن نفهم روح الديانة، فعندما يتدخل العقل، تقف التجربة الروحية الصوفية، بل تختفى. إن لنا أن نستخدم عقولنا إلى حد معين، وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسّلم قياده للتجربة الروحية الصوفية.

الايمان الأرثوذكسي في طبيعة السيد المسيح

إن الايمان الأرثوذكسى كما نعترف به فى كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته، وكامل فى ناسوته. ومع ذلك لانجرؤ على القول إنه إله وإنسان معا. لأن هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت. وإنما نقول بالحرى أنه «الاله المتجسد». فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحادا تاما فى الجوهر، وفى الأقنوم، وفى الطبيعة. ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح. بل أنه منذ اللحظة التى حل كلمة الله فى رحم السيدة العذراء، اتخذ الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، من دمها، أى من دم العذراء، جسدا بشريا ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة، واتحد بالناسوت الذى

أخذه من القديسة مريم العذراء. فالمولود من القديسة مريم إذن، هو الاله المتجسد، جوهر واحد، شخص واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة. أو قل هو طبيعة واحدة من طبيعتين، وبعبارة أخرى يمكن أن نتكلم عن طبيعتين من قبل أن يتم الاتحاد، أما بعد الاتحاد فهناك طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين.

وعلى ذلك فالاتحاد الذى تقول به الكنائس الأرثوذكسية التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية يختلف اختلافا جوهريا وأساسيا عن نوع الاتحاد الذى يقول به يوطيخيا .

يقول يوطيخيا إن ربنا يسوع المسيح طبيعة واحدة ، ولكن على أساس أن ناسوت المسيح قد تلاشى تماما فى لاهوته، اختلط به وانعدم فيه ، مثله مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط. فيوطيخيا ينكر فى الحقيقة ناسوت السيد المسيح إنكارا تاما.

وتقول الكنائس الأرثوذكسيه التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية بأن السيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها جميع الصفات والخصائص الانسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية، بدون اختلاط ، وبدون امتزاج، وبدون تغيير. وهذا هو الايمان الذى يجهر به الكاهن فى القدّاس القبطى عندما يتلو الاعتراف الأخير، وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه قائلا:

« آمين، آمين، آمين، أؤمن، أؤمن، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح (أخذه) من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الاله القديسة مريم، وجعله واحدا مع لاهوته بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولاتغيير ... بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين» .

وعلى ذلك فصفات اللاهوت باقية، وصفات الناسوت باقية، ولكن فى طبيعة واحدة .

« المسيح إذن من طبيعتين، ولكنه ليس هو طبيعتين بعد الاتحاد » كما يقول البابا ديوسقورس. فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به ، ولا استحال أحدهما إلى الآخر. إنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا. واتحادهما ليس من قبيل الاجتماع أو الاقتران أو المصاحبة، ولكنه اتحاد بالمعنى الحقيقى لكلمة اتحاد. وإذا كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا، فقد صارا واحدا، ولا محل للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحا أو حقيقيا .

ولكن كيف صار هذا الاتحاد، أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معا بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير، أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولاتكون له الطبيعتان، هذا ما لا نعرف. إنه سر من الأسرار الالهية، لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه فى عقولنا . من هنا سمى فى الاصطلاح الكنسى بسر التجسد الالهى. فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشرى وكل تصور .

قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسة للعقل الفلسفى أو للعقل المادى، وقد يكون فيها تناقض، وقد يكون فيها مايتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية. كل هذا قد يكون صحيحا، ولكننا نصدق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن، ذلك لأن الله أراده، وإذا أراد الله شيئا فهو ممكن، وحتى لو كان هذا غير معقول للعقل المادى فإنه معقول للعقل الروحانى الذى لايعرف لقدرة الله حدودا. وهذا هو «الايمان الذى بلا فحص» الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى القدّاس الالهى.

قد نتكلّم أحيانا عن الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية، لكنّ هذه التفرقة تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها فى الواقع بالنسبة للسيد المسيح، الاله المتأنس. ذلك أنه لم يحدث بتاتا أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين فى الخارج ثم اتحدا معا بعد ذلك. إن ما حدث هو هذا: أن الأقنوم الثانى من اللاهوت القدوس نزل وحل فى أحشاء البتول مريم، وأخذ من لحمها ودمها جسدا ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة) . [١]

(أما بعد ، فيبدو أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، مجرد خلاف فى التعبير، ذلك لأن كل فريق يقر بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

وإنى أرى أن هذا صحيح إلى حد بعيد، وأن الخلاف بين الفريقين هو خلاف فى الحقيقة على التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبّر به المسيحيون عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت.

ومع ذلك فلكنيستنا المرقسية الأرثوذكسية وللكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى لاتقر بقانونية مجمع خلقيدونية أسباب تحدوها إلى أن تتمسك بالتعبير «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» أو «طبيعة واحدة من طبيعتين»، أو «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير». وهى الأسباب عينها التى ترفض من أجلها الاقرار بتعبير الغربيين «طبيعتان متحدتان» .

---

(١) صفحة ١٣ - ١٨ من الكتيّب .

هذه الأسباب يمكن تلخيصها فى النقاط الآتية :

أولا : ليس هناك نص إنجيلى واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد .

على العكس تماما فإن هذه النصوص المقدسة تساند التعبير « طبيعة واحدة لها صفات وخواص الطبيعتين» .

• • • •

ثانياً : إن التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح – وهو التعبير الذى تقول به الكنائس الخلقيدونية – تعبير خطر لأنه يشتمل على معانى، أو على الأقل على احتمالات بمعانى، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحية .

١ – إنه يتضمن الثنائية فى السيد المسيح. والثنائية نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت السيد المسيح وناسوته. وإلا فلماذا تصر الكنائس الخلقيدونية على القول بطبيعتين متحدتين، ولا يقولون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد.

٢– إن تعبير الكنائس الخلقيدونية القائل «بطبيعتين متحدتين» يحمل التصريح بأن هناك طبيعتين للسيد المسيح كانتا مفترقتين ثم اجتمعتا معا. وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطورى بعينه، وهو المذهب الذى ترفضه الكنائس الخلقيدونية رفضا باتا، وتعتبره هرطقة فاسدة.

٣ – إن تعبير «الطبيعتين المتحدتين» تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشرى.

لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد، فمن المنطقى أن عمل الفداء قام به جسم السيد المسيح، لأنه هو الذى وقع عليه فعل الصلب، وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أى قوة على خلاص الجنس البشرى، إذ يكون الذى مات من أجل العالم هو إنسان فقط، مع أن الفداء يأخذ كل قيمته فى أن الذى صلب عنا هو بعينه الكلمة المتجسد. حقا إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى وقعت على ناسوت المسيح، ولكنّ اللاهوت هو الذى أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الانسانى .

إن التعبير «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين» تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الانهيار، بينما أن القول بطبيعتين متحدتين يقبل الاحتمال بأن الصلب كان صلبا لجسد يسوع فقط، ولم يكن صلبا للمسيح باعتباره الاله المتجسد، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التى يتعلق عليها فداء الجنس البشرى بأسره. وهو معنى تعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التى تتكلم عن الفداء. ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر مرة أخرى ماقاله الرسول القديس بولس من أن الدم الذى سفك لافتداء البشرية هو دم الله عينه «كنيسة الله التى افتداها بدمه». «أعمال ٢٠ :٢٨»

٤- إن تعبير الطبيعتين المتحدتين لا يستطيع أن يفسّر اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، فى أن القديسة مريم هى والدة الاله .

لست أدرى كيف يستطيع الكاثوليك والأرثوذكس الخلقيدونيون، أن ينقذوا أو يبرروا اعتقادهم فى أن السيدة العذراء هى والدة الاله، إذا كانوا يصرون على القول بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين .

أما التعبير القائل بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، فهو وحده الذى يمكن

أن يفسّر الاعتقاد فى أن العذراء والدة الاله، من حيث أن الذى ولد من مريم هو الاله المتجسّد. ولو كان فى المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الانسان يسوع فقط، ولايصح تلقيبها بوالدة الاله، لأنها ليست أصلا للاهوت. فالقول بطبيعتين فى المسيح يسلم إلى الاعتقاد النسطورى الذى يؤيده البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم، وهو أن العذراء ليست والدة الاله، وانما والدة الانسان يسوع.)[١]

(هذا هو الوضع اليوم، الوضع الصحيح للمشكلة القائمة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، وهى مشكلة التعبير الصحيح الذى يجب أن يعبر به المسيحيون عن اعتقادهم فى لاهوت السيد المسيح وناسوته فى نفس الوقت .

ولاشك أن الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية التى تقر بمجمع خلقيدونية ليست نسطورية على الاطلاق. كما أن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى لاتقر بمجمع خلقيدونية ليست بأوطاخية على الاطلاق .

لذلك فاننا لم نفقد الأمل فى أنه سيأتى إن شاء الله اليوم السعيد الذى يوفق فيه المسيحيون إلى التعبير الواحد الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح .

ولاشك فى أننا فى حاجة ماسة إلى مجمع مسكونى عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد. ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية السعيدة يجب أن نرحب بالمؤتمرات، فانها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر، وتصحيح الأفكار الخاطئة التى يحملها الغرب على الخصوص عن عقيدة

---

(١) صفحة ٢٠-٢٧ من الكتيّب .

الكنيسة المرقسية الاسكندرية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، واتهامها بالأوطاخية ذلك الاتهام الظالم الذى ليس له على الاطلاق سند من واقع .

فلنصلّ إلى الله من أعماق قلوبنا من أجل وحدة كنيسة المسيح، حتى يمكنها أن تحمل مشعل الحق الالهى، وتكرز بأنجيل المسيح بغير عثرة، وتهدم صروح الشر، وتقاوم الالحاد والمادية .

إن وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية ليست فقط تطابق إرادة الله المقدسة ولكنها الشرط الذى اشترطه السيد المسيح من أجل نشر رسالته بين غير المسيحيين.)(١)

هذا هو نص عبارات الكتيب فى هذا الشأن، لم نستبعد منها سوى جزء من المقدمة ،وما استند إليه المؤلف من آيات العهد الجديد، وهذه العبارات التى أوردناها تلقى بعض الضوء على الخلافات بين المذاهب المسيحية فى هذا الخصوص ، ومنها نعرف أن هناك العديد من هذه المذاهب ، بل إن المذهب الواحد يتفرع بدوره إلى نحل ومذاهب ، فقد قرأنا فى الكتيب إشارة إلى البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم، وحتى المذهب الأرثوذكسى الذى اخترناه، وجدناه ليس واحدا، فهناك كنائس أرثوذكسية خلقيدونية،. وأخرى غير خلقيدونية، ومن هذه الأخيرة، الكنيسة المرقسية الاسكندرية، التى صدر عنها الكتيّب السالف الاشارة إليه، وأحسب أن ماورد فى هذا الكتيب، فيه الكفاية لبيان سبب عجزى عن الاستدلال على ألوهية المسيح المقال بها، من الأناجيل ، فقد وضح جليا، أن المسيحيين أنفسهم ، وبعد نحو عشرين قرنا من المسيح، لم

(١) صفحة ٢٨ و ٢٩ من الكتيّب .

يستطيعوا بعد أن يتفقوا على تصوّر واحد لهذه الألوهية ، وإن كان الأمل مازال يراودهم في ذلك، ولكنه يبدو بعيد المنال، حتى أنهم يرون أنه للوصول إلى مثل هذا الاتفاق، فإنهم يحتاجون إلى مجمع مسكونى عام، وعليهم قبله الترحيب بالمؤتمرات، لأنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر.

على أن هذه الألوهية المدّعى بها للمسيح، وإن كان مسلّما بها من الغالبية من المسيحيين، مع مابينهم من اختلافات حول تصورهم لها، إلا أنه لاتفوتنا الاشارة فى هذا الخصوص إلى أن من الفرق المسيحية نفسها، من ينكرون هذه الألوهية أصلا، ومن ذلك مانقرأه عن بعضها [١] مما يلى :

نقرأ عن فرقة باسم شهود يهوه :

(والآن إنى أضع أمامكم موجزا عن معتقدات هذه الفرقة لكى تروا كيف أنها مناقضة لأقوال الله التى يصرح بها الكتاب المقدس .

أولا: معتقدهم بعدم تجسد الابن وانكارهم لألوهيته وأزليته .

. . . .

رابعاً: معتقدهم بعدم أقنومية الروح القدس .

خامسا: معتقدهم بأن الثالوث الأقدس من إنشاء إبليس ومن مصدر وثنى.

ولتفصيل ما أوجزت أقول :

أولا: إنهم ينكرون حقيقة تجسد المسيح وينكرون ألوهيته وأزليته، ... بهذا

---

(١) فى كتيّب بعنوان (الفرق المسيحية المستحدثة) صادر عن مكتبة المشعل الانجيلية ببيروت، وهو استعراض لست فرق كتبه رجال بحث منزهون، طبقا لما دوّن عليه .

اللفظ بالذات يقولون «كان انسانا فقط لا أكثر ولا أقل». وهذا يعنى أنه لم يكن إلها وإنسانا كما يوضح الانجيل. ولايضاح إنكارهم لحقيقة تجسده نجد مؤلف كتاب «الحق يحرركم» - وهذا أحد كتبهم العقائدية - يقول على صفحة ٢٤٩ (لو كان المقصود مجرد تجسد ابن الله لما كان من لزوم عندئذ لنقل حياته إلى جنين فى رحم العذراء فيتطور هنالك ثم يولد أخيرا كطفل قاصر عاجز. كان بامكانه أن يظل شخصا روحيا ثم يتخذ جسدا بشريا كامل النمو يكسو به نفسه..)

....

رابعا: معتقدهم بأن الروح القدس ليس أقنوما فى الثالوث الأقدس، إذ أنهم ينكرون أزليته كشخص إلهى. ومما كتبه مؤلف كتاب «ليكن الله صادقا» صفحة ١١٣ يظهر تحقيرهم لشخصه القدوس حيث يقول الكاتب: (إن زعم رجال الدين أن الروح القدس شخص روحى ثالث هو زعم مبنى على أساس واه نشأ عن سوء ترجمة الأصل اليونانى. نسمة، أو ريح، أو نسيم). ويتابع المؤلف قوله (ولنسلم جدلا أن يسوع كان مساويا لأبيه فى القدرة والجوهر والسرمد منذ ولادته إلى ساعة معموديته فى الأردن، فاذا كان ذلك حقا، أين كان الأقنوم الثالث أى الروح القدس فى خلال تلك المدة.)

خامسا: معتقدهم بأن الثالوث وثنى الأصل، وبالتالى من إنشاء إبليس. فمؤلف كتاب «ليكن الله صادقا» صفحة ١٠٥ و ١٠٦ يقول (فى سنة ٣٢٥ عقد رجال الدين مجمعا فى نيقيه وفيه أقروا عقيدة التثليث ثم حسبت بعد ذلك بزمن يسير العقيدة المركزية لكل هيئات المسيحية الاسمية. ومابرح الاكليريكيون منذ ذلك الحين على اختلاف المشارب والمشاعب يتمسكون ويتشبثون بهذه العقيدة المتشابكة التى ابتدعها إبليس زارع الزوان المعروف.) . وفى صفحة ١١٧

يقول (ماخطرت عقيدة التثليث في بال يسوع على الاطلاق، ولم تخطر على بال أحد من مسيحيى القرون الأولى للميلاد) ثم يقول (والأغرب من ذلك أن يتبنى هذه العقيدة أناس غير كاملين وأن يتسلموها من الوثنيين). [١]

وعن فرقة أخرى باسم المرمون نقرأ:

(والروح القدس فى اعتقادهم ليس سوى سائل ولا تتمركز عقائدهم على المسيح لأنه ليس هو إله فى نظرهم. ونظريتهم فى الخلاص غريبة فهم يؤمنون بأن الخلاص يتم عن طريق إتمام المراسيم التى ينص عنها كتاب المرمون والقيام بالأعمال الحسنة كأنما الانسان يتبرر بأعماله .

ويدّعون أيضا أن كنيستهم هى الكنيسة الوحيدة الحقيقية لعبادة الاله الحي. وجميع الكنائس الأخرى تبشر بعقائد كاذبة وهى تحت لعنة الله.) [٢]

ونقرأ أخيرا عن فرقة اليونيتريانزم أو الشيعة التى تنكر عقيدة التثليث، طبقا لما ورد عنها بعنوان المقال نفسه :

(وترتكز بدعة الموحّدين على بعض عقائد آريوس. وأصحابها ينكرون عقيدة الثالوث وألوهية المسيح. فالمسيح فى نظرهم قد أعطى أعلا منزلة بين البشر، إلا أنه لايدانى الله أو الآب ، وليس هو ابن الله ومعنى ذلك هو قيام المسيحية بدون المسيح الذى هو ابن الله المخلص الفادى للعالم .

• • • •

ومعظم عقائد هذه البدعة سلبية. فهى لاتمتاز بالأمور الايجابية بل بجحد وإنكار الكثير من العقائد الجوهرية التى هى فى صلب الايمان المسيحى، فمن

---

(١) صفحة ١٠ – ١٨ من الكتيّب سالف الذكر فى الهامش السابق .

(٢) صفحة ٣٥ من نفس الكتيّب المشار إليه فى الهامش السابق .

جهة الثالوث فانهم ينكرون هذه العقيدة مدّعين بأن الذين يؤمنون بالثالوث إنما يدعون لعبادة ثلاثة آلهة. لذلك فهم يقتصرون على الاعتقاد بأقنوم واحد هو شخص الله فقط .

وكذلك هم ينكرون ألوهية المسيح الذى يجعلون منه إنسانا مثالياً، ويجردونه عن ألوهيته. وهم يدعون إلى تفسير كلمة الله الواردة فى الكتاب المقدس عن طريق العقل، فلا تؤخذ بحرفيتها أو يعمد إلى تفسير رموزها ، كذلك هم ينكرون أسرار الكنيسة ويعتبرن الكنيسة نفسها مؤسسة عالمية ...

• • • •

ولشد ماجابه أتباع هذه الشيعة اضطهادات فى القارة الأوروبية، ففى عام ١٦٦٠ هدمت كنيستهم فى بولندا غير أنه بقى لهم فى المجر عدة كنائس حتى مطلع هذا العام (١٩٥٦). وإن كانت هذه الطائفة عانت من صنوف الشدائد والاضطهادات فى القارة الأوروبية إلا أنها فى انجلترا وأمريكا وجدت بعض القبول والتساهل .

ومأساة عصرنا هى أن أتباع هذه البدعة لايقتصرون على من هم ضمن كنيستهم بل إن الكثيرين منهم يتسربون إلى الكنائس الانجيلية الأخرى ويعتلون منابرهم ويبشرون بمبادئهم . فهناك عدد من القسوس الذين ينكرون ألوهية المسيح والثالوث المقدّس فى قرارة نفوسهم مع أنهم يعتلون منابرنا الانجيلية، ويعتبرون فى عداد قسوسنا، وكثيرا مانسمعهم يبشرون بمبادئ اليونيتريانزم من طرف خفى، ونحن لانشعر. ولاشك أن السماح باستمرار هذا الحال يشكل خطرا على معتقداتنا، ولابد أن يكون لمثل هذا التساهل عواقب وخيمة ونتائج خطيرة.) (١)

---

(١) صفحة ٣٨ – ٤٠ من نفس الكتيّب المشار إليه فى الهامش السابق .

المبحث الثانى

عدم ألوهية المسيح كما يعتقد المسلمون

بعكس الأناجيل ، وبعكس الحال بالنسبة لموضوع الصلب، فإن القرآن قد أفاض فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام، بنصوص صريحة ومفصلة وواضحة، بحيث لاتحتمل أدنى لبس أو شك، بحيث يستطيع أى امرء أن يخرج من القرآن، بفكرة محددة لا يختلف عليها، بالنسبة لطبيعة المسيح .

وفيما يلى نورد من القرآن الآيات التى تناولت هذا الأمر :

(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين. ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين. قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل. ورسولا إلى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربّى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم.) «آل عمران ٤٥-٥١»

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.) «آل عمران ٥٩»

(ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون.) «آل عمران ٧٩»

(يا أهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ولاتقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا.) «النساء ١٧١ و ١٧٢»

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلاّ إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون.) «المائدة ٧٢-٧٥»

(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن

كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفس ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علاّم الغيوب. ما قلت لهم إلاّ ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربّى وربّكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد.) «المائدة ١١٦ و ١١٧»

(واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا . قال إنما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاما زكيّا. قالت أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيّا. قال كذلك قال ربك هو علىّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيّا. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربّك تحتك سريا. وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً. فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا. فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا. قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً. وبارا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً. ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ماكان لله أن يتّخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون.) «مريم ١٦-٣٥»

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئا إدا. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغى للرحمن أن يتّخذ ولدا. إن كل من فى السماوات والأرض إلاّ آتى الرحمن عبدا.) «مريم ٨٨-٩٣»

هكذا نعرف من القرآن أن الله سبحانه وتعالى ، خلق المسيح بكلمة منه، هى كلمة «كن»، ألقاها إلى مريم العذراء، فكان ما أراد، كان المسيح عليه السلام، رسولا إلى بنى اسرائيل، ومثل عيسى الذى ولد من غير أب، كمثل آدم، الذى خلقه الله من غير أب أو أم، وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبّوة ، أن يدعو الناس لعبادته هو من دون الله، ولهذا فإن المسيح لايمكن أن يكون قد دعا الناس إلى شئ من ذلك ، ويقطع القرآن بما لايترك مجالا لأدنى لبس أو غموض ، بأن القول بأن المسيح هو الله كفر، بأى صورة يكون عليها هذا التصور للمسيح كإله، كما أن القول بأن الله قد اتخذ ولدا، هو قول يبلغ من السوء إلى حد أن السماوات نفسها تكاد يتفطرن منه والأرض تكاد أن تنشق والجبال تخر هدا.

المسيح إذن فى الاسلام، مجرد إنسان نبى، رسول بشر، خلقه الله بغير أب، وهو ليس الله، وهو أيضا لم يدّع الألوهية بأى صورة من الصور، أو فى أى يوم من الأيام، وما كان له أن يفعل ذلك ، والقول بألوهيته فى حكم الاسلام كفر.

الفصل الثانـــــى

المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة
بين
ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته

ليس الوصول إلى المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته بالمستحيل، ولعل عودا بنا إلى ميلاد المسيح ونشأته، وحياته بين الناس كبشر مثلهم، ثم كرسول نبى يبشّر بالانجيل وينشر الدعوة بين الناس، ثم كيف تطوّر الأمر بعد ذلك حتى اعتبره البعض إلها، ورأوا فيه الله نفسه، كل ذلك بالاضافة إلى إيمان المسيحيين والمسلمين على السواء، بكل ما يصدر عن المسيح من قول، لعل فى كل ذلك مايمكن أن يوصلنا إلى المعيار الصحيح، للكشف عن الحقيقة، بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته، وهو المعيار الذى يجب أن يكون مقبولا من كل من المسيحيين والمسلمين على السواء، أو فى القليل لايقبل من أى منهم فى أصول البحث أن يرفضه .

ولعلّ أنسب مانستعين به عن حياة المسيح مؤلّف بعنوان (حياة يسوع)[١]، وقد أضاف مؤلفه إلى هذا العنوان أنه عن (سيرة المسيح الشعبية)، وقد أوضح

---

(١) من تأليف الدكتور بترسن سميث ونقله إلى العربية حبيب سعيد – الطبعة الثانية – صادر عن دار الشرق والغرب .

المترجم فى مقدمته، بيانا لأهمية هذا الكتاب، أنه قد أعيد طبعه باللغة الانجليزية، إحدى وثلاثين مرة خلال ثمانى سنوات، ولهذه الأهمية نفسها وقع اختيارنا عليه فى هذا الصدد، ونقرأ فى صفحتى ٢٤ و ٢٥ منه:

(خلال حياة السيد المسيح لم يفكر أحد قط من التلاميذ فى هذا الموضوع -ميلاده العذراوى- فان التفكير فيه قبل إدراك ألوهية المسيح كان يحسب من الأمور السخيفة السابقة لأوانها، والتى لايمكن تصديقها. وإن تكتّم الأم العذراء «التى حفظت جميع هذه الأمور فى قلبها» يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن روايتها لم تفش إلاّ لنفر قليل من الأخصّاء، وكيف لا يكون ذلك والأمر دقيق يتطلب بطبيعته التمنع والاحجام عن إذاعته فى وقت كان ينظر فيه إلى المسيح كمجرد إنسان. ونحن مع توقيرنا لسر التجسد يصعب علينا جدا أن ندرك حقيقة الموقف يومئذ. ولكن التاريخ يفضح كل شئ ويروى لنا كل الفريات المستقبحة التى أذاعها أعداء المسيحية فيما بعد. وهل تستطيع الأم المباركة نفسها أن تنسى ذلك اليوم المشئوم القاسى، يوم ارتاب خطيبها فى طهارتها وعفتّها وأراد أن يخليها سرا. وكيف كان يمكنها أن تذيع فى عالم مشبع بالشكوك والافتراءات ذلك الاختبار الفريد الفذ فى ذاته قبل أن تدرك فى نفسها ألوهية المسيح ومعنى الميلاد العذراوى.

ولايغرب عن البال أن التلاميذ قبلوا المسيح فى بادئ الأمر كانسان. وقد كان هذا هو القصد الالهى الذى أراده المسيح. فانه كانسان اكتسب عطفهم واعجابهم واحترامهم. وتدريجيا أخذت أحاسيسهم تتعمق وتزداد فى الدهشة والرهبة، فى الحيرة والتردد، وقد حاروا فى أمرهم، ولم يرد هو أن يجلو ما غمض عليهم ولكنه احتفظ بالسر الالهى، وحتى عندما لمحوا وميضا منه منعهم من أن

يتكلموا. وحتى بعد التجلى أمرهم أن يصمتوا إلى أن «يقوم ابن الانسان من الأموات». ولم يبدأ إعلان ذاته إلا قبيل نهاية حياته. فقال لهم «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى» - «أنا والآب واحد» - «يوما ما سآتى لأدين الأحياء والأموات».

ولم يشرق عليهم فجر هذا الاعلان الهائل إلا بعد القيامة، والأربعين يوما التى قضاها مترددا عليهم، والصعود إلى السماء، ونزول الروح القدس عليهم - وبعد هذا كله أدركو ا فى رهبة وخشوع من كان ذلك الشخص العجيب الذى قضى معهم ثلاث سنوات فى فلسطين. فكتب أحدهم: «الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده، مجدا كما لوحيد من الآب».)

وهكذا بيّن لنا الكاتب فى إيجاز أن ألوهيّة المسيح لم تخطر على بال أحد منذ ميلاده، وإنما عرفه الجميع وقبلوه كإنسان فحسب، ثم بدأت فكرة ألوهيته تنمو فى الأذهان شيئا فشيئا، ولكنها لم تتضح تماما إلاّ بعد رفعه، ومضى أكثر من أربعين يوما بعد ذلك.

ويعود الكاتب ابتداء من صفحة ٣٠ إلى تفصيل بعض ماأوجزه مما تقدّم فيقول :

(ولايسع الباحث إلا أن يفكر فى موقف العذراء الأم إزاء ولدها يسوع. هل حسبته «إلها» إبن الآب الأزلى.

إن رواية الانجيل تجعل هذه الفكرة محالة. كما أن العقل السليم لايسلم بها. وإلا كيف أمكن تربيته كصبى بشرى عادى خاضعا لوالديه «يتقدم فى الحكمة والقامة عند الله والناس»، وإلا كيف استطاعت أن تؤنبه على توانيه فى الهيكل مع أحبار وعلماء اليهود، وكيف عالجت شئونه كلها كطفلها الخاضع

لها، إن فكرة «ألوهيته» لو كانت عرفت في بادئ الأمر لهالت كل إنسان وتعذر معاملته كصبي بشرى، ولكانت الحياة العائلية غير محتملة وغير ممكنة، ولذهب هباء قصد التجسد الذى انطوى على أن يكون المسيح إنسانا كاملا ينمو تدريجيا في الحياة الشخصية والادراك البشرى.

كلاً. إن العذراء لم تفكر في ولدها كاله. لقد عرفت أنه المسيا المنتظر الموعود به، ولكن اليهود كانوا يعتنقون أفكارا مبهمة غامضة عن المسيا . عرفت أن ميلاده المعجزى جعله فريدا عديم المثال، ولكنها لم تدرك سر «ألوهيته» الهائل الذى لم تفطن إليه ولم تعرفه إلا مؤخرا.

وحتى التلاميذ أنفسهم لم يدركوا هذا السر الهائل إلا قبيل نهاية حياته. لأن سر ألوهيته ظل مكتوما أكثر سنى حياته على الأرض حتى يتسع له المجال لينمو إنسانا كاملا يتذوق اختبارات البشر، وليعرفه الناس كصديق بشرى، وليجرأ بطرس على توجيه الأسئلة إليه، وليضع يوحنا يده على صدره بلمسة الحب والعطف، وليجد الأطفال الصغار حنانا بين ذراعيه. وليقبل إليه العشارون والخطاة في جسارة لاتكلف فيها. وكيف كان يمكن أن يحدث كل هذا لو عرفوا من بادئ الأمر أنه «الله» .

ولكننا نراه يزيح اللثام تدريجيا عن هذا السر كلما اقتربت نهاية الحياة. ونرى في الرسل شعور الدهشة والحيرة يتزايد. ونراهم يذهلون أحيانا ويصمتون أمام تلميحات عارضة عن هذا السر الهائل. ولكنهم لم يفطنوا إليه ويدركوه تماما إلا بعد موته وقيامته وصعوده بمجد وإرساله الروح القدس. عندئذ أخذوا يرجعون بذكرياتهم إلى الوراء خلال ثلاث سنوات تقضت في صحبته ويتعجبون كيف أمسكت عيونهم عن معرفة ما عرفوه الآن من أن «الكلمة صار جسداً وحل بيننا

ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا ».

وهل لنا أن نتقدم بوقار خطوة إلى الأمام، ونحن الآن على أرض مقدسة نواجه أسرارا خالدة. ولكن لايسعنا إلا التفكير فيها. ونرغب جد الرغبة أن نفهمها بقدر ما تصل إليه أفهامنا. وترى ماذا كان شعور الطفل الالهى عن نفسه .

ولزام علينا قبل كل شئ أن نؤمن بناسوته كما نؤمن بلاهوته. فقد صار «إنسانا تاما» مثلنا فى كل شئ ما عدا حماقتنا وعصياننا وخطيتنا، وكان الصبى يسوع غلاما بشريا. ونحن نتعجب ونتساءل قائلين. ترى متى بدأ هو أن يدرك «نفسه» ويعرف الأعماق التى لاغور لها داخل «نفسه»، ألم يحدث أن ساوره أحيانا خلال صلواته فى عهد الصبوة شعور الرهبة. وأحس – ولو احساسا ضئيلا– بعظمة منسية وبعالم من النور والجمال يفوق كل شئ مما رأى على الأرض. ألم يفطن الصبى إلى حقيقة نفسه ويفهم دعوته وسبب مجيئه إلى هنا.

نحن نعلم أن قبوله البشرية وحدودها الضيقة معناه الانتقاص من ادراكه الكامل لحقيقة عظمته فى العالم الأزلى. ولولا ذلك لما استطاع أن يكون إنسانا كاملا. ولكن نجرأ على شئ آخر، ويخامرنا فكر بأن سر يسوع نفسه كان مستكنا فى «عقله الباطن» بشكل ما، بينما كان يشعر بادراكه العادى المستيقظ أنه غلام بشرى طبيعى...

ولسنا نحسبه عدم احترام من جانبنا أن نجول مثل هذه الأفكار بمخيلاتنا. ولكن يليق بنا ألا نذهب إلى أبعد من هذا .)

وهكذا نعرف أنه عند المسيحيين أنفسهم، ولد المسيح إنسانا، وعرفته العذراء أمه إنسانا، وعرفه الناس إنسانا، بل وجدنا أن منهم من يقول أنه حتى المسيح عرف

نفسه إنسانا، ثم يتساءل بعد ذلك متى بدأ هذا الانسان يدرك حقيقة ذاته، ثم عرفه الناس كنبى، وعرفوا فيه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم، ومع هذا لم يعرفوا فيه أكثر من إنسان، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه الله نفسه، إلا فى الأيام الأخيرة، حين بدأ يلمح إلى ألوهيته فى خفاء كما يقولون، ولم يقبل نشر أمر هذه الألوهية أو إعلانها بين الناس، ولم تعرف هذه الألوهية تماما إلا بعد أكثر من أربعين يوما من رفعه .

على أنه بعد كل ذلك، فإن هذه الألوهية التى قيل بها لم تكن الأمر المسّلم به من كل المسيحيين، بل ظل هناك من ينفون هذه الألوهية ممن آمنوا بالمسيح، حتى أن يوحنا البشير ألّف إنجيله للرد عليهم، وفى ذلك نقرأ :

(وقال ايريناوس أيضا أن يوحنا الانجيلى قصد ببشارته الرد على الضلال الذى قرره كيرنثوس الهرطوقى فى عقول الناس والذى جاء أولا من جماعة النيقولاويين ولكى يقنعهم بأنه لايوجد الا إله واحد قد خلق جميع الأشياء بكلمته.

وايرونيموس يثبت شهادة ايريناوس هذه اذ يقول: لما كان يوحنا فى اسيا قامت هرطقات ابيون وكيرنثوس وغيرهم ممن أنكروا لاهوت المسيح وهم الذين يدعوهم فى رسالته أضداد المسيح والذين كثيرا مايذمهم بولس فى رسائله فالتزم يوحنا بسبب طلب جميع أساقفة اسيا ورسل كنائس أخرى كثيرة أن يكتب بالتصريح عن لاهوت مخلصنا ويتقدم فى خطاب سام كثير الشجاعة والمناسبة عن الكلمة ».

• • • •

وقـال أيضا هذا الأب المعلم في كتابه المعنون بمشاهير الأنام– ان يوحنا كـتب بشـارته بطلب اساقفة اسيا ضد كيرنثوس وغيره من الهراطقة خصوصا ضد تعليم الابيونيين الذين قاموا فى ذلك الزمان وكانوا يقولون ان المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم فلذلك التزم ان يعلن طبيعته الالهية .) (١)

وكما وجدنا من قبل ، فإنه مازال هناك حتى اليوم ، من الفرق المسيحية من ينفى هذه الألوهية المقال بها للمسيح نفيا تاما.

عند المسيحيين إذن، أن المسيح ولد من مريم العذراء، ونشأ وتربى فى حضانتها كإبنها الخاضع لها، ولم تر فيه وهى أمه التى ولدته، وهى أدرى الناس بميلاده العذراوى، غير إنسان بشر، وعرفه الناس، فلم يعرفوا فيه غير إنسان بشر، حتى بدأ دعوته وأخذ يكرز بالانجيل، فعرفوا فيه رسولا نبيا، وعرفوا فيه المسيح الذى بشرت به، وتنبأت عنه، أسفار العهد القديم، ولم يعرفوا فيه رغم ذلك أكثر من إنسان بشر.

وبذلك، فطوال فترة حياة المسيح على الأرض ودعوته، لم يعرف فيه الناس جميعا، غير إنسان بشر، وإلى هنا مازال إيمان المسيحيين والمسلمين واحدا بشأن طبيعته عليه السلام، ولكن إلى هنا يقف اللقاء بينهما ، حيث يذهب أغلب المسيحيين إلى أنه بعد ذلك بدأت ألوهية المسيح تتجلى لأتباعه شيئا فشيئا، حتى أعلنها لتلاميذه، ولكنه طلب منهم إخفاء أمرها إلى حين ، ولم تتجلى هذه الألوهية كاملة حسب اعتقادهم، إلا بعد مضى أربعين يوما مما قالوا به من صلبه

---

(١) كتاب (ريحانة المجد) تأليف جماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادى القاهرانى صفحة ٢٤١ و٢٤٢ .

ودفنه وقيامته من الأموات، وبتجلى إعلان هذه الألوهية كما يقول المسيحيون، آمن بها أغلب أتباع المسيح، عدا البعض الذين نفوا عنه هذه الألوهية ولذلك يقول عنهم المسيحيون أنهم قد هرطقوا .

هناك إذن أرضية لقاء، بين إيمان المسيحيين وبين إيمان المسلمين بشأن طبيعة المسيح عليه السلام، تمتد من لحظة ميلاده العذراوى، وإلى أطول فترة وجد فيها بين الناس، وهى الفترة التى التقى فيها إجماع المسيحيين على أن المسيح مجرد انسان نبى ورسول بشر، ولم ير فيه أحد منهم خلالها الله بأى حال من الأحوال.

ومن أرضية اللقاء هذه ، يبدأ بحثنا عن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة حول طبيعة المسيح عليه السلام، وهل هى هذه التى عرفه عليها جميع أتباعه ممن آمنوا به طوال سنى وجوده معهم ، وهى نفسها التى يؤمن بها المسلمون، أم هى تلك التى يؤمن بها أغلب المسيحيين اليوم، من ألوهية المسيح، وإن اختلفوا حول هذه الألوهية بغير حد أو مدى.

ولعل المعيار الوحيد للكشف عن الحقيقة فى هذا الشأن، والذى يمكن أن يكون مقبولا من كل من المسيحيين والمسلمين على السواء، أو فى القليل لايقبل من أى منهم فى أصول البحث الاعتراض عليه، هو الأقوال والأفعال الثابتة للمسيح عليه السلام، فالمسيحيون يلتزمون بها باعتبارها كلام الله نفسه، والمسلمون يلتزمون بها باعتبارها وحى الله لمسيحه .

ومن الطبيعى أن نتتبع فى هذا الصدد، أقوال المسيح وأفعاله منذ البداية، وليس لدينا فى الوقت الحاضر وثائق يمكننا أن نتتبع فيها كل ذلك غير الأناجيل المتداولة نفسها، إلا أنه إزاء ماثبت لنا فى الباب السابق، من انتفاء الوحى فى كتابة

هذه الأناجيل وغيرها من أسفار العهد الجديد، فضلا عن الطريقة التى تم عليها تأليفها أو ترجمتها، فإن كل هذا يحتّم علينا مراعاة أمور معينة فى البحث .

وأول هذه الأمور، أن مانحن بصدد بحثه فى هذا الباب هو من أخطر القضايا الدينية، بل هو أخطرها جميعا، إذ الفارق بين الصواب والخطأ فيه، هو نفسه الفارق بين الايمان والكفر، وها نحن ذى نعود بأنفسنا فى التاريخ، لنقف مع تلاميذ المسيح وحوارييه وأتباعه، الذين عرفوا بميلاده العذراوى، وعرفوه نبيا، وعرفوا فيه المسيح الذى تنبأت عنه أسفار العهد القديم، ومع ذلك فانهم لايعرفون فيه ولا يؤمنون بأنه أكثر من إنسان بشر، وما زلنا بعد فى فترة لم يقل فيها أحد بألوهيته، والخطوة التالية، هى تحديد حقيقة طبيعته عليه السلام، والأصل هنا أنه لم يعرف أو يؤمن به الناس إلاّ كانسان بشر، فإذا كانت هذه هى حقيقته الوحيدة بالفعل، فإن القول رغم ذلك بألوهيته يكون بغير شك كفرا بالله، ويقتضينا ذلك الحذر والاحتراس إلى أبعد الحدود، فى بحث هذه الألوهية التى قيل بها بعد ذلك، فلا نقبل دليلا عليها، إلاّ الدليل القطعى الحاسم، الدليل اليقينى الذى لا يشوبه أدنى شك، للسبب البسيط، وهو أن القول بهذه الألوهية خطأ، هو كما تقدم بمثابة الكفر بالله، وهو مايفزع منه كل الفزع ، أى مؤمن بوجود الله .

وثانى هذه الأمور، أنه وقد ثبت لنا فى الباب السابق، إنتفاء الوحى فى كتابة أسفار العهد الجديد، فإنه لايعود ثمة محل فى هذا الباب لمعاودة البحث فى أمر هذا الوحى، وإنما يجرى البحث فى هذا الباب على أساس من انتفاء هذا الوحى الذى قيل به، وهو ما لايفقد هذه الأسفار على أى حال قيمتها كوثائق تاريخية ، على نحو ما انتهينا إليه أيضا فى الباب الأول .

وثالث هذه الأمور ، أنه وقد ثبت لنا فى الباب الأول كذلك ، أن مؤلفى

الأناجيل الأربعة، قد أثبتوا فى أناجيلهم، إعتقاد كل منهم الشخصى حول عودة المسيح، فى صورة أقوال نسبوها للمسيح وأوردوها على لسانه فى أناجيلهم، دون أن يكون شئ منها قد صدر منه، فإنه لذلك، وإزاء ما هو معروف من إيمان مؤلفى هذه الأناجيل بألوهية المسيح، ينبغى الحذر والتدقيق فى كل مايثبتونه على لسان المسيح فى أناجيلهم مقررا ألوهيته، خشية أن يكونوا قد كرروا فى هذا الخصوص، ما فعلوه بالنسبة لعودة المسيح، بأن يثبتوا فى أناجيلهم أقوالا على لسانه تقرر هذه الألوهية ، دون أن تكون قد صدرت منه، وعلى أى حال فليس أمامنا من سبيل لهذا الحذر والتدقيق، سوى استعراض هذه الأقوال والوقائع التى ترد فيها، ومقارنتها بما يقابلها فى الأناجيل الأخرى، بحيث لايقبل منها غير ماتتفق عليه هذه الأناجيل ، أو غالبيتها، أو فى القليل ما يتكرر فى أكثر من واحد منها.

ورابع هذه الأمور، هو وجوب التشديد فى هذا الشأن، وإلى أقصى حد، بالنسبة لانجيل يوحنا بالذات، فقد وجدنا من قبل أنه لم يكتب إلاّ للرد على من ظلوا بعد رفع المسيح، على إيمانهم به كمجرد إنسان نبى ورسول بشر، ونفوا عنه الألوهية التى قيل بها بعد رفعه، فإذا كان مؤلفوا الأناجيل ، قد استباحوا لأنفسهم، أن يثبتوا على لسان المسيح فى أناجيلهم، ما لم يقله، مما اعتقدوا بصحته عن مجيئه وانقضاء الدهر، فإنه وقد ثبت لنا أن قصد مؤلف إنجيل يوحنا من تأليف إنجيله، هو الرد على من ظلوا على إيمانهم الأول عن طبيعة المسيح ونفوا ألوهيته التى ادعى البعض بها بعد رفعه، فإن هذا القصد الثابت لمؤلف هذا الانجيل ، يوجب الحذر كل الحذر، بل والتشكك كل التشكك ، فى كل مايثبته هذا المؤلف فى إنجيله على لسان المسيح ويفيد ألوهيته، بحيث لايجوز قبول أمر ورد فيه فى هذا الشأن، إلاّ أن يكون له مايؤيده فى الأناجيل الثلاثة الأخرى.

وخامس هذه الأمور، هو أننا وقد انتهينا فى الباب السابق، الى عدم صحة ما يعتقده المسيحيون عن صلب المسيح، وأن الحقيقة أن الله قد خلّصه من الصلب ورفعه إليه، فإنه لايكون صحيحا بالتالى ماقيل عن ظهور المسيح بعد ذلك فى الاناجيل الأربعة المتداولة، وذلك فى روايات يناقض بعضها البعض، وهى على أى حال تتنافى مع ماثبت لنا فى الباب السابق، ويتعين لذلك إطراح أى أقوال نسبت للمسيح فى هذا الظهور المدعى به .

وسادس هذه الأمور، يتعلق بأقوال نسبت إلى المسيح فى سفر الرؤيا، فهذا السفر كما بيّنا من قبل، لايعدو أن يكون رؤيا قال بها صاحبها، دون أن يكون للوحى أى أثر فيها، شأنها فى ذلك شأن باقى أسفار العهد الجديد، ولذلك فأى أقوال فيها لاتعد صادرة من المسيح نفسه، ولا تصلح بالتالى دليلا فى هذا الباب .

ويبقى أخيرا مايتعلق بما سمى بالترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، والتى قامت بها لجنة شكلت لهذا الغرض بتكليف من بابا الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس فى مصر ، والتى أنجزت حتى إعداد هذه الطبعة، أناجيل متى ومرقس ولوقا، ونحن إذا كنا قد لاحظنا فى الباب السابق، ماسمحت به هذه اللجنة لنفسها، من التعديل فى نص الأناجيل، عما كان الحال عليه فى الترجمات السابقة، بإضافة ماتراه من أقوال، لا أصل لها فى الترجمات السابقة، أو بادخال ماتراه من تفسير للنصوص، إلى صلب النصوص نفسها، بدلا من النص الأصلى نفسه، فإن أمر مافعلته هذه اللجنة فى ترجمتها، بالنسبة لطبيعة المسيح عليه السلام، قد فاق كل حد.

وإنى لأسجل هنا على نفسى، خطأ وقعت فيه فى الطبعتين السابقتين لهذا المؤلف ، فلم أعرف قبل قراءتى للأناجيل المتداولة ، معنى لكلمة (رب) غير

(الله)، أو مايفيد الألوهية، ولهذا فعندما وجدت الأناجيل تذكر، أن البعض في مخاطبتهم للمسيح كانوا يقولون (يارب)، فهمتها بمعنى (ياالله)، وقيّمت النصوص التى وردت فيها هذه العبارة، فى الطبعتين السابقتين، على هذا الأساس[١].

على أنى تبينت بعد ذلك، أن هذه العبارة لم يقصد بها هذا المعنى الذى فهمته لها، إذ قرأت فى إنجيل يوحنا :

(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان. فقالا ربّى الذى تفسيره يامعلم أين نمكث.) « ص ١ : ٣٨ »

وبالتالى فان المقصود بتعبير (يارب)، الذى ورد على لسان بعض من كانوا يخاطبون المسيح فى الأناجيل ، لم يكن (ياالله) كما فهمت خطأ، وإنما كان المقصود به مايعنيه تفسير هذا التعبير وهو (يامعلّم)، وعلى أى حال، فقد سجلّت فى الطبعتين السابقتين هذا الفهم الخاطئ لى ، ولا يسعنى هنا إلا أن أسجله على نفسى .

ولكن لم يكن كل المخاطبين للمسيح يخاطبونه بتعبير (يارب)، وإنما كثيرا ماكانوا يقولون له (ياسيّد)، وأحيانا لم يكونوا يذكرون أى لقب، وورود التعبير (ياسيد) إلى جانب التعبير (يارب) أكثر من مرة، فى الانجيل الواحد، على لسان المخاطبين للمسيح، يقطع بأن الأصل الذى ترجم عنه كل من هذين التعبيرين، كان مغايرا للأصل الذى ترجم عنه التعبير الآخر، فى النسخ التى تمت الترجمة

---

(١) الطبعة الأولى صفحة ٣٠٨ والطبعة الثانية صفحة ٤٥٧ .

عنها، حتى نصل إلى النسخ الأصلية، وإلاّ لكانت الترجمة دائما بأحد هذين التعبيرين فقط، دون الآخر، وعلى هذا فانه من اللازم وجود تعبيرين مختلفين فى أى ترجمة للأناجيل.

إلاّ أن لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، إلتزمت خطا واضحا ومحددا فى ترجمتها لهذين التعبيرين، ولعلها قصدت به تثبيت فهمى الخاطئ للتعبير (يارب)، والذى سجّلته فى الطبعتين السابقتين لهذا المؤلف، فقد أبقت على التعبير (يارب) على حاله حيث وجد، أما التعبير (ياسيد) فقد ألغته واستبعدته تماما فى ترجمتها، وأحلّت محله التعبير (يارب) حيث وجد، والآيات التى أجرت فيها اللجنة هذا التغيير هى الآيات التالية :

فى إنجيل متى :

(ص ٨ :٥و٨)، (ص٩ :٢٨)، (ص ١٣ :٥١)، (ص ١٤ :٢٨)، (ص ١٥ :٢٢ و ٢٥ و ٢٧)، (ص ١٧ :١٥)، (ص ٢٠ :٣٣).

كما عدّلت اللجنة فى نفس الانجيل تعبير (ياسيدنا) إلى (ياربنا) فى (ص٢٠ : ٣٠ و ٣١)، (ص٢٥ :١١).

والمرة الوحيدة التى لم تعدّل فيها اللجنة تعبير (ياسيد) فى هذا الانجيل إلى (يارب)، هى المرة التى خاطب فيها يهوذا الاسخريوطى المسيح، سائلا إياه عما إذا كان هو الذى سيسلّمه، قائلا له حينئذ (ياسيدى) (ص٢٦ :٢٥)، فقد عدّلتها اللجنة هذه المرة إلى (يامعلّم)، بينما نعلم مما تقدّم أن التعبير (يارب) هو الذى يعنى (يامعلّم)، وكان حريا باللجنة لذلك، أن تعدّل التعبير (يارب) إلى (يامعلم)، وليس أن تعدّل التعبير (ياسيد) إلى (يارب).

وفى إنجيل مرقس :

(ص٧ :٢٨) ، (ص٩ :٢٣) ، (ص ١٠ :٥١) ، أما فى (ص١ :٤٠)، فإن المخاطب فيه للمسيح، لم يذكر أى تعبير فى مخاطبته له ، ومع هذا أضافت اللجنة على لسانه قوله للمسيح (يارب).

وفى إنجيل لوقا :

(ص٥ :١٢) ، (ص٧ :٦)، (ص٩ :٥٧)، (ص١٣ :٢٣)، (ص١٨ :٤٢).

وهكذا ، فبدلا من أن تعمل اللجنة على إزالة ما قد يقع فيه القارئ لتعبير (يارب) على لسان المخاطبين للمسيح من لبس، قد يفهم معه قصدهم تأليهه بهذا التعبير، فتكتب بدلا منه المعنى الحقيقى المقصود به ، وهو (يامعلم)، أبقت التعبير (يارب) على حاله، ومحت من الأناجيل التى ترجمتها، التعبير (ياسيد)، وكتبت بدلا منه التعبير (يارب)، حيث وجد التعبير (ياسيد)، علّها بذلك تثبت للمسيح الألوهية التى يؤمن بها أعضاؤها له .

على أن أكبر أعمال هذه اللجنة جرأة على الحق، هو ما أجرته من تغيير فى أقوال بطرس، عندما كان يخاطب المسيح، وذلك فى الآية العشرين من الاصحاح التاسع من إنجيل لوقا ، إذ يخبر لوقا البشير فى هذا الإصحاح أنه فيما كان المسيح يصلّى على انفراد ، والتلاميذ معه، سألهم المسيح من تقول الجموع أنه هو، فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون أن نبيا من القدماء قام، وأضاف لوقا البشير قوله:

«فقال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا. فأجاب بطرس وقال مسيح الله.» (ص٩ :٢٠)

وقد اجترأت اللجنة، على أقوال بطرس هذه، لتجعلها فى ترجمتها الجديدة لنص إنجيل لوقا :

(فأجاب بطرس قائلا. «أنت هو المسيح الله».)

هكذا بكل اجتراء علي الحق، يحرّف رد بطرس على المسيح، فبدلا من أن يكون أنه يرى فيه :

(مسيح الله .)

جعلت منه اللجنة فى هذا الرد يرى فيه :

(المسيح الله .)

وصحيح أن كل الفرق بين التعبيرين، يتمثل فى إضافة أل التعريف قبل لفظ (مسيح)، إلاّ أن هذه الاضافة الضئيلة فى حروفها، هى نفسها كل الفرق، بين إيمان المسيحيين بشأن طبيعة المسيح، وبين إيمان المسلمين بشأن طبيعته عليه السلام، وهى تماما فى حكم الاسلام كل الفرق بين الكفر والايمان فى هذا الشأن، ذلك أن التعبير (مسيح الله) يعنى المغايرة بين المسيح وبين الله، وهو مايتّفق وإيمان المسلمين، أما التعبير (المسيح الله) فيعنى أن المسيح هو الله نفسه، وهذا هو اعتقاد أغلب المسيحيين اليوم، واعتقاد أعضاء لجنة الترجمة أنفسهم، ولكن، أن يكون هذا هو اعتقادهم، لا يعطيهم حقا أن يحرفوا أقوال بطرس على هذا النحو، الذى لايقصد به إلاّ أن يدخلوا فى ذهن القارئ ، أن بطرس خاطب المسيح على أنه الله نفسه، وأن المسيح لم يعترض على ذلك ، وهو مالم يكن بحال.

ومن اجتراءات هذه اللجنة كذلك، على نص الانجيل، أن البشير لوقا قد أورد فى إنجيله عن المسيح، أنه عندما كان يصلّى لله، داعيا إياه أن يجيز عنه كأس الصلب :

(وظهر له ملاك من السماء يقّويه.) «ص ٢٢: ٤٣»

وإذ تستشعر اللجنة، أنه لو كان المسيح هو الله حقا، لما كانت به حاجة إلى ملاك من السماء يقويه حينئذ، فإنها لذلك، وتجنّبا لما ينطوى عليه هذا النص من نفى لألوهية المسيح، حرفت هذا النص فى ترجمتها الجديدة إلى :

(وظهر له ملاك من السماء يقول له «لك القوة» .)

نعم، إن القوة جميعا لله، وأما البشر فهو يحتاج إلى من يقوّيه، ولاشك أن هذا هو ماوعته اللجنة تماما، ولهذا كان منها هذا التحريف، لتنفى عن المسيح حاجته إلى من يقوّيه فى هذا الموقف، بادعاء أن الملاك قال له عندئذ («القوة لك») ، علّها بذلك أيضا تثبت للمسيح، الألوهية التى يؤمن بها له أعضاؤها.

وأحسب أنه يكفى ماتقدم، لأصل إلى أنه يتعيّن فى هذا البحث، إسقاط هذه الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل من أى اعتبار، والاكتفاء فى هذا الخصوص بما عرف وانتشر من ترجمات سابقة، ولعلّ أحدا لا يستبيح لنفسه بعد ذلك، إذا ماعن له الرد على هذه الطبعة، أن يستند فى ردّه على ، إلى ماتحويه هذه الترجمة الجديدة من تحريف .

الفصـــــل الثالـــــث

الاحتكام إلى الأقوال والأفعال الثابتة للمسيح للكشف عن الحقيقة بين ألوهيته وعدم ألوهيته

نبدأ بحثنا فى هذا الفصل على نحو ما سلف بيانه، من الوقت الذى كان فيه إيمان المسيحيين جميعا، بشأن طبيعة المسيح، واحدا، وهو أنه مجرد إنسان نبى ورسول بشر، ولم يدر بخلد أى منهم أنه الله، وهو الايمان الذى يتفق مع إيمان المسلمين بشأن طبيعة المسيح.

وكما قلنا من قبل فإنه إذا كان القول بألوهية المسيح، مخالفا للحقيقة، فإنه يكون بذلك كفرا بالله، الأمر الذى يوجب التحوط إلى أقصى حد، فلا يقبل كدليل على هذه الألوهية، إلاّ الدليل القطعى اليقينى الحاسم، الذى لا يشوبه أدنى شك، وإذا كنا قد قبلنا كدليل على الحقيقة فى هذا الشأن ، الأقوال والأفعال الثابتة للمسيح عليه السلام، فإنه إزاء ثبوت انتفاء الوحى عن الأناجيل الأربعة المتداولة، فإنه ليست أي أقوال أو أفعال نسبت إلى المسيح فى هذه الأناجيل، هى أقوال أو أفعال ثابتة له، وإنما يجب فى القليل، للقول بثبوتها، أن يتكرر ذكرها فى أكثر من إنجيل، فلا يقتصر ذكرها على إنجيل واحد، كما يتعيّن ألاّ يكون هناك ما يناقضها فى الأناجيل الأخرى .

ونتناول فيما يلى، من آيات الأناجيل، ما نراه يعين فى الكشف عن الحقيقة، بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته.

تجربة إبليس للمسيح :

يذكر لنا البشيران متى (ص ٤ :١-١١) ولوقا (ص٤ :١-١٣)، تفاصيل تجربة إبليس للمسيح، ويشير البشير مرقس (ص١ :١٢و١٣) إلى هذه التجربة بإيجاز ، بينما يعرض عنها البشير يوحنا تماما.

وطبقا لتفاصيل إنجيلى متى ولوقا، فقد أصعد يسوع إلى البريّة ليجرّب من إبليس ، وبعد أن صام أربعين يوما، جاع، فتقدّم منه إبليس طالبا إليه إن كان ابن الله أن يقول لحجر أن يصير خبزا، ويجيبه المسيح بأنه مكتوب، ليس بالخبز وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة من الله، فأوقفه إبليس على جناح الهيكل وطلب منه أن يطرح نفسه إلى أسفل، لأنه مكتوب أن الله يوصى ملائكته به، فعلى أياديهم يحملونه لكى لاتصدم بحجر رجله، فيرد المسيح بأنه مكتوب أيضا لا تجرّب الرب إلهك، وأخيرا يأخذه إبليس إلى جبل عال، ويريه جميع ممالك العالم ومجدها، ويقول أنه يعطيها له جميعا إن خر وسجد له، فطلب منه المسيح أن ينصرف، رافضا السجود له، لأنه مكتوب أن للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد.

إبليس إذن يغوى المسيح ويغريه، والمسيح يعرض عما أغواه به، ويرد على إغواء إبليس له ، بآيات من العهد القديم.

ترى ، من هو الله و الرب الاله ، الذى كان المسيح يقصده بآيات العهد القديم التى ذكرها، هل كان يقصد بذلك نفسه، أو ما يطلقون عليه اللاهوت الذى حلّ فى الناسوت – أى فى الجسد الانسانى للمسيح – بغير اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير، بالطبع لا ، فهذا ترفضه الكلمات المنسوبة للمسيح نفسها .

ثم كيف يمكن تصوّر أن يختبر إبليس المسيح، إذا كان المسيح هو الله نفسه، وأى معنى يكون للتجربة، إذا كان المسيح هو الله ، هل يغوى إبليس الله بكل ممالك الأرض، وهى كلها وكذلك كل ما عداها لله، هذا بالطبع محال.

وإذا كان الناس يمكن أن تخفى عنهم ألوهية المسيح المقال بها إن كانت، فهل يتصوّر، إذا كانت هذه الألوهية صحيحة، أنها تخفى أيضا عن إبليس نفسه، بالطبع لا ، فهل يجرؤ إبليس أن يجرّب الله، أو حتى مجرد أن يفكر فى ذلك ، بالطبع لا .

إن تجربة إبليس للمسيح فى حد ذاتها ، تنفى الألوهية تماما عن المسيح، لتعارض الألوهية مع فكرة التجربة من إبليس فى حد ذاتها، ومع إمكان وقوعها، ولعلّ لهذا وحده، أعرض يوحنا البشير فى إنجيله، عن ذكر هذه التجربة، رغم اهتمام البشيرين الثلاثة الآخرين بها، لما علمناه من قبل، من أنه لم يؤلّف إنجيله إلاّ لاثبات ألوهية المسيح، فطبيعى لذلك ألا يورد فيه ما يمكن أن ينفيها.

التجديف على ابن الانسان مغفور أما على الروح القدس فلن يغفر:

فى أناجيل متى ومرقس ولوقا ، نقرأ الآيات التالية :

(لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له. وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى.) «متى ص١٢ :٣١و٣٢»

(الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى

يجدّفونها. ولكن من جدّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية.) «مرقس ص ٣: ٢٨و٢٩»

(وكل من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له. وأما من جدّف على الروح القدس فلا يغفر له.) «لوقا ص١٢ :١٠»

ومفهوم المغايرة فى الحكم على من يقول كلمة على ابن الانسان، والمقصود به المسيح، وعلى من يجدّف على الروح القدس، والمقصود به الله، فيغفر للأول، أما الثانى فلا يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى، إذ هو مستوجب دينونة أبدية، مفهوم هذه المغايرة، هو المغايرة أيضا بين المسيح وبين الله، وإلاّ لما تغير الحكم فى الحالتين، وحتى فى ظل القول بأقانيم ثلاثة لله، هى الآب والابن والروح القدس، فإنهم متفقون على التسوية بينها، والمغايرة المذكورة فيما سبق، تنفى هذه التسوية، وهى بذلك تقطع بالمغايرة بين المسيح وبين الله .

المسيح نبى :

وإذ يشير المسيح إلى نفسه، نجده فى أناجيل متى ومرقس ولوقا يقول:

(وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلاّ فى وطنه وفى بيته.)
«متى ص ١٣ :٥٧»

(فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة إلاّ فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته.) «مرقس ص ٦ :٤»

(وقال الحق أقول لكم ليس نبى مقبولا فى وطنه.) «لوقا ص ٤ :٣٤»

فهنا لانرى المسيح يصف نفسه بأكثر من نبى، ولم يزد على ذلك شيئا.

هو يسوع المسيح :

ونقرأ فى أناجيل متى ومرقس ولوقا :

(ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصريّة فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس أنى أنا ابن الانسان. فقالوا. قوم يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم وأنتم من تقولون إنّى أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك ياسمعان بن يونا. ...حينئذ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد إنّه يسوع المسيح.) «متى ص١٦ :١٣-٢٠»

(ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبّس. وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم من يقول الناس أنى أنا. فأجابوا . يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا. فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح. فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه.) «مرقس ص٨ :٢٧-٣٠»

(وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه. فسألهم قائلا من تقول الجموع أنى أنا. فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون إن نبيا من القدماء قام. فقال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا. فأجاب بطرس وقال مسيح الله. فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد.) «لوقا ص ٩ :١٨-٢١»

هاهو المسيح يهتم بأن يعرف من تلاميذه، من يقول الناس أنه هو، فيعرف منهم أن من الناس من يرى فيه يوحنا المعمدان، وآخرون يقولون أنه إيليا، وآخرون

يقولون أنه إرميا، وآخرون يقولون أنه نبى من القدماء قام، أى أن أحدا من الناس لم ير فيه أكثر من إنسان نبى، ولم يدر بخلد أحد من الناس أنه الله بأي حال من الأحوال .

ويعود المسيح فيسأل تلاميذه أنفسهم، من يقولون هم أنه هو، وهنا يقول سمعان بطرس أنه يرى فيه مسيح الله [(١)]، ويؤيده المسيح فى ذلك، ومع هذا فإنه يطلب من التلاميذ ألا يخبروا أحدا بأنه يسوع المسيح.

فإذا كان المسيح هو الله، ألم يكن حريا به حينئذ، أن يكشف لتلاميذه حقيقة شخصيته، مع طلب حفظ هذا السر إذا شاء، كما فعل بالنسبة لمعرفتهم أنه مسيح الله، وعلى أى حال، فالذى نستخلصه من هذه الواقعة، أن المسيح كان حريصا أن يطمئن إلى معرفة، إعتقاد الناس وكذلك تلاميذه، بشأن شخصة، وأنه اطمأن إلى أنهم لم يعرفوا فيه أكثر من نبى أو مسيح الله.

ما لله وما للناس :

نقرأ فى إنجيلى متى ومرقس :

(فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب. لايكون هذا. فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى ياشيطان. أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.) «متى ص ١٦ :٢٢ و ٢٣»

(١) وكما تقدّم، فقد حرفت لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل رد سمعان بطرس هنا على المسيح إلى (أنت هو المسيح الله.) لتثبت خلافا للواقع، أن المسيح خوطب باعتباره الله وأقر ذلك، علها تثبت بذلك ألوهيته بغير حق ، ولكن التحريف لايقوم سندا لأى أمر.

(فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا اذهب عنى ياشيطان. لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس.)

«مرقس ص٨:٣٢و٣٣»

وهنا نرى المسيح ينتهره بطرس، إذن بطرس لايرى فى المسيح أنه الله، وإلاّ لما جرؤ أن ينتهره، وقد وردت هذه الآيات مباشرة بعد الآيات السابقة، التى سأل المسيح فيها تلاميذه عمّن يعتقدون أنه هو، حيث أجاب بطرس بأنه مسيح الله، وأيده المسيح فى ذلك، وهو مايؤيد أن قول بطرس للمسيح أنه مسيح الله، ينفى أى شبهة لتصور الألوهية للمسيح فى هذا الرد .

أما المسيح فإنه ينتهر بطرس، ويعتبره إذ يعترض على صلبه شيطانا، ويقول له أنه بذلك لايهتم بما لله لكن بما للناس، فما الذى يقصده المسيح هنا بأنه أمر لله، إنه صلب المسيح بغير شك الذى اعترض بطرس على أن يكون، هذا هو ما لله فى أقوال المسيح هذه، أما ما للناس ، فهو هنا إعتراض بطرس على صلب المسيح.

والصورة بذلك واضحة لا تحتمل أدنى لبس، وهى على هذا النحو تقطع بالمغايرة بين المسيح وبين الله، أى تقطع بأنهما ليسا واحدا كما يقال، فلو كان المسيح هو الله، لكان الاعتراض على صلبه أمرا لله، ولكان صلبه لفداء البشر كما يقولون، أمرا للناس، ولكن المسيح يضع الأمر فى نطاقه الصحيح، فإذ يريد الله له أن يصلب، فإن صلبه يكون أمرا مما هو لله، ويكون الاعتراض على صلبه، هو اهتمام بما للناس، باعتبار أن المسيح واحد من الناس، وليس بما لله، باعتبار أن الله هو الذى يريد له أن يصلب، ويقطع ذلك يقينا، بأن المسيح ليس الله، وإنما هو واحد من الناس

ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله :

سأل أحد الأشخاص المسيح، ماذا يفعل لتكون له الحياة الأبدية، وبدأ سؤاله موقّرا المسيح بقوله له (أيها المعلم الصالح)، وقبل أن يجيب المسيح على سؤاله، بدأ أولا بالاعتراض على وصف صاحب السؤال له بالصالح، وذلك على نحو ما ورد في أناجيل متى ومرقس ولوقا، وبالتفصيل التالي بيانه:

(وإذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلّم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة احفظ الوصايا ...) «متى ص ١٩: ١٦و١٧»

(وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله. أنت تعرف الوصايا ...) (مرقس ص١٠: ١٧-١٩»

(وسأله رئيس قائلا أيها المعلّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله. أنت تعرف الوصايا ...) «لوقا ص ١٨: ١٨-٢٠» [1]

---

(١) على أن الشق الأول من رد المسيح على صاحب السؤال، هو واحدة من المرات النادرة، التى تتطابق فيها عبارات منسوبة للمسيح فى الأناجيل الثلاثة بكلماتها وحروفها، فجاء هذا الشق من إجابته فى الأناجيل الثلاثة بنص واحد هو : (لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله.) ، فإن لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل بالرغم من ذلك، اختارت أن يكون نص هذه الاجابة فى انجيل متى مختلفا عنه فى الانجيلين الآخرين، فجعلته فى إنجيل متى: (لماذا تسألنى عن الصلاح. =

هانحن نرى المسيح عليه السلام، إذ يسأله أحدهم ، ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية، بادئا سؤاله موقرا له بقوله :

(أيها المعلّم الصالح)

لايجيب المسيح على سؤال هذا السائل، إلاّ بعد أن يسجل في البداية، إعتراضه على وصف صاحب السؤال له بالصالح ، فيقول له :

(لماذا تدعونى صالحا .)

ثم يوضح سبب اعتراضه على وصف السائل له بالصالح فيقول :

(ليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله .)

وبعد ذلك ، أجاب المسيح السائل على سؤاله، فإذا كان المسيح يعترض على مجرد أن يوصف بالصالح، لا لشئ إلاّ لأنه يرى أن هذا الوصف لا يكون إلاّ لله، فهل يمكن بعد هذا القول بأنه هو الله، وهو الذى يرفض أن يوصف ولو بوصف واحد، يرى أنه لايكون إلاّ الله، وليس أن يوصف بأوصاف الله جميعا، بالطبع لا، وهذا الاعتراض من المسيح قاطع فى حد ذاته، فى أن المسيح نفسه، لاينفى عن نفسه الألوهية فحسب، بل ينفى عن نفسه أى وصف لايكون لغير الله (١).

== فان واحدا هو الصالح.) ، وعرفت هذا الواحد فى الهامش بأنه الله، أما إنجيلى مرقس ولوقا فقد جعلت فيهما هذا الشق بنص واحد هو (لماذا تدعونى الصالح، فانه ليس صالحا إلاّ واحد هو الله.) ، ولا ندرى على أى أساس سمحت هذه اللجنة لنفسها، بأن تحرّف فى هذه الاجابة فى إنجيل متى، وتبقيها على حالها تقريبا فى إنجيلى مرقس ولوقا ، وأى مصلحة اقتضت خلق هذا التضارب فى هذه الأناجيل .

(١) لعل هدف لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، من التحريف المشار إليه فى الهامش السابق=

ليس له أن يعطي الجلوس عن يمينه وعن يساره إلا للذين أعد لهم ذلك من الله :

يذكر متى البشير فى إنجيله الواقعة التالية :

(حينئذ تقدّمت إليه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا. فقال لها ماذا تريدين. قالت له قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك. فأجاب يسوع وقال لستما تعلمان ماتطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا. قالا له نستطيع. فقال لهما أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلاّ للذين أعدّ لهم من أبى. فلما سمع العشرة اغتاظوا من أجل الأخوين .) «متى ص ٢٠:٢٠-٢٤»

ويذكر مرقس البشير نفس الواقعة فى إنجيله فيقول :

(وتقدّم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يامعلّم نريد أن تفعل لنا كل ماطلبنا. فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما. فقالا له أعطينا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك . فقال لهما يسوع

= قد اتضح الآن، فقد استندت الى هذه الأقوال للمسيح فى الطبعتين السابقتين لهذا الكتاب، صفحة ٣٠٨و ٣٠٩ بالنسبة للطبعة الأولى، وصفحة ٤٥٨ و ٤٥٩ بالنسبة للطبعة الثانية، فى نفى الألوهية عن المسيح، وهذا التحريف يتيح لمن يريد الرد علىّ ، التمسك بالترجمة الجديدة لنص إنجيل متى، ليدعى أنه الترجمة الصحيحة لأقوال المسيح، وأن ماذكرته على لسانه غير صحيح، وأنا هنا أسجل ذلك مقدما عسى أن يتردد من يفكر فى ذلك قبل أن يقدم عليه ..

لستما تعلمان ماتطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا. فقالا له نستطيع. فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلاّ للذين أعدّ لهم .

ولما سمع العشرة ابتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا.) «مرقس ص١٠ :٣٥-٤١» (١)

فى هذه الواقعة ، نجد أم ابنى زبدى حسب رواية إنجيل متى، أو ابنى زبدى نفسيهما حسب رواية إنجيل مرقس، يطلبان من المسيح أن يجلس واحد منهما عن يمينه والآخر عن يساره فى ملكوته، ولم يشأ المسيح أن يرفض طلبهما مباشرة، فحاول أولا أن يحملهما على العدول عنه، فقال لهما أنهما لايعلمان

---

(١) واضح من النصين بجلاء، أن التلاميذ العشرة اغتاظوا من أجل الأخوين، فانجيل متى يقول فى ذلك (فلما سمع العشرة اغتاظوا من أجل الأخوين.)، كما يقول انجيل مرقس (ولما سمع العشرة ابتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا.)، ويقطع بأن اغتياظ التلاميذ العشرة كان من أجل يعقوب ويوحنا، وبسبب رفض المسيح أن يجيبهما إلى ماطلباه، مانقرأه فى الانجيلين بعد ذلك، وبعد أن تبين المسيح اغتياظ التلاميذ العشرة من أجل الأخوين، من أن المسيح أخذ يبرر سبب عدم إجابته طلبهما، فنقرأ فى إنجيل متى : (فدعاهم يسوع وقال أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم ...) «ص٢٠ :٢٥و٢٦»، وهو تقريبا نفس مانقرأه فى انجيل مرقس (ص١٠ :٤٢و٤٣»، أما لجنة الترجمة العربية الجديدة لنص الانجيل، فقد عكست فى ترجمتها الجديدة لهذين الانجيلين سبب غيظ التلاميذ، فبدلا من أن يكون من أجل يعقوب ويوحنا ، جعلته منهما، وأصبح هذا النص فى إنجيل متى (فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حنقوا على الأخوين.) ، وفى إنجيل مرقس (فلما سمع العشرة ذلك بدأوا يغتاظون من يعقوب ويوحنا.) ، ولعل اللجنة رأت أنه من غير المناسب أن تثبت إغتياظ التلاميذ من تصرف للمسيح، ولكن ذلك لايعطيها أبدا، حقا فى أن تعكس معنى نصين متطابقين فى إنجيلين .

مايطلبان، وسألهما إذا كانا يستطيعان أن يشربا الكأس التى سوف يشربها، وأن يصطبغا بالصبغة التى سوف يصطبغ بها هو ، فلما أجاباه بأنهما يستطيعان ذلك، لم يملك إلا أن يقرر لهما أنهما حتى لو فعلا ذلك ، فلن يستطيع أن يجيبهما إلى ماطلباه، لأنه لايملك أن يعطى الجلوس عن يمينه أو يساره، إلاّ لمن أعدّ لهم ذلك من الله.

وأن لايستطيع المسيح أمرا، لأنه لايكون فى هذا الأمر إلاّ مايريد الله وليس المسيح، لهو أمر قاطع وحاسم، بغير أدنى شبهة شك، فى أن المسيح ليس هو الله، لأنه لو كان هو الله ، لكان فى استطاعته أن يجيب من سألاه إلى طلبهما إن أراد.

المسيح لا يعلم متي يكون انقضاء الدهر لأنه لا يعلم ذلك إلا الله :

يذكر إنجيلا متى ومرقس، أنه عندما تقدّم التلاميذ إلى المسيح ، يسألونه عن علامات مجيئه وانقضاء الدهر، أخذ يعدد لهم هذه العلامات ثم قال:

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلاّ أبى وحده.) «متى ص ٢٤ :٣٦»

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب .) «مرقس ص ١٣ :٣٢»

هكذا ، بكل وضوح وجلاء، يبين لنا المسيح أن الساعة لا يعلم بها أحد إلاّ الله، وأنه لا الملائكة، ولا هو نفسه - أى المسيح - ، يعرف هذه الساعة، ومهما قيل عن الطبيعة الواحدة التى لها صفات وخصائص الطبيعتين الالهية والانسانية، أو عن الطبيعتين الالهية والانسانية، فى شخص المسيح، أو عن أى صورة من صور الألوهية يرون عليها المسيح، فإنه ينفى عن المسيح الألوهية المقال

بها، على أى صورة يقولون بها، عدم علم المسيح بتلك الساعة، لأن أحدا لا يعلمها إلاّ الله، فهو لذلك لايمكن أن يكون الله .

صلوات المسيح لله :

نقرأ فى إنجيلى مرقس ولوقا عن صلوات من المسيح لله :

(**وبعد ما ودّعهم مضى إلى الجبل ليصلّى.**) «مرقس ص ٦ :٤٦»

(**وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلّى.**) «لوقا ص ٦ :١٢»

كما تفصّل لنا أناجيل متى ومرقس ولوقا ، أعمق ما قام به المسيح من صلاة لله فى يوم الضيق ، وهو يدعوه أن يجيز عنه كأس الصلب، وفى هذا الشأن نقرأ فى الأناجيل المذكورة:

(**ثم تقدّم قليلا وخرّ على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت. ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما. فقال لبطرس أهكذا ماقدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلاّ أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم أيضا نياما. إذ كانت أعينهم ثقيلة. فتركهم ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه.**) «متى ص ٢٦ :٣٩-٤٤»

(**ثم تقدّم قليلا وخرّ على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال يا أبا الآب كل شئ مستطاع لك. فأجز عنى هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت. ثم جاء ووجدهم نياما فقال**

لبطرس ياسمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه.) «مرقس ص ١٤ :٣٥-٤٠»

(وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى. قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويّه. وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .) «لوقا ص ٢٢ :٤١-٤٤»

هاهو المسيح عليه السلام، مثله مثل غيره من البشر، ومن الأنبياء المرسلين، يصلّى لله، يخرج إلى الجبل ليصلّى لله، يقضى الليل كله مصليا لله، فمن هو الله الذى كان يصلى له المسيح ، هل كان يصلى لنفسه، فما معنى صلاته إذن.

نعم إنهم يقولون أنهم يؤمنون بناسوته كاملا، كما يؤمنون بلاهوته كاملا، أى يؤمنون بانسانيته إنسانية كاملة، وبألوهيته ألوهية كاملة، ولكن مهما كان الايمان بتكامل هذا أو ذاك فيه، فإن الأمر لايجوز أن يصل إلى حد التناقض، بأن يصلى ناسوته للاهوته، وكيف يكون ذلك ياترى متصورا عند أصحاب الطبيعة الواحدة، التى لها صفات وخصائص الطبيعتين ، إن ذلك لمحال .

ثم هذه الصلاة العميقة فى آخر أيامه على الأرض، يخر على وجهه، يخر على الأرض، كأنما كان فى جهاد كان يصلى وقطرات العرق تتساقط منه كقطرات دم نازلة على الأرض، كل هذا ليدعو الله أن يجيز عنه كأس الصلب، فما معنى كل ذلك إلاّ مغايرته لله الذى يصلى له، وإلاّ فما حاجته إلى هذه الصلاة ليستجاب دعاؤه .

وأخيرا ، يسلم رغم كل صلاته ودعائه، بأن تكون إرادة الله ، ولا تكون إرادته هو ، حيث يقول :

(**ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت**) «متى ص ٢٦ :٣٩»

(**ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت.**) «مرقس ص ١٤ :٣٦»

(**ولتكن لا إرادتى بل إرادتك.**) «لوقا ص ٢٢ :٤٢»

وبهذه العبارات ، يكون المسيح قد قطع بالمغايرة بينه وبين الله، فهذا ماتدل عليه المغايرة بين إرادته وبين إرادة الله .

هذا هو المسيح عليه السلام، وهذه هى طبيعته التى نستطيع التعرّف عليها، مما نسب إليه من أقوال وأفعال، يمكن أن نطمئن إلى صدورها عنه، إنه يجرّب من إبليس ، ولا يكون للتجربة معنى إذا كان هو الله، وكل كلمة عنه مغفورة، أما التجديف على الله فلن يغفر، فهو إذن ليس الله، هو نبى، هو يسوع المسيح، هو مسيح الله، وهو لا يقبل الاهتمام بما له دون ما لله، فهو لذلك ليس الله ، وهو لايقبل أن ينسب له وصف الصالح، لأنه ليس أحد صالحا إلاّ الله، فهو إذن ليس الله، ليس له أن يعطى الجلوس عن يمينه أو عن يساره إلاّ للذين أعد لهم ذلك من الله، فهو إذن ليس الله ، لايعلم متى تكون الساعة لأنه لايعلم ذلك إلاّ الله، فهو إذن ليس الله، وهو يصلّى لله بأشد لجاجة ، حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض لكى يستجيب لدعائه ، فهو إذن غير الله الذى يصلى له ويدعوه ، وهو فى آخر صلاته إلى الله، يسلم بأن تكون لا إرادته هو، بل إرادة الله، فهو إذن ليس الله .

وطبيعى أن يتساءل القارئ هنا، وأين إنجيل يوحنا من كل ذلك وبأى حق نعرض عنه كليّة هنا، رغم ما يعطيه له المسيحيون من أهمية فى شأن ألوهية

المسيح، موضوع البحث فى هذا الباب بالذات .

والصحيح أننا فى بحثنا هذا، لم نعرض عن إنجيل يوحنا على الاطلاق، وإنما هو الذى أعرض عن كل ما عرضنا له من آيات فى هذا الباب، فأعرض كلية عن أى ذكر لأي منها، رغم ورودها فى الأناجيل الثلاثة الأخرى مجتمعة، أو فى القليل فى اثنين منها، ولما كنا قد انتهينا من قبل، إزاء ثبوت انتفاء الوحى عن هذه الأناجيل، ووجوب إقامة البحث على مايثبت صدوره عن المسيح من قول أو فعل، وهو ما لايكون كذلك إلاّ أن يتكرر ذكره فى الأناجيل، أو فى أكثر من واحد منها عى الأقل، فإننا لم نجد ماينطبق عليه ذلك، إلاّ فى أناجيل متى ومرقس ولوقا فقط، أما إنجيل يوحنا فقد كان فريدا بين الأناجيل الأخرى فى شأن موضوع البحث فى هذا الباب .

فقد بدأ يوحنا إنجيله بتسجيل رأيه بشأن طبيعة المسيح بقوله :

(فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ...

والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا.) «ص ١:١و١٤»

ثم يقول فى الآية الأخيرة من الاصحاح قبل الأخير من إنجيله :

(وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.) «ص ٢٠:٣١»

إنه يبدأ إنجيله بتقرير ألوهية المسيح ، وينتهى فيه إلى أنه كتبه ليؤمن الناس بهذه الألوهية ، وهو مايقوله المسيحيون أنفسهم بشأنه كما وجدنا من قبل، وقد انتهينا إلى أن ثبوت هذا القصد لمؤلف إنجيل يوحنا يوجب الحذر، بل والتشكك

فى كل مايكتبه هذا المؤلفّ فى إنجيله على لسان المسيح مقررا ألوهيته ، خاصة إذا لم يتطابق مع نصوص مماثلة فى الأناجيل الأخرى .

والحق أننا لم نجد للآيات التى دونها يوحنا فى إنجيله، مثبتة ألوهية المسيح، مثيلا فى الأناجيل الأخرى، بل إنه خلافا لما استقر عليه المسيحيون، من أن المسيح أخفى أمر ألوهيته التى قالوا بها، حتى أنها لم تعرف تماما إلاّ بعد أربعين يوما، مما قيل به من صلبه ودفنه وقيامته من الأموات، فإن الآيات التى أوردها يوحنا فى إنجيله، تفيد خلافا لذلك، أن المسيح منذ اليوم الأول لرسالته، عرف كإله، وبشّر بين الناس بدعوته كإله، وإذ الثابت أن ذلك لم يكن ، طبقا لما يقرره المسيحيون أنفسهم، فإن ذلك يوجب إسقاط مثل هذه الآيات من أى اعتبار .

ويحق لنا أن نتساءل، هل كان محض صدفة، أن كل مارأينا أنه ينفى ألوهية المسيح، مما ورد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، قد أسقطه يوحنا من إنجيله هذا، حتى الصلاة الحارة العميقة، التى أثبتها البشيرون الثلاثة فى أناجيلهم، التى دعا المسيح فيها الله أن يجيز عنه كأس الصلب، قد أسقطها يوحنا من إنجيله.

فهل إنجيل هذا حاله، يثبت مؤلفه أنه كتبه ليثبت ألوهية المسيح، وليؤمن الناس بها، فيسقط منه كل ما أثبته مؤلفوا الأناجيل الأخرى فى أناجيلهم، وينفى هذه الألوهية،ثم يورد إثباتا لهذه الألوهية ما لم يرد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، هل إنجيل هذا حاله، يمكن الاعتداد بما يرد فيه لاثبات ألوهية المسيح، بالطبع لا .

ونورد فيما يلى بعض الأمثلة، لما أورده يوحنا فى إنجيله، إثباتا لألوهية المسيح، دون أن يرد شئ منه فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، أو ما أورده من وقائع فى هذا الشأن، تتناقض مع ما ورد فى الأناجيل الأخرى.

ففى الاصحاح الأول من إنجيل يوحنا نقرأ :

(وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ... وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله.) «٢٩و٣٤»

ومفهوم هاتين الآيتين أن يوحنا المعمدان، عندما رأى المسيح لأول مرة فى حياته، عرف فيه ابن الله الذى سيصلب عن خطايا البشر، وهذا محال، وهو ما لم يقله أي من البشيرين الثلاثة الآخرين، بل إن فى انجيلى متى ولوقا ما يكذب هذه الرواية، حيث نقرأ فيهما :

(أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه. وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر.) «متى ص١١ :٢و٣»

(فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا أنت هو الآتى أم ننتظرآخر.) «لوقا ص٧ :١٩»

فإذا كان يوحنا المعمدان، قد عرف المسيح لأول مرة رآه فيها، كما يذهب يوحنا البشير فى إنجيله، ففيم إرساله إليه بعد ذلك ، من سجنه الذى لم يخرج منه حيا، إثنين إلى المسيح، يسألانه عما إذا كان هو الآتى أم ينتظر آخر، إن الرواية الأخيرة تنفى صحة رواية يوحنا هذه .

وتتوالى الأقوال التى نسبها يوحنا إلى المسيح فى إنجيله، مثبتة على لسانه دعوته إلى ألوهيته منذ بدء دعوته ، وهو الذى رفض فى الأناجيل الأخرى مجرد وصفه بالصالح، لأنه ليس أحد صالحا إلاّ الله، وعندما عرف فيه تلاميذه مسيح الله،طلب منهم ألا يخبروا أحدا بذلك ، فنقرأ على لسان المسيح فى إنجيل يوحنا:

(وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء.) «ص٣:١٣»

(لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.) «ص٣:١٦»

(لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.) «ص٦:٣٣»

(لأنى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى.) «ص٦:٣٨»

(من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه. كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء.) «ص٦:٥٤-٥٨»

(ثم كلمهم يسوع أيضا قائلا أنا هو نور العالم.) «ص٨:١٢»

(فقال لهم يسوع الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.) «ص٨:٥٨»

(ما دمت فى العالم فأنا نور العالم.) «ص٩:٥»)

(أنا والآب واحد.) «ص١٠:٣٠»

(لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فى وأنا فيه.) «ص١٠ : ٣٨»

(قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد.) «ص١١:٢٥و٢٦»

هكذا ، فإننا نجد إنجيل يوحنا، خلافا للأناجيل الثلاثة الأخرى، ينبئنا بأن المسيح منذ بدء دعوته، وهو يعلن للناس أنه نزل من السماء، أنه خبز الله النازل من السماء الواهب حياة للعالم، أنه سيقيم المؤمنين فى اليوم الأخير، أنه نور العالم، أنه كائن قبل أن يكون إبراهيم، أنه والآب – أي الله – واحد، أنه القيامة والحياة، أنه فى الآب والآب فيه.

أقوال عجيبة وغريبة، إنفرد يوحنا بتدوينها فى إنجيله ، على لسان المسيح، كلها تشير إلى أنه منذ اليوم الأول إلى اليوم الأخير من رسالته، كان المسيح يدعو فيها الناس إلى الايمان بألوهيته، وهو ما ينفيه، ماهو متفق عليه بين المسيحيين أنفسهم، من أن المسيح إنما أخفى عن الناس أمر ألوهيته المدعى بها، حتى أنها لم تعرف تماما إلا بعد ماقيل عن صلبه ودفنه وقيامته من الأموات بنحو أربعين يوما، كما ينفى هذه الأقوال فى إنجيل يوحنا، عدم ورود شئ منها فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، وهى الأقرب فى تدوينها إلى عهد المسيح بعشرات السنين من إنجيل يوحنا، والمفروض أن مضى السنين يؤدى الى نسيان بعض الأقوال وليس إلى تذكر أقوال جديدة، وإذ كان الثابت ، أن مؤلف هذا الانجيل قصد بتأليفه له، إثبات ألوهية المسيح ، فإن كل ماتقدم يدل على أنه أثبت فى إنجيله ، على لسان المسيح، هذه الأقوال على غير سند من الواقع، لا لشئ إلاّ ليؤمن الناس بألوهية المسيح على نحو ماأراد ، وطبقا لأي أصول سليمة للبحث ، يتعين لذلك اسقاط أى اعتبار لهذه الأقوال .

وتبقى بعد ذلك فى إنجيل يوحنا، أقوال أخرى نسبت إلى المسيح في أربع اصحاحات كاملة، هى الاصحاحات من الرابع عشر إلى السابع عشر من ذلك الانجيل ، ومما نسب إلى المسيح فى هذه الاصحاحات قوله :

(قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة.) «ص ١٤ :٦»

(الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب.) «ص ١٤ :٩»

(ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فى. الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلّم به من نفسى لكن الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال. صدقونى أنى فى الآب والآب فى.) «ص ١٤ :١٠و١١»

(كل ما للآب هو لى.) «ص ١٦ :١٥»

(لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتمونى وآمنتم أنى من عند الله خرجت. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب .) «ص ١٦ :٢٧و٢٨»

(تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة. مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا. إذ أعطيت سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته.) «ص١٧ :١و٢»

(وكل ماهو لى فهو لك. وماهو لك فهو لى وأنا ممجد فيهم.) «ص ١٧ :١٠»

(ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى. وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد.) «ص ١٧ :٢١و٢٢»

والغريب أن هذه الاصحاحات الأربع، التى تضمنت الآيات السابقة وغيرها، ومعظمها كلام على لسان المسيح، قد أوردها البشير يوحنا فى إنجيله،

إثر واقعة معينة، وقبل أخرى ، وقد أورد البشيرون الثلاثة الآخرون هاتين الواقعتين فى أناجيلهم، دون أن يشير أى منهم إلى أن المسيح قال بينهما، أى عبارة من هذه العبارات، التى ملأ بها يوحنا أربع إصحاحات من إنجيله، وهى تعادل مايقرب من خمس اصحاحات إنجيله كله، البالغة واحدا وعشرين اصحاحا، وواقع الحال بالنسبة للواقعتين المشار إليهما، لا يحتمل أن يقول المسيح بينهما شيئا من هذا الذى ذكره يوحنا فى إنجيله، فقد نسب يوحنا إلى المسيح قوله هذه الاصحاحات، بين قول المسيح لبطرس، فى نهاية الاصحاح الثالث عشر .

(الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرنى ثلاث مرات.)

وبين ذهابه مع تلاميذه إلى جثسيمانى، وهو ما بدأ به يوحنا الاصحاح الثامن عشر من إنجيله بقوله :

(قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله وتلاميذه. ...)

ونفس واقعتى ذكر المسيح لبطرس أنه سينكره، وخروجه مع التلاميذ إلى جثسيمانى، يذكرهما البشيرون الثلاثة الآخرون، ولم يذكروا أن المسيح قال بينهما شيئا، من هذا الذى ملأ به يوحنا أربع اصحاحات من إنجيله، فإنجيل متى يذكر الواقعتين متتاليتين مباشرة، ولم يذكر أن المسيح قال أى كلمة بينهما (ص ٢٦ :٣٤-٣٦)، وكذلك الحال بالنسبة لانجيل مرقس (ص١٤ : ٣٠-٣٢)، أما إنجيل لوقا فقد أورد بين الواقعتين أربع آيات فقط على لسان المسيح (ص ٢٢ :٣٥-٣٨)، ليس منها شئ من هذا الذى ملأ به يوحنا أربع إصحاحات كاملة .

فما معنى ذلك، وإذا كانت الأناجيل الثلاثة الأخرى قد سجلت فى نفس الوقت، أحرّ وأعمق صلاة من المسيح لله، ودعاءه إليه أن يجيز عنه كأس الصلب، وهما الصلاة والدعاء اللذين استخلصنا منهما بحق، ماينفى عن المسيح الألوهية المدعى له بها، ومع ذلك فإن يوحنا البشير يسقط تماما من إنجيله كل هذه الصلاة وذلك الدعاء، فهل من المتصوّر ، أن ينسى يوحنا فى إنجيله، الذى هو آخر الأناجيل المتداولة تأليفا، كل هذه الصلاة وذلك الدعاء ، عند تأليفه لانجيله، رغم اتفاق البشيرين الثلاثة على ذكرها فى أناجيلهم، وهل من المتصور أن البشيرين الثلاثة لا يتنبهون الى كل هذه الأقوال التى نسبها يوحنا إلى المسيح فى إنجيله، وهم الأقرب فى تأليف أناجيلهم إلى هذه الأقوال، بعشرات السنين، من إنجيل يوحنا، أما يوحنا البشير، فهو وحده، وبعد عشرات السنين، تصل إلى السبعين تقريبا، الذى يذكر هذه الأقوال ، بالطبع لا ، فهذا غير معقول ولا متصوّر.

بـــل المتصور فى هذا الشأن، أن يوحنا البشير وقد استهدف من إنجيله إثبات ألـــوهية المســيح، ودعوة الناس الى الايمان بهذه الألوهية، أسقط لذلك من إنجيله، كل قـــول أو فعـل للمسيح ينفى عنه هذه الألوهية، ولم يجد سبيلا لدفع الناس الى الايمان بها، إلاّ أن ينسب للمسيح أقوالا تدعو الناس إلى الايمان بهـــذه الألوهية، وأعد لذلك من العـــبارات ما رأى لزومه لتحقيق قصـــده، ينسبها فى إنجـيله للمسيح، وإذ وصل فى تأليف إنجيله إلى الوقت الذى يقبض فيه على المسيح، وهو الذى يتعذر بعده أن ينسـب للمسيح فيه، قوله بعض ما أعده لينسبه إليه، لم يجد سبيلا إلاّ أن يدون باقى ما أعده جملة، فكانت الاصحاحات من الرابع عشر إلى السابع عشر، والتى جاءت على صورة

لاتتفق مع باقي الأناجيل ، ولا يساندها منطق أو واقع لأن فكر المسيح كله، كما هو ثابت من الأناجيل الثلاثة الأخرى، إنما كان منشغلا بأمر القبض عليه وما ينتظره من صلب، فأخذ يصلي لله ويدعوه أن يجيز عنه كأس الصلب، وإذ يقطع كل ذلك بعدم صحة مانسبه يوحنا إلى المسيح فى هذه الاصحاحات الأربعة، فإنه يتعين إسقاطها بدورها من أى اعتبار في شأن موضوع البحث في هذا الباب .

وهكذا نخلص فى هذا الفصل بحق، من الأقوال والأفعال الثابتة للمسيح عليه السلام، أنه ولد بشرا، وعرفته أمه بشرا، وعرفه الناس جميعا بشرا، ثم عرفوه إنسانا نبيا، وعرفوا فيه المسيح، مسيح الله الذى تنبأ عنه العهد القديم، ولم يعرفوا فيه طوال وجوده بينهم أكثر من ذلك ، ولم يعرفوا فيه الله بأى حال، كما أنه عليه السلام فى كل ماصدر منه من قول أو فعل، لم يقل أو يفعل إلاّ كل مايؤكد بشريته وينفي الألوهية المدعى بها له، بأي صورة من الصور

ولم تبدأ فكرة ألوهية المسيح، إلاّ بعد ماشبه للناس من صلبه، وماقيل بعد ذلك عن موته ودفنه وقيامته من الأموات، وحتى بعد ذلك ظل الكثيرون على إيمانهم الأول بشأن طبيعته عليه السلام، حتى كتب يوحنا إنجيله للرد على هؤلاء، وإذا كانت الغلبة اليوم، هى للرأى القائل بألوهية المسيح، فإننا وجدنا أنه رغم ذلك، لازال هناك من المذاهب المسيحية ما ينفى هذه الألوهية ، وعلى أى حال، فهذه الغلبة لن تغير شيئا من الحقيقة التى انتهينا إلى نبوتها، وهى أن المسيح ليس إلا إنسان بشر، وليس هو الله، كما أنه لم يدع الألوهيه فى يوم من الأيام

الفصـــــل الرابـــــع

ما قد يثور من اعتراضات على ما انتهينا إليه من عدم ألوهية المسيح

وهذه الاعتراضات يتصور أن تثور من وجهين، الأول ويتعلّق ببعض تلاميذ المسيح، وهم خاصته وأقرب الناس إليه، فكيف إذن اعتبروه الله خلافا للحقيقة والواقع، والثانى يتعلّق بالمسيحيين أنفسهم، فإذا كانت طبيعة المسيح واضحة جليّة، بحيث يسهل التعرّف على حقيقتها، ونفى الألوهيّة عنه كما تبيّنا، فلماذا لايصل المسيحيون، وهم فى الأصل يؤمنون بالمسيح وبرسالته، إلى هذه الحقيقة، ونخصص مبحثا مستقلا لكل من هذين الوجهين .

المبحث الأول

كيف يعتبر بعض خاصة المسيح أنه هو الله

قد تبدو لنا اليوم مشكلة محيرة، أن تكون الحقيقة أن المسيح عليه السلام مجرد إنسان نبى ورسول بشر، ومع ذلك يعتبره البعض من خاصته الله نفسه، إلاّ أن إمعان النظر فى أشخاص بعض التلاميذ، وفى ظروف عصر المسيح، وفى بعض وقائع العهد الجديد، ماقد يزيل أي حيرة فى هذا الشأن:

فعن بعض تلاميذ المسيح نقرأ :

(وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فانهما كانا صيادين. فقال لهما هلمّ أجعلكما صيّادى الناس. فللوقت تركا الشبك وتبعاه. ثم اجتاز هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما. فللوقت تركا السفينة وتبعاه.) «متى ص ٤ :١٨-٢٢»

و(فيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى. فقال له اتبعنى. فقام وتبعه.) «متى ص ٩ :٩»

فهؤلاء هم خمس من تلاميذ المسيح الاثنى عشر، أربع منهم من الصيادين وعشار، فإذا كنا نتصور الحالة الثقافية للصيادين اليوم، ونعرف أن الثقافة فى عصر المسيح كانت لخاصة الخاصة، لأمكننا القطع بغير تردد، بأن هؤلاء الصيادين الذين عاصروا المسيح، لم يكونوا على أى قدر من الثقافة، كما أننا نستطيع أيضا الجزم بانتشار الخرافات واستهوائها لعقول الناس فى عصر المسيح، ونستطيع من كل ذلك، ومن الصورة التالية فى سفر أعمال الرسل، أن نفهم لماذا آمن بعض تلاميذ المسيح بألوهيته، أما الصورة المقصودة فى ذلك السفر، فقد وردت فى الاصحاح الرابع عشر منه وهى تقول :

(وكان يجلس فى لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم. فشخص إليه وإذ رأى أن له إيمانا ليشفى. قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصبا. فوثب وصار يمشى. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا أصواتهم بلغة ليكأونية قائلين أن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس اذ كان

هو المتقدّم فى الكلام. فأتى كاهن زفس الذى كان قدّام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا الى الجمع صارخين. وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الاله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل مافيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم. مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرا يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا. وبقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما .) «ص ١٤: ٨-١٨»

فهاهم الناس فى عصر مابعد رفع المسيح مباشرة ، وهو العصر نفسه الذى بدأ فيه تأليه المسيح ، لمجرّد قيام بولس بشفاء شخص واحد، قالوا على الفور أن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إليهم، ولم يؤلهوا بولس وحده، بل ألّهوا برنابا أيضا لمجرد أنه كان مع بولس عندئذ، وأطلقوا على كل من بولس وبرنابا اسمى إلهين، وأتى كاهن أحد هذين الالهين بثيران وأكاليل يريد أن يذبح، ولم يكن من بولس وبرنابا إزاء ذلك إلاّ أن مزقا ثيابهما، واندفعا إلى الناس صارخين، واستطاعا بالجهد أن يكفا الجموع عن أن تذبح .

فإذا كان هذا هو حال الناس فى ذلك العصر حيال معجزة واحدة، لا وزن لها إلى جانب العديد من المعجزات التى قام بها المسيح، حتى أنه أحيا موتى بإذن الله، وتلاميذه تأخذهم الدهشة مرة ، والرهبة أخرى، يعجبون بأفعاله مرة، ويذهلون أخرى ، وما كانوا يجرؤون على سؤاله صراحة عما يغمض عليهم ، أليس الطبيعى، وهم على مانعرفه عنهم من البساطة وانعدام الثقافة، أن يحفر توالى

المعجزات أمامهم، آثارا عميقة تترسّب فى أفئدتهم يوما بعد يوم، حتى كان ما كان مما شبه لهم من أنه صلب، وما تواترت به الشائعات بعد ذلك عن قيامته من الأموات وظهوره للبعض، فيدفع ذلك بعض الناس إلى تصور ألوهيته، وسرعان ما تتلقف القلوب المتلهفة، خاصة من بين التلاميذ، تلك الشائعات لتصوغ منها حقائق لا ريب فيها تؤكد ألوهيته .

وعلى أى حال، فالثابت كما سبق، هو أن القول بألوهية المسيح لم يظهر تماما إلاّ بعد نحو أربعين يوما مما قيل عن صلبه وموته ودفنه وقيامته من الأموات، وأن هذا القول لم يلق إجماعا من المسيحيين، حتى أننا رأينا أن يوحنا لم يؤلّف إنجيله، بعد ما يقرب من سبعين عاما من رفع المسيح، إلاّ للرد على هؤلاء الذين ظلوا متمسكين بإيمانهم الأول الذى ينفى ألوهية المسيح .

ومن سوء الحظ ، أن أحدا من أتباع المسيح لم يقل بألوهيته قبل رفعه، وياحبذا لو كان هؤلاء الذين نادوا بألوهيته بعد رفعه، قد قالوا بها حال وجوده بينهم، إذن لكان منه عليه السلام أضعاف أضعاف ما كان من بولس وبرنابا عندما أراد الناس تأليههما .

وإذا كانت الغلبة بين المسيحيين بعد ذلك ، قد صارت لمن قالوا بألوهيته، فلن يغير ذلك من الحقيقة شيئا ، وهى أنه ليس الله، ولم يدّع الألوهية فى يوم من الأيام .

المبحث الثانى

لماذا لا يصل المسيحيون إلى الحقيقة بشأن طبيعة المسيح عليه السلام

عرفنا من المسيحين أنفسهم، أن الجميع فى عهد المسيح، من مريم العذراء، أمه التى ولدته، إلى من عرفوه صغيرا، ثم فتى، ثم رجلا، فنبيا مرسلا، فمسيح الله، لم يعرفوا فيه غير إنسان بشر، ولم يعرفوا فيه الله بأى صورة من الصور التى قيل بها بعد ذلك عن ألوهيته .

وعرفنا منهم أيضا أن الاتجاه إلى تأليه المسيح، لم يظهر إلاّ بعد ماقيل عن صلبه وموته ودفنه وقيامته من الأموات بنحو أربعين يوما، وعرفنا أيضا أن هذا التأليه، لم يكن محل إجماع من المسيحيين فى ذلك الوقت ولا فى أى وقت آخر، حتى يومنا هذا، إذ ظل البعض على الايمان الأول عن طبيعة المسيح، من أنه مجرد إنسان بشر، وليس الله بأى حال، حتى أن يوحنا البشير، لم يؤلف إنجيله بعد رفع المسيح بعشرات السنين، إلاّ للرد على هؤلاء.

وعرفنا منهم كذلك، أن الأناجيل الأربعة المتداولة، لم تكن هى كل ماعرف من الأناجيل ، بل كان هناك العديد من الأناجيل الأخرى، التى بلغ عددها مئات، ولكنها طوردت وأحرقت، ولاشك أنه سبب هام، هذا الذى دفع من اعتنقوا فكرة ألوهية المسيح ، إلى مطاردة هذه الأناجيل وإحراقها، رغم أنها لا تختلف فى قيمتها الحقيقية، عن هذه الأناجيل المتداولة، ولا شك أن من أهم الأسباب لذلك، نفيها لألوهية المسيح التى اعتنقها من طاردوها وأحرقوها، وإلاّ ففيم كان الخوف منها، إلى حد مطاردتها وإحراقها.

ومع كل هذا، فإن البعض ظلّ على إيمانه الأول، وإيمان جميع أتباع المسيح الأول، من أنه مجرد إنسان نبى ورسول بشر، وأنه ليس الله بحال من الأحوال، ولكن الأغلبية اعتنقت فكرة ألوهية المسيح، ثم أطلقت هذه الأغلبية، على من ظلوا متمسكين بالايمان الأول والأصلى، بشأن طبيعة المسيح، أطلقوا عليهم تعبير (الهراطقة)، ولازالوا إلى اليوم يطلقون على من ينفى منهم ألوهية المسيح، تعبير (الهراطقة).

وهنا أكبر مغالطة، فإذا كانت كلمة (الهرطقة)، هى كلمة دخيلة على اللغة العربية، فإنها قد أصحبت تطلق اصطلاحا على الانحراف، وإن أبسط نظرة على من يطلق عليهم المسيحيون تعبير (الهراطقة)، لتكشف بكل يسروسهولة، عدم انطباق هذا التعبير عليهم، ذلك أن من ظلوا بعد رفع المسيح، على إيمانهم السابق بشأن طبيعته عليه السلام، وهو الذى كان يلتقى عليه اجماع المسيحيين من قبل، لم ينحرفوا كما هو واضح عن أى إيمان سابق، وإنما بالعكس، فالصحيح أنهم هم المتمسكون بالايمان السابق، فلم ينحرفوا عنه، وأن الذين انحرفوا عنه حقا هم من عداهم، ممن قالوا بألوهية المسيح، منحرفين بذلك على الاجماع السابق الذى كان ينفى هذه الألوهية عنه نفيا تاما، ولذلك فإن الذين هرطقوا حقا، هم من قالوا بألوهية المسيح ، وليس أبدا من تمسكوا بما هم عليه من إيمان، ينفى عنه هذه الألوهية.

وعلى أساس من هذه المغالطة، يقيم المسيحيون اليوم حججهم، ويركزون تعاليمهم، بالنسبة لطبيعة المسيح، ذلك أنه لما كان الأصل أن المسيح ولد وعاش وعرف من الجميع حتى رفع، كمجرد إنسان بشر وليس كإله، فان البيّنة ، أى الحجة أو الدليل، تلزم بالتالى من يقول بعكس ذلك، وهى بينة يتحتم أن تكون

قاطعة وحاسمة، لايشوبها أدنى شك، لأن القول بهذه الألوهية على خلاف الحقيقة، يكون هو الكفر بالله تماما .

فإذا ما بحث الأمر على هذا الأساس، وعلى نحو مافعلنا فى هذا الباب، فإن الباحث لن يجد بحال من الأحوال، من المسيح، هذا الانسان العظيم، والنبى الأمين، أى سند يجيز تأليهه، ولكن ، وبدلا من هذا السبيل السوى الواضح، الذى يحتّمه الواقع، يعكس المسيحيون الوضع، فيجعلون الأصل هو ألوهية المسيح، وليتهم يقتصرون على ذلك، فهم يمضون إلى أبعد منه، إذ يجعلون هذا الأصل فوق أى نقاش، فلا يقبلون أى دليل ينقض هذا الأصل عندهم، ويعتبرون أى حديث ينفى الألوهية عن المسيح انحرافا، وهرطقة فاسدة، ولكن كل ذلك لن يغير من الحقيقة أو الواقع شيئا، وسيبقى الأصل الصحيح دائما، هو ماعرف عن المسيح طول فترة وجوده بين الناس على الأرض، من أنه مجرد انسان بشر، وأن الهرطقة حقا، هى ماكان من انحراف عن هذا الأصل ، وهو القول بألوهيته.

وترى، إلى أين وصلوا من كل ذلك ، هل بهذا عرفوا الله حقا، أبداً، فبهذا جهلوا الله ، وجهّلوا الناس بالله، فبهذا ابتدعوا بدلا من الاله الواحد، أربابا متعددة من دون الله، ذلك أن النتيجة الحقيقية والوحيدة لتأليههم المسيح، لم تكن إلاّ أنهم جعلوا لكل كنيسة ربا تعبده من دون الله، غير الأرباب التى تعبدها الكنائس العديدة الأخرى، وليس أدل على ذلك من كتاب لهم بعنوان (ربّ واحد وكنيسة واحدة)[1]، فحسبى من هذا الكتاب عنوانه وحده، دليلا على

(١) تأليف روبرت نلسون وترجمة إبراهيم مطر، صادر عن مكتبة المشعل الانجيلية ببيروت، ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر للمجلس المسيحى بالشرق الأدنى .

تسليم المسيحيين أنفسهم، بتعدد الرب عندهم، بتعدد كنائسهم، لأنه إذا كان الكاتب، وبحسب عنوان الكتاب ، ينادى بكنيسة واحدة، فذلك لما نعرفه من أن الكنائس عندهم قد تعددت، وهو إذ ينادى أيضا برب واحد، فلا شك أن هذا أيضا لأن الرب عندهم قد تعدد، وهو فى الواقع قد تعدد بتعدد الكنائس عندهم، ولهذا، فكما ينادى المشفقون منهم بكنيسة واحدة، ينادون أيضا مطالبين بعبادة رب واحد.

بل إن الواقع أن تعدد الكنائس، لم ينشأ أصلا إلاّ من تعدد الرب أولا عندهم، فقد تعددت صور الرب الاله أولا عندهم، وتمسك كل فريق بالتصور الذى اعتقد بصحته للرب الاله، ورفض كل صور الاله الأخرى، التى اعتقد الاخرون بصحتها، ومن هنا بدأ الانشقاق إلى كنائس متعددة، لكل منها تصورها الخاص للرب الاله، الذى يختلف عن تصور الكنائس الأخرى له، وما زال هذا الانقسام مستمرا، بل ومتكررا إلى اليوم.

فهل هناك جهل بالله فوق هذا الجهل، وهل هناك تجهيل للناس بالله فوق هذا التجهيل.

إننا اليوم ، وبعد مايقرب من عشرين قرنا بعد عصر المسيح ، نرى المسيحيين مازالوا مختلفين حول هذه الألوهية التى ابتدعوها للمسيح، وما زادهم مضى الزمن فى ذلك إلاّ خلافا فوق خلاف، وانقساما فوق انقسام، ومع ذلك، وكما وجدنا فى الفصل الأول من هذا الباب، فى المبحث الأول منه، فإنهم لم يفقدوا الأمل بعد، فى أنه سيأتى إنشاء الله اليوم السعيد، الذى يوفقون فيه إلى التعبير الواحد، الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة المسيح، وإن كانوا يرون أنهم

فى حاجة الى مجمع مسكونى غام، يضع صيغة هذا التعبير الواحد، ويقولون أيضا أنهم يجب قبل ذلك، أن يرحبوا بالمؤتمرات، لأنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجهات النظر .

وياللّه ، يدّعون ألوهية المسيح ، وعشرون قرنا من الزمان لم تكفهم للاتفاق على صورة هذه الألوهية التى يدعون بها، ومع ذلك لم يفقدوا الأمل بعد فى الاتفاق عليها، إلاّ أن هذا الأمر عندهم، يحتاج إلى مجمع مسكونى عام، ويجب أن تسبقه مؤتمرات، لأنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين، لمجرد تقريب وجهات النظر بينهم فى هذا الشأن .

إن الله عادل، بل هو أعدل العادلين، والعدل الالهى هو العدل المطلق، هو العدل الأسمى، وفى ظل هذا العدل الأسمى ، لاخلاف أن أحدا لن يكسب الآخرة، إلاّ أن يموت وهو على الايمان الصحيح بالله، وهو الايمان الذى يطابق الحقيقة فى شأنه جلّ جلاله، ولا خلاف أيضا أن هذه القاعدة لا تناقض العدل الأسمى، العدل الالهى، بل تتفق معه، ويقتضى مجرّد العدل، ومن باب أولى العدل الالهى الأسمى، أنه حتى تجوز محاسبة المرء على وجوب مطابقة ما يموت عليه من إيمان للحقيقة، أن يكون فى إمكانه أن يصل إلى هذا الايمان الذى يطابق الحقيقة، حتى يموت مطمئنا إلى أنه قد وصل إليه.

فأين هو المسيحى الفرد، الذى يستطيع أن يصل إلى الحقيقة فى شأن ما يدّعون به من صور الألوهية للمسيح، وأن يموت وهو مطمئن إلى أنه قد وصل إلى الايمان الصحيح لهذه الألوهية المدعى بها، إذا كان عمر الفرد لايجاوز بحال بضع عشرات من السنين، بينما الحقيقة فى هذا الشأن عندهم قد عجز عن الاتفاق عليها، والصحيح عجز عن الوصول إليها، الملايين العديدة من المسيحيين،

وعلى مدى مايقرب من العشرين قرنا من الزمان، ومازالوا حتى اليوم يأملون مجرّد أمل، بل يحلمون، مجرّد حلم، بالوصول إلى هذا الاتفاق ، والواقع، بالوصول إلى الحقيقة فى هذا الشأن، فى يوم ما، يرونه مازال بعيدا، ويرون الطريق إليه يحتاج أولا الى موتمرات بين اللاهوتيين، لمجرد تقريب وجهات النظر بينهم فى أمر هذه الألوهية التى يدّعون ، على أن يلى هذه المؤتمرات، إن نجحت فى تقريب وجهات النظر بينهم بطبيعة الحال، مجمع مسكونى عام، وبعد ذلك قد يتفقون، وأيضا قد لايتفقون، والواقع، قد يصلون إلى الحقيقة ، وقد لايصلون.

فأين هو الفرد المسيحى، الذى يستطيع أن يسلك الطريق إلى الحقيقة فى هذا الشأن، وهو دونه مسدود، بما قرأناه عن صراخ الكاهن فى القداس الالهىٰ، طالبا منه (الايمان بلا فحص)،أى أن المسيحى عليه أن يؤمن بما تلقّنه له كنيسته، من تصور لألوهية المسيح، بلا فحص، وليس المقصود بذلك، حظر فحص فكرة لألوهية نفسها، فهذه عندهم فوق أى نقاش أو فحص، وأى حديث فى شأنها يعتبر عندهم هرطقة فاسدة، وإنما المقصود هنا، وجوب الايمان بصورة ألوهية المسيح، التى تلقنها كل كنيسة لأتباعها، دون أى فحص، ودون أى مقارنة أو مفاضلة بينها وبين غيرها من الصور، التى تعتنقها الكنائس الأخرى.

وأين هو الفرد المسيحى، على مدى ما مضى وما سيمضى من الزمان، الذى مات أو سيموت، وهو مطمئن إلى أنه على الايمان الصحيح فى شأن هذه الألوهية المدّعى بها، فأنى له هذا، وهو حين يموت، يعلم يقينا، أن أغلب من يدينون بالمسيحية، ينفون صحة ماهو عليه من إيمان فى شأن تصوره لألوهية المسيح، ولا ينكرن على أحد هذا القول ، فهو النتيجة الصحيحة والحتمية، لحقيقة أنه قد بلغ من تعدد الكنائس، بتعدد تصوّرها لألوهية المسيح، وإنكار كل

كنيسة منها، لصور الألوهية التى تعتنقها الكنائس الأخرى للمسيح، أنه لاتوجد كنيسة واحدة منها، يتبعها أكثر من نصف عدد المسيحيين، وبالتالى فان إيمان أى كنيسة منها بشأن ألوهية المسيح، ينكره أغلب من يدينون بالمسيحية، وهم مجموع أتباع الكنائس الأخرى، الذين لابد أن يجاوز عددهم نصف عدد المسيحيين فى العالم بكثير ، مادام أنه لاتوجد كنيسة واحدة، يتبعها أكثر من نصف عدد المسيحيين فى العالم .

وبذلك ، فإن المسيحى يجد نفسه أمام ثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى ، هى ما لا خلاف عليه بين جميع المؤمنين بوجود الله، أنه فى ظـل العدل الأسمى، وهو العدل الالهى، فإن أحدا لن يكسب الآخرة، إلاّ أن يموت وهو على الايمان الصحيح بالله .

والحقيقة الثانية ، وهى ما لا خلاف عليه أيضا، أن مقتضى العدل وحده، ومن باب أولى، مقتضى العدل الالهى الأسمى، أنه لايجوز محاسبة إنسان، على أساس وجوب مطابقة ما يموت عليه من إيمان للحقيقة، وللايمان الصحيح بالله، إلاّ أن يكون فى إمكانه الوصول إلى هذا الايمان الصحيح ، فيموت وهو مطمئن إلى أنه قد وصل إليه واعتنقه .

أما الحقيقة الثالثة، هى الواقع الثابت ، من أنه ليس الفرد المسيحى وحده، وليس على مدى عمر الفرد وحده، وإنما ملايين لا عدد لها من المسيحيين ، وبصفة خاصة، المتخصصين منهم فى اللاهوت، وعلى مدى ما يقرب من العشرين قرنا من الزمان ، لم يستطيعوا بعد أن يتفقوا، على صورة واحدة يؤمنون بها، لما قالوا به من ألوهية المسيح، كما لايبدو هناك أدنى احتمال، أن يصلوا إلى اتفاق فى هذا الشأن، على مدى الزمان التالى كله .

وهكذا يجد المسيحى نفسه أمام حقيقتين لا خلاف عليهما، وأمام واقع لا يتفق مع هاتين الحقيقتين ، ولما كان من المستحيل الالتفات عن حقيقة أنه فى ظل العدل الالهى الأسمى، لن يكسب أحد الآخرة، إلاّ أن يموت وهو على الايمان الصحيح بالله، أو عن حقيقة ما يترتب على ذلك، من لزوم أن يكون فى إمكان الفرد ، خلال حياته القصيرة نسبيا، الوصول إلى الايمان الصحيح بالله، حتى تجوز محاسبته، ثوابا أو عقابا ، على أساس وجوب مطابقة إيمانه للحقيقة وللايمان الصحيح فى هذا الشأن، فإنه إزاء ذلك، لا يبقى إلاّ اليقين، بأن ثمة فسادا ما ، أدى إلى هذا الواقع الذى بيّناه، فى الحقيقة الثالثة، جعله لا يتّفق مع الحقيقتين السابقتين، وهو الواقع المتمثل فى استحالة وصول الفرد المسيحى، خلال حياته القصيرة، إلى إيمان صحيح يطابق الحقيقة بالنسبة لما يدّعون به، من ألوهية المسيح ، أو أن يموت وهو مطمئن إلى وصوله إلى الايمان الصحيح بين صور هذه الألوهية المدعى بها .

ويقينا فليس هذا الفساد فى صورة أو عدة صور من هذه الألوهية المدعى بها للمسيح، وإلاّ لكان ممكنا ، بل لكان محتّما، الوصول إلى الصورة الصحيحة بشأنها، ومن هنا، وإزاء كل ماتقدم، فلا مناص من اليقين، بأن هذا الفساد إنما هو فى فكرة الألوهية المدّعى بها نفسها، وبطلانها هى من أصلها، فهذا هو وحده ما يمكن أن يمنع على مدى الزمان كله ، من الاتفاق على صورة واحدة لهذه الألوهية ، ذلك أن الحقيقة واحدة، فيمكن دائما الوصول إليها والاتفاق عليها، أما الباطل فلا عدد له، ويستحيل الاتفاق على صورة واحدة له، لأنه مادام الأصل باطلا، فإنه يسهل دائما إثبات بطلان أى صورة له .

وإذا كان المسيحيون قد اختلفوا حول الله، على هذا النحو، فلا خلاف بين أى مسلم وأى مسلم آخر، حول الله، فالمسلمون جميعا، فى مختلف بقاع الأرض ، وعلى مدى الزمان كله، يلتقون على الايمان بإله واحد، هو الله الواحد الأحد، رب الناس جميعا، رب العالمين، باعث الرسل الأنبياء، خالق كل شئ، ومنه كل شئ، وإليه المصير.

بل إن ما قد يبدو غريبا حقا، أن المسيحيين أنفسهم، جميعهم، بكل مللهم ونحلهم، يقرون بصحة وسلامة إيمان المسلمين عن الله الواحد الأحد، ففى ذلك نقرأ لجماعة من اللاهوتيين المسيحيين:

(إن الله تعالى مرتفع فوق الكثافة واللطافة معا فلايصل إليه أحد بالتعبير، وليس كمثله شئ، وهو السميع البصير، والخالق القدير، لا تحدّه العقول، لسموه عن دائرة المعقول، ولاتدرك كنهه الأفهام، فهو تعالى منزه عن الكم والكيف والحصر والحد فلا يحيط به مكان ولايحصره زمان، كقول أبى بكر الصديق: «والبحث فى عين ذات الله اشراك »..) (١)

فهذا هو إيمان المسلمين بالله، كما يعرفه المسيحيون أنفسهم، وهو عندهم نفس إيمان المسيحيين بالله كما يقررون هم بأنفسهم، فعلى هذا الايمان بالله إذن، يلتقى إجماع المسيحيين والمسلمين، على نحو ما يقرر المسيحيون بأنفسهم، إذ أن هذا الايمان فى حد ذاته ليس بينهم محلا لخلاف، وهذا كله حق، ولكن، وإلى هذا الحد يقف اللقاء بين المسيحيين والمسلمين فى الايمان بالله ، فبينما يقف المسلمون فى إيمانهم بالله عند هذا الحد، فلا يتجاوزونه، يمضى

(١) كتاب (رب المجد) تأليف جماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادى القاهرانى صفحة ٥٠.

المسيحيون فيضيفون، ما نقرأه استكمالا للعبارات السابقة نفسها :

(ومع ذلك فنحن ملزمون أن نؤمن به كما هو معلن فى معلناته التى أوحى بها إلى عباده لأن نور الطبيعة غير كاف لأن يوصلنا إلاّ إلى معرفة وجود أزلى برأ الطبيعة وسيرها على أتقن نظام. وأما الوحى الالهى فيعلمنا عن صفات الله وأقانيمه ومظاهره وأعماله لأجلنا..)[١]

والمقصود هنا، هو أنهم ملزمون بأن يؤمنوا، بأن الله الذى هم يلتقون مع المسلمين على الايمان به، هو نفسه المسيح عليه السلام، على نحو ما أعلنهم به الله فى معلناته، وهى الكتب السماوية الموحى بها من الله، وهى بالذات هنا أسفار العهد الجديد، وذلك طبعا كأصل عام عندهم ، وإن اختلفت تصوراتهم لألوهية المسيح باختلاف كنائسهم .

وما قرأناه هنا لجماعة من اللاهوتيين، ومضمونه أن المسيحيين ملزمون بالإيمان بأن الله الذى يؤمن به المسيحيون والمسلمون على السواء، هو نفسه المسيح عليه السلام، لأن هذا هو ما أعلنه لهم الله فى معلناته، هو تماما ماسبق أن قرأناه، فى تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح [٢] ، من أنهم يؤمنون بألوهية المسيح على الصورة الواردة فى تعليمهم هذا، لأن فى ديانتهم أسرارا يؤمنون بها ويقبلونها بكل يقين وإيمان، لا لشئ، إلاّ لأنها قد أعلنت لهم من الله، وأنهم يؤمنون بها على الرغم من معارضتها لحواسهم ، ومناقضتها لعقلهم المادى، لا لشئ إلاّ لأنهم أيقنوا أنها من الله، والمقصود هنا أيضا بالاعلان

---

(١) المرجع السابق صفحة ٥٠ .

(٢) فى المبحث الأول من الفصل الأول من هذا الباب .

من الله، هو نفسه المقصود بمعلنات الله فى كتاب جماعة اللاهوتيين المسيحيين مما سبق بيانه، وهو الكتب السماوية الموحى بها من الله ، وبالذات أسفار العهد الجديد.

وبذلك يتضح أن أصل التزام المسيحيين بالايمان بألوهية المسيح، لا يقوم على وصولهم إلى لزوم هذه الألوهية، أو إلى ثبوتها فى حد ذاتها، وإنما يتمثل هذا الأصل فى إيمانهم بأن أسفار العهد الجديد، التى أعلنت هذه الألوهية، موحى بها من الله، وبالتالى فهم ملزمون بالايمان بهذه الألوهية، مادام الله قد أعلنها لهم، ولكن ، وما دام قد ثبت لنا من قبل، فى هذا البحث، انتفاء الوحى عن هذه الأسفار ، فإنه بذلك يسقط الأساس الذى قام عليه الالتزام بالايمان بألوهية المسيح عندهم، ويبقى لهم بعد سقوط هذا الالتزام عنهم، إيمانهم بالله الواحد، على نحو ما يؤمن به المسلمون ، وهو نفسه الايمان الذى وجدنا أن المسيحيين أنفسهم، يقرون المسلمين عليه، ويلتقون معهم على صحته، وبذلك فان أى مسلم، طال عمره أو قصر ، يموت على هذا الايمان، إنما يموت وهو موقن اليقين كله، ومؤمن الايمان كلّه، بأنه الايمان الصحيح، وكيف لا يموت مطمئنا إلى ذلك، وهو يعرف يقينا، أنه ليس المسلمون جميعا فحسب، بل والمسيحيون جميعا أيضا، يقرونه على صحته على نحو ماتقدم.

وإذا كان المسيحيون، رغم كل ماهم عليه من فرقة وانقسام، حول تصورهم لألوهية المسيح ، ما زالوا رغم ذلك ، يأملون فى أنه سيأتى اليوم السعيد إنشاء الله، الذى يوفقون فيه إلى التعبير الواحد، الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح، ويصلون لله من أجل ذلك، فانى أستأذنهم هنا فى أن أسجل أمرين فى هذا الخصوص :

الأمر الأول : هو أني أضم صلواتي إلى صلواتهم، دعاء إلى الله أن يوفقهم في الوصول إلى التعبير الواحد، الذى يترجم عن الايمان الصحيح، الذى يطابق الحقيقة والواقع، فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام.

أما الأمر الثاني: فهو اليقين، بأنهم من الآن، وعلى مدى الزمان كلّه ، لن يصلوا إلى هذا التعبير الواحد، إلاّ أن يلتقوا على الايمان الصحيح الوحيد، بشأن طبيعته عليه السلام، وهو الايمان الأول ، الذى سبق أن التقوا عليه جميعا، حال وجود المسيح بينهم على الأرض، من أنه مجرد إنسان بشر، وإن كان رسولا نبيا، والمسيح الذى بشر به وتنبأ عنه العهد القديم، وليس أبدا الله بأى حال من الأحوال، أو بأى صورة من الصور، لا لشئ إلا لأن هذه هى الحقيقة وحدها، ولأنها كذلك، فيمكن الالتقاء عليها، أما ما عداها فباطل ، ولأنه كذلك ، فسيسهل دائما هدمه .

البـاب الثالث

دعـوة الحـق

لو أراد من آمنوا بالله فى أى عصر من العصور، على مدى التاريخ كله، قديمه وحديثه، بل والمستقبل منه ، تعريف الدين الذى يؤمنون به ، تعريفا جامعا، يصلح لكل زمان ومكان، فماذا يكون تعريفهم له.

إن مقتضى الايمان بالله، فى أي عصر كان أو يكون فيه هذا الايمان، الانقياد لأوامر الله ونواهيه، التي بعث بها الرسل الأنبياء، بلا اعتراض، وهذا هو الاسلام لله، أو الاسلام فقط على سبيل الاختصار، على أن يكون مفهوما أن المقصود به، هو الاسلام لله، وذلك لأن كلمة الاسلام معناها الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض ، وبالتالى فإن الاسلام لله، هو الائتمار بأوامر الله ونواهيه بلا اعتراض ، وهذا هو الدين عند الله .

ولهذا كان ما نقرأه فى القرآن من قوله تعالى :

﴿ **إن الدين عند الله الاسلام .**﴾ «آل عمران: ١٩»

و ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين.**﴾ «آل عمران :٨٥»

لم تكن هاتان الآيتان تعصبا لدين جديد جاء به محمد عليه السلام، وإنما كانتا لأن الاسلام، هو الاسم الوحيد الذى يمكن أن يعرف به الدين عند الله، منذ أن كان الدين السماوى على الأرض .

ولهذا فإن كل من آمن بالله وكتبه ورسله ، فى أى زمان أو مكان، فهو مسلم لله، أو مسلم اختصارا، وذلك سواء بعد محمد أو قبله، وسواء بعد المسيح أو قبله، وسواء بعد موسى أو قبله، فكل من آمن فى أى زمان بما عرف حتى زمانه، من كتب الله السماوية ورسله ، فهو مسلم .

ولهذا نقرأ فى القرآن عن نوح عليه السلام :

﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين.﴾ «يونس ٧١و٧٢»

ولهذا أيضا يعرّفنا القرآن بأن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وبنيه مسلمون، إذ يقول :

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد أصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك واله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون .﴾ «البقرة: ١٢٧-١٣٣»

وكذلك قوم موسى كانوا مسلمين :

﴿ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين .﴾ «يونس : ٨٤»

وكذلك من تبعوا المسيح كانوا مسلمين :

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون .﴾ «آل عمران:٥٢»

وأخيرا ، هذا هو القرآن، إذ يوجه الخطاب إلى من تبعوا محمدا عليه السلام، يقول :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .﴾ «البقرة : ١٣٦»

هذا هو الاسلام فى بساطته، وأيضا فى عمقه، إسلام لله، بالايمان بكل كتبه السماوية، وبكل أنبيائه المرسلين، بالانقياد لكل أوامره ونواهيه، بلا اعتراض، فليس الاسلام كما قد يتصور البعض ، إسما اختير لدين جديد، وإنما هو الاسم الوحيد، الذى يمكن أن يعرف به الدين عند الله منذ أن كان الدين السماوى على الأرض، وإلى نهاية الزمان، ولهذا فإن كل من آمنوا بالله حق الايمان، على مدى العصور السابقة، أو فى عصرنا هذا، أو على مدى العصور اللاحقة، بالانقياد لأوامره ونواهيه، التى بعث بها الرسل الانبياء ، هم المسلمون.

ولذلك ، فقبل بعث محمد عليه السلام، وتنزيل القرآن، فإن الايمان الصحيح بالمسيح وبالانجيل وبالرسل والكتب السماوية السابقة عليهما، هو نفسه الاسلام الصحيح فى ذلك الوقت، وببعث محمد عليه السلام رسولا من عند

الله، وتنزيل القرآن عليه ، تكامل بذلك الدين عند الله، وهو الإسلام لله، أو الاسلام فقط على سبيل الاختصار .

هذا هو الاسلام ، وهذه هى المسيحية فى الاسلام ، فالمسيحية الحقة فى الاسلام ، هى نفسها الاسلام الحق ، قبل بعث محمد عليه السلام وتنزيل القرآن عليه ، فليست المسيحية الحقة في الاسلام ، دين آخر غير الاسلام ، إنما هما دين واحد ، وهو دائما الاسلام لله ، وإن سماه أتباع المسيح بالمسيحية ، نسبة إلى المسيح عليه السلام .

ولأن المسيحنية الحقة ، والاسلام ، هما دين واحد على هذا النحو ، لذلك كان محتما أن يتطابقا ، وأبدا لا يتناقضا ، ولقد وجدنا بحق فى كل هذا البحث ، أن المسيحية الحقة ، التى تطابق الحقيقة والواقع ، هى وحدها التى تطابق كل التطابق ، ما قال به الاسلام ، من عدم صلب المسيح وانتفاء شبهة الألوهية التى قيل بها عنه .

لقد كانت قضية الايمان منذ أن كان الدين السماوى ، الدين عند الله على الأرض ، هى الايمان بوجود الله ، هى الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، وعدم الشرك به ، وظلت هذه هى قضية الايمان دائما ، إلى عهد المسيح عليه السلام ، وإلى ما بعد رفعه إلى السماء بقليل .

وبعدهذا ، وبعده فقط ، بدأ البعض من أتباع المسيح ينحرفون بقضية الايمان هذه ، التى نادى بها الرسل الأنبياء جميعا من قبل ، بما فى ذلك المسيح عليه السلام ، فأصبحت قضية الايمان عندهم من شقّين ، شق يتمثل فى الايمان بوجود الله على نحو ما جرت به الرسالات السماوية من قبل ، وشق يتمثل فى ألوهية المسيح ، بالادعاء بأن المسيح هو الله نفسه الذى دعا الرسل

الأنبياء من قبل إلى عبادته ، ثم اختلفوا فى تصورهم لألوهية المسيح المدعى بها ، وكان ذلك سببا فى انشقاق الكنيسة وانقسامها ، إلى كنائس لا حصر لها ولا عدد .

ولقد وجدنا بحق فى الباب السابق ، أنه لم يكن لهذا الانحراف بقضية الايمان من نتيجة أو أثر ، إلاّ أنهم جهلوا الله ، وجهلوا أتباعهم به ، ولم يجدوا سبيلا لاقناع الناس بصور الألوهية التى ابتدعوها للمسيح ، فاضطروا أن يطلبوا منهم الايمان بها (بلا فحص) ، ليس لأنه هكذا كان أو يجب أن يكون الايمان ، وإنما لما وجدناهم يقررونه (١) ، من أن تصورّهم لهذه الألوهية ، يبدو فيه تناقض منطقى وعقلى ، وهى – أى هذه الألوهية – ، تناقض حواسهم وعقلهم المادى ، وفيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، وبالتالى ، فإن مثل هذا التصور ، لابد أن ينهار ويتهاوى أمام أى فحص ، وعليه ، فلا حيلة لهم إلا أن يطلبوا الايمان بلا فحص .

ولكن ، ليس كل الناس من يقبل هذا ، أفلا يحق للمسيحى ، حتى أن يفحص صور الألوهية المختلفة ، المدعّى بها للمسيح ، فى مختلف المذاهب المسيحية ، لا يقبل الكثيرون ذلك ، فيفحصون ما أريد لهم من إيمان ، وإذ يرفض العقل كل صور الألوهية المدعّاة للمسيح ، فإن الأمر يتنهى بالكثيرين إلى الالحاد ، وهكذا ، فإن هذه الألوهية المدعى بها ، فتحت بابا واسعا لالحاد المؤمنين بالله أصلا ، ولا أحسب أن هناك بابا للالحاد أوسع من هذا الباب فى الدول المسيحية .

وجاء الاسلام ، ليعود بقضية الايمان سيرتها الأولى والحقة ، من الايمان

(١) فى المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الثانى .

بوجود الله الواحد الأحد ، الايمان الذى دعا إليه الرسل الأنبياء جميعا قبل محمد عليه السلام ، بما فى ذلك الايمان الذى دعا إليه حقيقة وواقعا ، المسيح عليه السلام .

وإذا أردنا أن نعبّر عن الايمان فى الاسلام ، بعبارة تقابل تلك التى قالوا بها من (الإيمان بلا فحص) ، فإننا نقول بغير تردد ، عن الايمان فى الاسلام أنه (الايمان الذى يقبل كل فحص) ، أو (الايمان الذى يتحدى أى فحص) .

هذاهو الايمان فى الاسلام ، وهذا هو احترام الاسلام وتقديره للعقل ، أسمى ما كرّم الله به الانسان ، فلا يطلب من أحد إيمانا بلا فحص ، لأنه لا يطلب ذلك ، إلاّ من يعرف أنه يطلب الايمان بغير الحق ، أما الاسلام ، فلأنه يقينا لا يطلب الايمان إلاّ بكل ما هو حق ، فإنه لا يجفل من أى فحص ، وإنما هو يقبل كل فحص ، بل هو يتحدى أى فحص .

وهل أدلّ على ذلك من هذا البحث ، فهل كان هذا البحث إلاّ فحصا لمعتقدات الاسلام بشأن موضوعى البحث ، بل ليس لمنصف إلاّ أن يقرر أن هذا البحث ، وعلى الصورة التى جرى عليها ، لم يكن إلاّ تحديا لمعتقدات الاسلام فى شأن هذين الموضوعين ، فماذا كانت النتيجة ، لم تكن غير ثبوت أن معتقدات الاسلام وحدها فى شأنهما هى الحق ، وأن كل ما عداها باطل انهار وتوارى ، أمام نور الحق وجلاله فى شأنهما فى الاسلام .

على أنه يجب أن يكون واضحا تماما ، أنى لا أقابل بين المسيحية والاسلام ، فأقول أن المسيحية (إيمان بلا فحص) ، وأن الاسلام (إيمان يقبل كل فحص ويتحدّى أى فحص) ، ذلك أن كل ما خلصت إليه يقينا من هذا البحث ، هو أن المسيحية الحقة والاسلام دين واحد ، وإن سمّاه أتباع المسيح قبل

بعث محمد وتنزيل القرآن بالمسيحية ، ولذلك وجدنا أن المسيحية الحقة تطابق الاسلام ، فلا يختلفان ولا يتناقضان ، لأن الواحد لا يناقض نفسه ، ولذلك فإذا قلت أن الاسلام (إيمان يقبل كل فحص ويتحدّى أى فحص) ، فبنفس القدر أرى أن المسيحية الحقة (إيمان يقبل كل فحص ويتحدى أى فحص) ،أما المسيحية التى ينادون بها ، ويطلبون فيها من أتباعهم (الايمان بلا فحص) ، فتلك ليست مسيحية بالمرة ، وإن نسبت إلى المسيح ، فيقينا إنه هو نفسه أول من يتبرأ منها،لأنها النقيض من رسالته،وعكس الحقيقة فى شأن طبيعته عليه السلام.

وحبذا لو رجع الحكماء منهم ، إلى ما كان عليه المسيحيون الأوائل ، من إيمان حال وجود المسيح عليه السلام بينهم على الأرض ، ونقّبوا عن الأناجيل الأخرى التى طوردت ، طمسا للحقائق الثابتة فيها ، وتحرّوا حقيقة الوحى الذى أثبتوه بغير سند ، لمؤلفى أسفار العهد الجديد ، إذن لوصلوا من كل ذلك إلى الحقيقة ، ولالتقوا مع المسلمين على الايمان الصحيح ، الذى كان منذ أن كان دين الله على الأرض ، وهو الايمان بالله الواحد الأحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وبذلك وحده يمكن لهم أن يلتقوا ، ويجابهوا تيار الالحاد الآخذ فى الانتشار فى الدول المسيحية .

إن الدين ليس إرثا يتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد ، وإنما الدين كان دائما ،وسيظل أبدا ،مواجهة وفحصا ، لكل ما يتلقّاه الأبناء عن الآباء والأجداد، ومقابلة بينه وبين ما عداه ، وصولا إلى الايمان الصحيح الحقيق بأن يتّبع .

كما أن الدين ليس وقفا على جهة ما ، أو على أفراد معينين ، تقرر أو يقررون فى وقت من الأوقات ، أو فى عصر من العصور ، صورة معينة من الايمان ، فيلتزم الناس على مدى الزمان بالايمان بها ، وليس لمجموعة من الناس

أيا كانوا، أن يختاروا في وقت ما أناجيل معينة من بين مئات ، فيفرضوا على الناس على مدى الزمان الايمان بما اختاروه ، بينما يطارد ويحرق ما لم يقع عليه اختيارهم ، وذلك كلّه على نحو ما جرى في مؤتمر نيقيه سنة ٣٢٥ الميلادية .

فالدين أولا وأخيرا ، هو علاقة خاصة بين كل فرد وربّه ، ولن يدخل أحد ملكوت الله إلاّ بإيمانه هو ، وأبدا ليس بإيمان غيره ، ولذا ، فإن على كل فرد أن يفحص ما يراد له من إيمان ، حتى يطمئن أولا ، أنه الايمان الصحيح الحق ، الذى يوصله الى ملكوت الله .

ولهذا كان ما قلته في مقدمة هذا الكتاب ، من أن الايمان الصحيح هو قضية كل إنسان ، وهى قضية بغير خصوم بل وأيضا بغير قضاة ، لأن كل امرء فيها هو الخصم وحده ، وهو أيضا القاضى وحده ، فكل هو قاضى قضيته هذه، فإن كسبها فلنفسه ، وإن خسرها فعليها .

وإذا كان هذا الكتاب ، هو قضائى فى قضيتى هذه ، فإنى إذ أنشره ، فلأعرضه على غيرى ، علّى بذلك أوفر عليه من الجهد ، بعض ما أنا فيه قد بذلت ، وكما سبق أن قلت فى المقدمة أيضا فإنى لا أدّعى أنى وحدى على الحق ، وأن من عداى على باطل ، وإنما حسبى أن أدّعى ، أن أمانة ما غير وجه الحق قد قصدت ، وأن يقينى أن الحق هو ما أنا فيه قد بلغت .

ولكلّ أن يأخذ بما أنا لنفسى قد قضيت ، ولكل أيضا أن يقضى لنفسه بغيره ، وفى هذا الاختيار أو ذاك ، فإن الكل ليعلم يقينا ، أنه يوما ما عن اختياره سيحاسب ، ليس منى ، ولا من غيرى ، وإنما من الله الواحد الأحد ، خالق كل شئ ، رب العالمين ، ولذلك ، فإن من يرفض ما أنا لنفسى فى هذا الكتاب قد اخترت ، عليه أن يرد لنفسه أولا ، على ما أنا فى هذا الكتاب قد أثرت ،

وعليه أن يقنع نفسه أولا ، بخطأ ما أنا إليه قد ذهبت ، ولكن لا يقولنّ أحد هنا أن عليه الايمان بلا فحص ، لأنه هو وحده من سيجنى فى الآخرة ، ثوابا أو عقابا، جزاء إيمانه ، وليس أبدا من طلب منه الايمان بلا فحص ، ولذا فقد حق له الفحص ، وحق له من بعد الاختيار .

وعن نفسى ، فبعد كل هذا البحث ، فإن أول وآخر ما أسأل الله أبدا ، أن اللهم أحينى مسلما لك ، وتوفّنى مسلما لك ، واحشرنى فى زمرة المسلمين لك يارب العالمين .

وحسبى أنى قد بلّغت ، اللهم فاشهد . »»»

باب خـــــتامى

على هامش دعوة الحق

كانت هذه دعوة الحق ، بكل اليقين ، وبكل الايمان ، أطلقتها ، فنشرت في الخامس من أبريل سنة ١٩٦٣ ، ولقد لقيت هذه الدعوة قبولا لدى العديدين ، فاق عندى كل خيال ، وإذ أسجل هنا شكرى واعزازى ، لكل من تلقى هذه الدعوة ، فوقعت من نفسه موقعا حسنا ، فكتب إلى بذلك ، فإنى أكتفى هنا بتسجيل هذا ، مقدراً أن أى كلمات أخرى ، خلاف البحث نفسه، لا يجوز أن أجعل منها واسطة بينى وبين القارئ .

وبقدر ما قرأت ، وبقدر ما بحثت ، وبقدر ما وجدت ، فقد كنت أعرف تماما ماذا أنا قد كتبت ، كنت أعرف قدر ما كتبت ، وقيمته ، وقوة الحجة فيه، لمن ينكرون ما أنا إليه فى بحثى قد انتهيت ، وكان يقينى أننى ما استهدفت الا الحقيقة وحدها ، وكان يقينى أيضا أن الحقيقة نفسها هى ما أنا اليه قد وصلت، ولذا ففى حيرة تساءلت ، هل على مثل هذا البحث ، يمكن لأحد أن يرد .

لذلك كنت فى شوق ، بل فى أكبر شوق ، لأقرأ على بحثى هذا ردا ، أى رد ، وانتظرت قليلا فلم أجد ، وقدرت بالطبع أن الرد لن يكون سهلا ، وأنه إلى وقت يحتاج ، ثم ترامى إلى أن هناك كتابا قد صدر ، وعلى كتابى يرد ، وبقدر ما سررت ، بقدر ما آلمنى أنى إلى نسخة من ذلك الرد لم أوفق ، فقد سارعت إلى حيث اعتدت أن أجد من الكتب ما استعنت به فى بحثى ، ففوجئت برد يقول أن نسخ الرد قد نفذت ، وعبثا أوصيت إخوة من المسيحيين الذين أعرفهم ، ليأتونى بنسخة من ذلك الرد ، فلم يأتنى أيهم بواحدة منه .

ثم قيّض الله لى من استطاع ، من أجلى، أن استيلاء استولى على نسخة، وإلى بها دفع ، فإذا بعنوانها « الحق » ، وقد وضعت داخل قرص للشمس رسم بها محيط ، وكان ذكاء من المؤلف القمص باسيليوس اسحق(كاهن كنيسة

رئيس الملائكة ميخائيل بغربال بالاسكندرية) أن اختار من بين ما اختاره من آيات الكتاب المقدس على الغلاف ، آية تقول « اقتن الحق » ، وأسرع لأتصفح ذلك الرد ، وللوهلة الأولى، بخيبة أمل أصبت ، وللوهلة الأولى أيقنت ، أن ليس على كتابى هذا الرد .

فأول ما قاله الكاتب فى أول باب والذى جعل عنوانا له « الطعن فى صحة الكتاب المقدس » ما يلى :

(بدأ الكاتب كتابه بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير وحجته فى ذلك أن القرآن بشر برسول يأتى بعد المسيح اسمه أحمد ولم يوجد فى الكتاب المقدس - العهد الجديد - شئ من ذلك .. ولذلك يجب اسقاطه من الاعتبار .

ثم عاد فى صفحة أخرى وقال أن بالكتاب المقدس أخطاء وتزوير ولا يمكن للمسلمين أن يعتبروه كتابا صحيحا .

ثم يتحدث بعد ذلك عن انجيل آخر اسمه انجيل برنابا ينفى عن المسيح ألوهيته وصلبه ، ويبشر برسول اسمه أحمد ....)

ويقينا فلم أبدأ بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير ، ويقينا بالتالى فلم أستند فى ذلك إلى تلك الحجة التى يتحدث عنها .

وصحيح أننى قد انتهيت إلى حد ما فى بحثى إلى أن بالعهد الجديد من الكتاب المقدس بعض الاخطاء ، وبعض مما يمكن عده تزويرا ، إلا أن هذا وإن صح ، لا يجعل كتابى هو المقصود هنا ، ما دام أنه بيقين لم ينطو على هذا الذى أشار اليه المؤلف أولا ، بالاضافة الى أن ماقاله المؤلف من أن الكتاب الذى يرد عليه أشار إلى إنجيل آخر اسمه إنجيل برنابا ينفى عن المسيح ألوهيته وصلبه

ويبشّر برسول اسمه أحمد ، فهذا الذى قاله المؤلف يعطى انطباعا لدى القارئ بأن الكتاب الذى يرد عليه قد اعتمد على صحة إنجيل برنابا ، بينما أنا ليس فقط لم أعتمد عليه ، بل ورفضت أى بحث يقوم على أساس صحته .

ليس كتابى إذن ما يرد عليه المؤلف ، خاصة وأنه لم يذكر صراحةأنه قصد بمؤلفه هذا الرد على كتابى ، إلا أنى رغم ذلك ، أمضى فى قراءة الكتاب ، كالعديد غيره من الكتب التى إعتدت أن أقتنيها وأقرأها فى المسيحية ، فأعرف مما قاله فى بداية الباب الأول من كتابه من أنه : (بدأ الكاتب كتابه ...) ومما ورد فى باقى الكتاب ، أن الكاتب إنما قصد به الرد على كتاب معين .

ففى صفحة٥١ يقول : (تحدث أحد الكتاب عن إنجيل مفقود أنزل على المسيح ورد ذكره فى القرآن ولم يوجد له أثر الآن ..)

وفى صفحة ٥٤ يختار عنوانا يقول : (هل يمكن أن يذكر العهد الجديد وقائع غير صحيحة ؟) ثم استطرد قائلا : (تحت هذا العنوان ذكر أحدهم بعض الاعتراضات التى أغلق فهمها عليه ..)

وفى صفحة ٥٦ يوجه الخطاب فى كلامه إلى الكاتب الذى يرد عليه مباشرة فيقول : (واليك بعض العلامات التى يدل وقوعها على ...)

وفى صفحة ٥٨ يشير إلى قصة ظهور المسيح لشاول الذى لقب ببولس الرسول ويورد النصين اللذين وردا فى هذا الشأن ورأيت أنهما يتناقضان ويقــــول: (ظن أحد الكتاب أن خلافا فى النصين ...)

وفى صفحة ٥٩ يقول تعليقا على المزمور ١٠٩ : (واستخلص أحد الكتاب من هذا أن الذى حوكم كان يهوذا ،وليس المسيح ، لأن الله أوقع شبهه

عليه ... ودلل بذلك على صحة ما ورد فى القرآن من أن المسيح لم يصلب ...)
وصحيح أننى لم أقل بأن الله أوقع شبه المسيح على يهوذا ، ولكن أنا من استدل من هذا المزمور على أن الذى حوكم كان يهوذا .

وفى صفحة ٦٠ يقول بعد أن أشار الى ما ورد فى إنجيل متى من أن يهوذا مضى وخنق نفسه وما ورد فى سفر أعمال الرسل خلافا لذلك قال : (وظن الكاتب – بأل التعريف – أن هناك تناقضا بين القولين ولكن لا تناقض البته ..)

وفى صفحة ٦١ بعد أن أشار إلى تناقض آخر كتبت عنه فى كتابى قال : (ومضى يقول أحد الكتاب ان التناقض دليل على عدم صحة الروايتين ...)

وفى صفحتى ٦٥ و ٦٦ يقول :(ولكن ما قول الكاتب فيما ... وما قولك فى ... وما قولك فيما ... فهل تظن أنه ...)

وفى صفحة ٦٦ أيضاً يقول : (اعترض أحد الكتاب على اختيار الله لبولس رسولا لسبب ما جره على الكنيسة ...)

وفى صفحة ٧٠ يقول : (ولكن أحد الكتاب يقول أنه بعدستة قرون جاء نبى الإسلام وقال أن المسيح لم يصلب وانما رفعه الله اليه ...

واستطرد يقول: وما دام القرآن قد نفى هذا وانه لم يصلب فانه أصدق نبأ من نبوءات التوراة وأصدق نبأ من سجلات التاريخ ، وأصدق نبأ من الأناجيل ، ورسائل الرسل ، وذلك لأن الله قال ذلك فى القرآن والله لا يخطئ ابدا .

ولذا فمهما كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب فانه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه مادام القرآن قال كذلك ..)

والسطران الأخيران بنصهما قد وردا فى الصفحة الخامسة من الطبعة الأولى من كتابى هذا،مع فارق بسيط ،وهو أن الكاتب يوحى هنا للقارئ بأن ذلك كان سندى فى القول بعدم صلب المسيح وتخليص الله له ، بينما الواقع أننى قد أوردت هذين السطرين كسبب لاعتقاد المسلمين عامة بعدم صلب المسيح .

وفى نفس الصفحة والتالية لها يقول أيضا : (ثم يعود هذا الكاتب ،.فيقول أن الذى شبه لهم أنه المسيح لم يكن إلا يهوذا .. ثم استطرد يقول .. وافترض الكاتب فرضين : أولهما أن شخصية المسيح لم تكن معروفة ، كما أن يهوذا أيضا لم يكن معروفا لهم . ثانيهما : أن المحاكمة كانت سريعة وأن يهوذا لم يفصح عن شخصيته للجنود ..)

وفى صفحة ٧٢ يوجه خطابه إلى الكاتب الذى يرد عليه فيقـــــول : (فحسبك أن تعلم أن ...)

وفى صفحة ٨٢ يقول : (فهل بعدكل هذا يقول قائل أن يسوع لم يصلب ... وأن الذى صلب آخر غيره ، وأن المحاكمة كانت سريعة ، وجرت ليلا وتحت جنح الظلام .)

وفى صفحة ٨٤ يقول : (إستند أحد الكتاب على الآية الواردة فى المزمور ٢٠ : الآن عرفت أن الرب خلص مسيحه . ظنا منه أن كلمة المسيح قصد بها المسيح بأل التعريف .)

وفى صفحة ٨٦ يوجه خطابه أيضا إلى الكاتب الذى يرد عليه فيقول: (أما عن الأوصاف التى ذكرتموها الواردة فى مز ٢٢ : ... كل هذا قصد به المسيح ولم يقصد به يهوذا .)

هذا كله ، وإلى آخر الكتاب ، أعرف منه أن الكاتب قصد بكتابه الرد على كتاب معين ، ويوجه الخطاب فيه الى كاتب معين ، وكتاب واحد ، وكاتب وحيد ، هو الذى قال كل هذا الذى يحاول مؤلف كتاب الحق الرد عليه ، وكاتب وحيد وكتاب واحد ، هو الذى تضمن كل ما أشار إليه ذلك المؤلف ، والكاتب هو أنا ، والكتاب هو دعوة الحق .

ولم يكن لهذا كله إلا معنى واحدا :

أن زورا زور على الكاتب ما قاله من أننى بدأت كتابى بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير .

وأن زورا زور على ما قاله من أننى استندت فى ذلك إلى أن القرآن بشر برسول يأتى بعد المسيح اسمه أحمد ولم يوجد فى الكتاب المقدس - العهد الجديد - شئ من ذلك ولذلك يجب اسقاطه من الاعتبار .

وزورا زور على ماقاله من أنى تحدثت عن إنجيل آخر اسمه انجيل برنابا ... بما يوحى للقارئ بأنى قد استندت إلى هذا الانجيل أو اعتمدته ، بينما العكس هو الصحيح ؛ فقد رفضت أى بحث يقوم على أساس صحته .

وزورا زور على أننى قلت : (فمهما كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب فإنه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه مادام القرآن قال كذلك ..) لأنه أورد هذا الكلام باعتباره رأيى وسندى أنا ؛ بينما أوردته باعتباره سبب ايمان المسلمين بعدم صلب المسيح .

وزورا زور على فى صفحة ٥٩ حين أشار إلى المزمور ١٠٩ وقال أنى إستخلصت منه أن هذا الذى حوكم كان يهوذا وليس المسيح ثم تساءل بعدذلك

قائلا : (ولكن من أين استدل الكاتب على أن هذا الكلام خاص بشخص معين...) إذ معنى هذا بكل وضوح أننى لم آت بهذا السند الذى أستدل به ، بينما أنا لم آت بسند فحسب بل وبما يعتبر عنده سنداً كتابيا لا يملك الا التسليم به ، والتعليق على ذلك المزمور شاهد على ما أقول ، وزورا زور على إذن ما يفيده تساؤله من أنى لم آت بهذا الدليل .

الزور إذن ، ما بدأ به رده على .

والزور أيضا ما مضى يحاول به الرد على.

وحتى ما لم يزوره على، فإنه فى الغالب لا يشير إلى ما استندت إليه فيما وصلت إليه من نتائج ، ويجد لذلك المجال فسيحا أمامه ، ليقول كل ما يهواه .

ولكنى لذلك أفهم لماذا لم يجرؤ الكاتب أن يشير فى كتابه إلى أنه يرد على كاتب معين أو على كتاب معين ، إنها بيقين ، الخشية ، من أن يحاول القارئ أن يقارن بين كتابه وبين كتابى ، فيكشف أولا زوره ، ويكشف ثانيا أنه فى حقيقته ليس فيه ما يمكن فى أصول البحث ، أن يعتبر معه ردا على كتابى ، وأنه فى واقعه ، إذا قورن بكتابى ، فلن يستطيع أن يقنع ، حتى أكثر المتعصبين فى إيمانهم بالمسيحية فى صورتها الحالية .

ولا أعرف ، كيف ، ورغم ما بذلته من جهد للوصول إلى نسخة من هذا الكتاب الذى شاء مؤلفه أن يسميه الحق ، لا أعرف رغم ذلك ، كيف وصلت نسخة منه إلى كاتبين جليلين أولهما الاستاذ ابن الخطيب (صاحب الفرقان وأوضح التفاسير وغريب القرآن) الذى أصدر رداً عليه كتابا جعل عنوانـــا له (هذا هو الحق) ، وثانيهما الاستاذ مصطفى حسن البكرى (من العلماء)

الذى أصدر ردا عليه أيضا كتابا جعل عنوانا له (الاسلام والمسيحية) ، وما كان أغناهما ، وأغنى القمص باسيليوس اسحق عن ذلك ، لو تحلى بالشجاعة الأدبية الواجبة،والتزم أمانة الكلمة،فقال فى كتابه هذا أنه أصدره ردا على كتابى ذاك .

وأسمع أيضا أن كتابا آخر قد صدر ردا على كتابى ، وهذه المرة يعرضه على أخ مسيحى ، إنه الجزء الأول من رد السيد / يسى منصور الذى اختار عنوانا له « بيان الحق » وقد ذكر بصدره وعلى الغلاف أنه رد على كتاب دعوة الحق للأستاذ منصور حسين ، وأتصفحه ، وعبثا أحاول إقناع ذلك الأخ بأن يعطينى تلك النسخة فيأبى ، إذ صدرها المؤلف باهداء اليه ، وأبحث عن نسخة منها حيث اعتدت أن أجد الكتب التى تبحث فى المسيحيه ، فلا أجد ، وأجد لدى عنوان المؤلف على مؤلفات أخرى له ، ولحسن الحظ أنه يقيم فى الاسكندرية ، فأبعث إليه طالبا شراء بعض النسخ ، فيعتذر بنفاذها ، ويطلب لقائى، وأذهب إليه ، ويسألنى عن رأيى فى رده ، وأقول له رأيى ، والذى لا زلت عليه إلى اليوم ، أنى لا استطيع أن أعتبره ردا ؛ فإذ أقرأه أعرف تماما أنه لم يكتب إلا للمسيحيين ، حيث يقوم على افتراض صحة المعتقدات المسيحية المستقرة اليوم، وأيضا لمسيحيين لم يقرأوا كتابى ، لأنه نادرا ما يبين أسانيدى ؛ وغالبا ما يقتصر على إيراد النتيجة التى أنتهى إليها ، ويحاول الرد عليها ، فيجد المجال فسيحا أمامه ليقول ما يشاء ، لأنه لم يبين سند رأيى المعارض ، ويكفى لمن يقرأ كتابى ، أن يقرأة فحسب ، ليعرف أن هذا الذى كتبه سيادته لا يعد فى أصول البحث ردا ، ويقول لى بأننى قد طلبت فى كتابى من كل قارئ أن يرد على ، فأجبته بأننى لم أقصد بحال أن على كل قارئ أن يكتب كتابا ردا على ، وإنما فقط إذا لم يقتنع ، فعليه أن يجد لنفسه ردا على ما قلت ، حتى يكون إيمانه

حقيقا بالاحترام ، وإن كنت بطبيعة الحال أرحب بأى رد ينشر ؛ وتأتينى إجابته، أنه على أى حال ، فإنه إن لم ينشر أى رد على كتابى ، ربما ظن البعض ذلك عجزا عن الرد ، ولذا كان يجب أن ينشر رد ، وأتفق معه على أن هذه هو تقديرى الصحيح للأمر ، إن هذا الذى نشره لم ينشره إلا للقول بأن ردا قد نشر على كتابى ، للايحاء بأن ذلك الكتاب قد رد عليه ، ولا يهم بعدذلك إن كان ذلك الرد يعد فى حقيقته ردا أم لا .

وينتهى لقاؤنا ، بوعد منه أن يحاول العثور على نسخة لى خلال أسبوع ، وبطلب منى يلقى قبولا منه ، أن يحيطنى علما على الأقل عند صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى من رده ؛ وأترك له عنوانى ورقم تليفونى ، ولقد تفضل مشكورا بعد أسبوع ، وأهدانى نسخة من الجزء الأول من رده ، ونسخا من كتب أخرى له ، ولكن ، وبعد ذلك ، وعلى صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى من رده ، بل وعلى إعادة طبع ذلك الرد ، لم أسمع منه كلمة واحدة ، وإن كنت قد استطعت أن أتابع بنفسى صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى وأن أقتنيها .

وإن كنت وجدت زورا كثيرا فى كتاب « الحق » ، فقد وجدت زورا أقل منه فى كتاب « بيان الحق » وإن كان أكثر بغيا .

فزورا نسب إلى فى صفحة ٧١ من الجزء الثالث من رده قوله : (ولقد أنكر الأستاذ منصور حسين الانجيل ونفى عنه صحة الوحى بحجة أن القرآن لا يعترف بما جاء فيه من اثبات لاهوت المسيح وصلبه .) أقول زورا هذا الذى نسبه إلى لأننى لم أستند إلى ذلك فى كتابى قط ، وإن كنت قد أشرت إلى شئ من ذلك فباعتباره سبب عدم قبول المسلمين للأناجيل المتداولة ، وليس كسند أو حجة لى كما يقول .

أما الزور الأكثر بغيا ، فهو الزور الذى تجرأ فيه على الكتاب المقدس نفسه لا لشئ ، الا ليقنع القارئ بصحة رأيه .

فزورا زور على أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا حين قال فى صفحة ١٦٢ من الجزء الأول من رده : (وانى أقول أنه قد اتفق البشيرون الأربعة على أن الملاك دحرج الحجر ...) ويقصد بالحجر هنا الحجر الذى كان موضوعا على قبر من صلب بعد دفنه ، وهو يقول ذلك ردا على ماقلته من تناقض فى روايات الأناجيل فى هذا الخصوص ، وهو هنا يقول أنه قد إتفق البشيرون الأربعة على أن الملاك قد دحرج الحجر ، وليس لأحد أن يفهم من ذلك الا أن البشيرين الأربعة قد ذكروا ذلك ، بينما الثابت أن بشيرا واحدا هو الذى ذكر ذلك وهو متى ، وأما الثلاثة الآخرون فلم يذكروا ذلك على الاطلاق ، وزورا إذن ما نسبه إليهم من ذلك ، ولا يقال هنا أنهم لم ينفوا ذلك ، لأن عدم النفى لا يعنى تقرير الواقعة والاتفاق عليها .

وزورا زور أيضا على سفر أعمال الرسل حين قال فى صفحة ١٦٨ من الجزء الأول من رده : (والجواب – أن قصة متى أن يهوذا خنق نفسه لم ينفها أحد من البشيرين الآخرين بل أيدها بطرس الرسول أمام جميع الرسل وقال « وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم » ا ع : ١٩) ، أقول زورا زور حين قال ذلك لأن المعنى الواضح لهذا القول منه أن ما قال بطرس أمام جميع الرسل بأنه قد صار معلوما عند جميع سكان أورشليم هو أن يهوذا خنق نفسه ، بينما الآية فى ذلك السفر تقول « فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم » (ص ١ : ١٨و١٩) ، وبذلك فإن العبارة التى قالها

بطرس من أن ذلك صار معلوما عند جميع سكان أورشليم إنما ترجع إلى قوله عن يهوذا أنه إذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، فإذا علمنا أننى إنما أستند إلى التناقض بين قول متى البشير فى إنجيله عن موت يهوذا أنه مضى وخنق نفسه ، وبين ما قاله بطرس عنه أنه إذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ،وكان السيد / يسى منصور إنما يحاول القول بأنه ليس هناك تناقض ، فإنه بذلك يبين بجلاء قصده الواضح من ذلك التزوير .

وللحق فلقد عجبت العجب كله ، فإن أمانة الكلمة ، وشرف الموضوع الذى تصديت له ، كانا بالنسبة لى أمرا مهولا ، لا يقبل عندى إلا أمانة الكلمة كاملة ، وشرف الرسالة كاملا ، بل الأمانة فى أجلى صورها ، والشرف فى أعلا مراتبه ، والتزاما بأمانة الكلمة وشرف الرسالة ؛ فقد التزمت بأن أنقل دائما وباستمرار كل ما أكتبه النقل الأمين الصادق ، وأن أنقله للقارئ بالصورة التى لا تحتمل أدنى لبس أو اختلاف ، ولقد وصل بى الأمر ، إلى الحد الذى اعتبره كثيرون تكرارا مملا ، لا لزوم له ، ومع ذلك فقد أصررت عليه فى هذه الطبعة الثانية ، لا لشئ ، إلا تأكيدا لهذا الاالتزام .

فمن ذلك مثلا ، أنى حين أردت أن أبين تفاصيل القبض على المسيح كما يعتقد المسيحيون ومحاكمته وصلبه كما يظنون ، وهى تفاصيل لا يكاد يقوم بشأنها خلاف ، وكنت مستطيعا ان أورد الصورة نفسها كما أستخلصها بأمانة من الأناجيل ، وما كان لأحد فى تقديرى أن يعترض على، ولكن ، والتزاما بالأمانة كاملة ، أوردت أولا هذه التفاصيل بنصها فى الأناجيل الأربعة ، وبعد هذا ، وبعد هذا فقط ، أتبعتها بالصورة التى استخلصتها من الأناجيل .

ثم حين عرضت لتصور المسيحيين لألوهية المسيح ، لم أشأ أن أورد أى تصور من أى كتاب أجده ، وإنما ، نقلت نقلا كاملا خطابا يمثل تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح .

بل اقتضتنى أمانة الكلمة ، وشرف الرساله ، ويقينى الكامل بكل ما كتبت ، ألا أكتفى بالبحث والنتيجة التى أخلص إليها ، وكان ذلك وحده ، وفى أصول البحث يكفينى ، ولكنى مع هذا أمضى فأثير بنفسى كل ما أتخيل أنه قد يثور من اعتراضات على النتيجه التى أنتهى إليها لأناقشها وأرد عليها إن كان ذلك ممكنا ، وقد أمكن بالفعل .

لهذا كله قد عجبت ، وعجبت أكثر لأنى أقدر أن التزوير لا يلجأ إليه إلا من لا يعقتد بصحة سنده ومن لا يوقن بسلامة معتقده ، فلا يجد سبيلا للرد على غيره إلا بأن يزور على هذا الغير ما قاله عله بذلك يستطيع أن يدعى أنه قد رد عليه ، وأقول زاد عجبى لأنى على أى الأحوال ما كنت أحسب أن من سيحاول الرد يمكن أن يكون هو نفسه غير مقتنع بصحة ما يقول ، وهذا ما يدل عليه عندى أن يلجأ إلى الزور يزور به على ما كتبت ، وعلى غير هذا لا يدلنى ما لجآ إليه من زور .

ولقد كان من حسن الحظ ، أن لم يظهر رد واحد ، بل ردان ، لأن الحقيقة واحدة ؛ وأما ما عدا الحقيقة فكثير ، لأن الحق واحد والباطل لا عدد له؛ ولهذا كان لزاما لو لم تكن الحقيقة ما انتهيت إليه ، ولو لم يكن الحق ما أقول أن يكون الرد على واحداً وإن تعدد أما أن يتعدد الرد ، ليس فقط يتعدد بل يتناقض فذاك يقول الأمر والآخر يقول ضده ، فهذا وحده دليل أن ما انتهيت اليه هو الحقيقة وأن ما قلت به هو الحق .

....

السيد / يسى منصور فى صفحتى ٦٨و٦٩ من الجزء الأول من رده ، يعدد لى تسعة أمثلة يدلل بها على أن اسحق ابن ابراهيم الذى ورد فى العهد القديم أن إبراهيم كان سيذبحه ، يعدد هذه الأمثلة ليدلل بها على أن اسحق هنا مثال للمسيح ويؤكد ذلك بأنه لهذا تقول الكنيسة القبطية في القداس في صلاة القسمة فى أحد الشعانين : « وكما حمل اسحق حطب المحرقة حمل المسيح خشبة الصليب .... » أما كاهن الكنيسة القمص باسيليوس اسحق ، فيعطنيا فى صفحة ١٢٧ درسا فى معنى الرمز ويقول أن ما قاله بعضهم عن اسحق أنه كان رمزا إلى المسيح ... انما هو خطأ بحت لأن الكاتب اعتمد على نظرية خاطئة ، وصحيح أنه عاد فى الطبعة الثانية من الكتاب ، فأضاف جديدا ، لا شك أنه نتيجة لهجوم عليه من المسيحيين أنفسهم ، لرفضه ما لاخلاف عليه عندهم وتؤكده الصلاة التى أشار اليها السيد / يسى منصور ، ولكنه رغم هذا يأبى العدول عما قرره أولا ، إذ يحاول أن يوضح فى الطبعة الثانية أن هناك فارقا بين المثال والرمز ويقول فى صفحة ١٤٩ : (واذن لم يكن اسحق رمزا للمسيح بل مثالا له .) ، ومع ذلك فإنه يبقى فى نفس الطبعة ما سبق أن أورده فى الطبعة الأولى ، فنقرأ فى صفحة ١٥٢ من الطبعة الثانية قوله (وهنا يستقيم الكلام اذا إعتبرنا أن اسحق يمثل الجنس البشرى ...)

....

السيد / يسى منصور يحاول أن يفسر التناقض بين الروايتين الواردتين فى سفر أعمال الرسل عن ظهور المسيح لشاول الذى لقب ببولس الرسول حيث ورد فى إحداهما أن الرجال المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون

أحدا ، بينما قالت الأخرى أن الذين معه نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمه ، فيقول سيادته فى صفحة ٦٣ من الجزء الثالث من رده : (وبقليل من التأمل نرى أن الروايتين متفقتان على أن الرجال الذين مع شاول نظروا النور وارتعبوا ووقفوا صامتين ولم يروا شخص المسيح . وأنهم سمعوا الصوت كدوى لكنهم لم يسمعوا الصوت بوضوح ولم يسمعوا شيئا من كلماته ، فلا تناقض .) ، أما السيد القمص فيقول لازالة هذا التناقض فى صفحة ٥٨ : (ظن أحد الكتاب أن خلافا فى النصين ، ولا خلاف بينهما قط ؛ إن المسيح تكلم مع شاول وحذره من عاقبة أعماله ، وجرى حديث بينهما وأجاب بولس السيد المسيح ... فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت بولس وهو يتحدث مع المسيح ولكنهم لم يسمعوا صوت المسيح . وفى الثانية : الكلام واضح : ان المسافرين لم يسمعوا صوت الذى يكلمنى أى صوت المسيح الذى كان يكلم شاول ...) ، ولن أعلق .

....

السيد / يسى منصور يقول عن الأقوال التى ذكرها شاول الذى لقب ببولس الرسول بقوله « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ... » و « وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن . ولكنى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا ... » ، يقول سيادته فى صفحة ٤٤ من الجزء الثالث من رده : (أن بولس الرسول لا يقصد بالآيات السالفة أن ينفى الوحى عن أقواله ، ولكنه يتكلم عما نقله من أقوال المسيح فى بعض الأحكام وعما لم يحكم فيه المسيح فى وقت وجوده بالجسد فهو يميز بين الأقوال التى يستشهد بها من أقوال المسيح وبين أقواله هنا الآن التى يقولها بروح الله .) ، ثم يقول فى نفس الصفحة

وصفحة٤٥ : (فهذه الآية الكريمة لا تفيد كما ادعى المعترض أن بولس الرسول كان لا يرى نفسه ملهما بالوحي ، لأن بولس الرسول صرح مرارا أنه ينطق بالوحي ، ولما قال « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ... » كان يعنى بذلك أن المسيح لم يتكلم في مسألة ... ولم يدون شئ بخصوصها فى الكتب الالهية قبل الآن ..) ، أما القمص باسيليوس اسحق فيقول فى صفحة ٦٤ : (والأمر واضح جلي .. ففى الأول حرم الطلاق بين المؤمنين بأمر الله . وأما الثانى فأعطى رأيا، ولم يكن بوحي من الله أن .. وقال صريحا أنه لم يؤمر من الرب أن يكتب هذا .. وانما هذا رأيه الخاص . وأما بخصوص العذارى فانه لسبب .. فاذن عندما أبدى الرسول رأيه فى هذا الأمر لم يكن مسوقا من الروح القدس ... ولكنه كان ينصح المؤمنين لشدة الأهوال التى تشابه حصار أورشليم . ولهذا كان يتعين أن يوضح أن هذا كلامه وليس كلام الله .) فهل أنا هنا بحاجة إلى تعليق .

....

وليس هنا مجال لبيان كل أوجه التناقض بين الردين ، وأكتفى هنا بهذا الذى ذكرته ، تاركا الباقى كل فى موضعه من الكتاب ، على أنه لا يفوتنى هنا أن أشير إلى أننى لم أتناول على الاطلاق ، ما استندا إليه من القرآن ببحث أو رد أو تعليق لأسباب أعتبرها بديهية ، ذلك أنى حين أحاول أن أقنع أحداً بما أقول ، فإن أصول البحث توجب أولا أن أكون أنا مقتنعا بهذا الذى أقوله ، وحين أدلل للقارئ على أمر بسند ما ، فيجب أن أكون أنا أولا قابلا لهذا السند ، ولهذا ، ففى كل ما كتبته ، لم أقل شيئا لست مقتنعا به ، ولم أستند على أمر لا أقبله أنا سندا ، ولهذا فإننى حين قبلت الاستناد إلى ما فى العهد القديم من نبوءات ؛ لم يكن ذلك مجرد مسايرة للمسيحيين فى هذا الإستناد ، وإنما إيمانا منى نابعا

من دينى بأن العهد القديم كتاب الله الذى أقبله ، وحين أخذت فى الصورة الاسلامية بالتفاصيل التى وردت فى الأناجيل عن محاولة القبض على المسيح عليه السلام ثم محاكمته وصلبه ، أوضحت أننى آخذ بها اعتمادا على إيمانى النابع من دينى بالانجيل ، واقتناعا بفرض يجب أن أقيم عليه البحث ، وهو أن يكون الأصل فى الأناجيل المتداولة افتراض صحتها فيما لا يقوم الدليل على عدم صحته مما ورد فيها ، بل وحتى حين انتهيت إلى عدم صحة الكثير مما ورد فيها ، لم أرفض هذه الأناجيل جملة ، وإنما رأيت الأخذ بها كأسفار تاريخية غير موحى بها بعد أن أقمت الدليل على ذلك ؛ وفى كل هذا كتبت ما أنا معتقد بصحته وألتزم به قبل أن أطلب من القارئ أن يقتنع به ، بل إننى فى ختام كتابى طلبت من المسلمين أن يأخذ الكتاب المقدس مكانه الصحيح بينهم ، إذ هو كتابهم ، تماما كما أن العهد القديم كتاب اليهود قد اعتبره المسيحيون كتابهم ، ولهذا ، وعلى هذا الأساس ، اعتبرت أن من حقى ، بل ومن واجبى أن أتناول الكتاب المقدس وأقرأه وأعلق عليه . .

أما هؤلاء الكتاب ، فما هو القرآن عندهم ؛ إنه عندهم ، ليس بالكتاب المقدس ، وليس من عند الله ، وهو عندهم غير موحى به ، وهو عندهم من تأليف محمد عليه السلام وحده ؛ وهو عندهم ولكل هذا لا يصلح دليلا على أى شئ ، فإذا كان هذا هو حال القرآن عندهم ؛ فأى سند يكون لهم إذن فيه ؛ وإذا كان القرآن عندهم لا يصلح سندا فكيف يستندون إليه ، وإنها للحجة التى يقولونها أنه ما دمنا لا نقتنع بغير القرآن فسيأتوننا بالسند منه ، وأما أنا فأقول لهم لا ، يجب أن يكون السند أولا مقبولا منكم حتى يقبل منكم الاستناد إليه ، كما أنه غير صحيح أننا لا نقبل غير القرآن سندا ، بل نقبل كل ما يقره العقل وتقبله

أصول البحث ، وكتابى هذا خير شاهد على ذلك ، ثم ماذا تريدون من القرآن ، أن تفسروه للمسلمين ، وهل هم ينقصهم أن تفسروه لهم ، أم تريدون أن تحرفوا فيه الكلم عن مواضعه ، وهذا ما أعتقده ، لأنه ليس أعجب بعدكل ما استقر من خلاف بين المسيحية والاسلام حول صلب المسيح وعدم صلبه وبين القول القول بألوهيته وعدم ألوهيته وبعد أن قالت الآيات القرآنية بكل صراحة أن لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم ، وبعدأن قال القرآن أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، ليس أعجب بعدكل هذا من أن يحاول من يرد علينا أن يقول لنا بأن القرآن يقر بألوهية المسيح وبصلبه ، لا أبدا هذا استخفاف بالعقول فوق كل استخفاف ، وهذا هراء أبدا لا أنزل الى حد مناقشته.

واذا ذكرت هنا ما لقيت من جهد في سبيل الحصول على كتابى الحق وبيان الحق اللذين حاولا الرد على كتابى ، فإنى أذكر هنا أيضا بالفضل والتقدير والاحترام ، السيد الأب كنيث نولن ، فقد كتب إلى سيادته ، وطلب أن يناقشنى ، وأن يلقانى ، وكان له ما طلب ، ثم أرسل إلى سيادته بنسخة من تعليقه على كتابى قبل نشره يسألنى رأيى فيه ، ثم إذ نشر التعليق تفضل سيادته فأرسل لى خمس نسخ منه ، وإذا كنت أعتقد بيقين ، أن هذا الذى فعله سيادته، إنما هو ما يمليه على المرء ، أمانة الكلمة التى يكتبها ، وشرف الرسالة التى يتصدى لها ، فقد عمق من احترامى وتقديرى واعترافى له بالفضل ، لما كان من سيادته من ذلك ، ما لقيته من جهد وعناء ؛ فى سبيل الحصول على الكتابين الآخرين اللذين حاولا الرد على ، وما وجدته فيهما من زور ، ومن تجاهل لمعظم أسانيدى ، وأسجل هنا ، وأمانة ، أن سيادته لم ينسب إلى فى

في تعليقه ؛ ولا حتى كلمة واحدة لم أقلها ، وما كان أيسر ذلك عليه لو أراد فرده نشر فى مجلة أجنبية لم أسمع بها ؛ وبلغة لم أتعود القراءة بها ، ولم يكن لى من سبيل إلى تلك المجلة إلا من سيادته شخصيا .

وأذكرهنا أيضا ، بالشكر والتقدير والإحترام ؛ السيد الاستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس مدرس الرياضيات بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، فقد أرسل سيادته كتابين مؤرخين ١٧ / ٦ / ١٩٧٠ أحدهما باسمى والآخر باسم والدى على عنوان كل منا ، ويقول فى كل منهما أن سيادته يدرس اللاهوت بالقسم الليلى بالكلية الاكليريكية اللاهوتية بالدمرداش ، وأنهم قد تعرضوا فى دراستهم لكتابى « دعوة الحق » ، وقد بحث عن هذا الكتاب لدى الناشر فلم يجد لديه أى نسخة ؛ وعلى الأهمية الواضحة التى جعلها سيادته لطلبه هذه النسخة ، من ارساله أكثر من خطاب في نفس الوقت ، فقد أكد أيضا هذه الأهميه بطلبه في كلا الخطابين أن يكون الرد حالا .

ومن فورى بادرت بارسال النسخة المطلوبة ، وانتهزت هذه الفرصه لأسأل سيادته عما إذا كان قد سمع بأن ثمة ردوداً أخرى ظهرت ردا على كتابى ، ومن فوره أيضا ، تفضل سيادته مشكورا بالرد على بكتاب مؤرخ ١٩٧٠/٦/٢٣ ، ويبلغنى بأنه لم تظهر ردود أخرى ، ويتفضل سيادته فيقول أنه يسعده القيام بأى خدمة أطلبها ، وبأننى إذا أردت المزيد فى المعلومات والردود التى وقعت بين المسيحية والإسلام فيوجد كتاب قوى للمرحوم الإيغومانس « ابراهيم لوقا » ويسمى المسيحية في الاسلام وقد نفذ من السوق ويتفضل سيادته فيعرض على إن لم يكن لدى هذا الكتاب فسيادته على استعداد للبحث عنه واحضاره لى .

بل وفوق هذا يتفضل سيادته فيقول بأنه اذا قابلنى أى اشكال فى الموضوع حول المسيحية والإسلام ؛ فعندهم الأنبا شنوده أسقف التعليم الدينى وهو عميد الكلية الاكليريكية اللاهوتية وهو بجانب روحانيته فهو يمتاز بعقلية جبارة ويعطى الردود الحاسمة المقنعة ،وأستطيع أن أجده فى الكلية الاكليريكية اللاهوتية بشارع رمسيس بالدمرداش بجوار كلية طب عين شمس ، وهو يرحب بأى سؤال ويرد عليه بصدر واسع ؛ وإنه لمن سوء حظى حقا ؛ أنى لم يقابلنى أى إشكال فى الموضوع حول المسيحية والاسلام ، ولهذا فلم أحظ بشرف هذا اللقاء .

وتفضل سيادته أيضا فقال لى فى كتابه هذا أنه قد أشير إلى كتابى فى محاضرات للأنبا شنوده أسقف الكلية الاكليريكية التى يعطيها لهم بالقسم الليلى، وقد أشار إليه فى مادة « مقدمات الكتاب المقدس » وفى مادة « الدين المقارن أو الاسلاميات » وقال سيادته أنه سيكتب بيانا عن هذه الاشارات لكتابى فى ورقة أخرى منفصلة ، وتفضل مقررا أنه على استعداد تام لأى خدمة أو طلب أو سؤال بعد الإنتهاء من امتحانات الكلية اللاهوتية التى تنتهى فى منتصف أكتوبر .

وتفضل سيادته فأرفق بكتابه هذا أربع صفحات جعل فى أولها عنوانا يقول (إشارات لكتابكم دعوة الحق من محاضرات سيدنا الأنبا شنوده فى مادة « مقدمات الكتاب المقدس ») ويقول سيادته تحت هذا العنوان :

(فى كتاب دعوة الحق من ص ٧٠ يتناول الأستاذ منصور حسين المزامير ويشرح من المزامير أن المسيح لم يصلب تنفيذا للآية القرآنية « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » (النساء ١٥٧)

(١) فى مزمور (٢) ... قلتم سيادتكم أن المقصود بهذا المزمور هو السيد

المسيح وأن الله ضحك عليهم وأبدل شخص المسيح بشخص آخر . الرد : أن هذا الكلام لم يكن مقصودا به شخص المسيح بقدر ما كان مقصودا به المسيحية ذاتها- فمتى ارتجت الأمم وفكرت الشعوب بالباطل إلا لافناء المسيحية ولكنها نسبت للمسيح . مثلما شاول كان يضطهد المسيحية فظهر له المسيح وقال« شاول لماذا تضطهدني »

- وبغض النظر عما أضفته في هذه الطبعة تعليقا على هذا المزمور من كتب الإخوة المسيحيين ، فإنه يكفيني للرد على ذلك أن أذكر ما ورد في سفر أعمال الرسل عن رفقاء بطرس ويوحنا من أنهم « .... رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الاله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيل . ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون » . (ص ٤ . ٢٦ - ٢٨) ، والآية المشار إليها هنا على أنها قيلت من الله على فم فتاه داود ، والتى يقطع رفقاء بطرس ويوحنا بأنها قصد بها بالذات يسوع المسيح ، بل وزادوا تأكيدهم هذا بأن أوضحوا التفاصيل التى تقطع بذلك ، ولم يظهر فى كلامهم أدنى احتمال لأن يكون القصد منها الاشارة إلى المسيحية أكثر من المسيح ، أو الاشارة إلى المسيحية على الاطلاق ، هى تلك التى وردت فى المزمور الثانى والتى يقول الرد أنها لم يكن مقصودا بها شخص المسيح بقدر ما كان مقصودا بها المسيحية ، والسؤال هنا ، أيهما أكثر قبولا واعتبارا ، ما ورد فى ذلك الرد ؛ أم ما ورد فى سفر أعمال الرسل ، وللقارئ وحده أترك الاجابة .

(٢) مزمور (٣) ... – قلتم أن هذا المزمور يشير إلى صراخ المسيح لتخليصه من الصليب وقد استجاب الله له – نرد عليكم بأن الخلاص ليس تخليص المسيح من الصليب ولكن الخلاص الذى نعنيه هو فداء الناس على الصليب وتخليصهم من عبودية إبليس ؛ كما أن هذا المزموريشير بوضوح إلى موت المسيح ودفنه وقيامه إذ يقول « أنا أضطجعت ونمت ثم استيقظت » وإذا كان السيد المسيح يريد التخلص من الصليب لما ذهب إلى بستان جثسيمانى وهو يعلم أنه سيقبض عليه هناك ولما بقى هناك حينما جاء إليه الجنود ليقبضوا عليه ولما كان يوقظ التلاميذ قائلا « إن عدوى قد اقترب » .

– وردا على ذلك أقول أنه ليس أدل على أن المسيح لم يكن يريد أن يصلب من كل هذه الصلاة الحارة العميقة فى ذلك البستان حتى كانت قطرات العرق تتساقط منه كقطرات الدم وهو يسأل الله أن يعبر عنه هذه الكأس ، أما لماذا ذهب إلى البستان رغم ذلك، ولماذا أيضا لم يحاول الهرب عندما علم أن أعداءه قادمون للقبض عليه ؛ فهذا ما نعرفه منه عليه السلام حينما اختتم كل هذه الصلاة وكل ذلك الدعاء بقوله لله لكن ليكن كما تريد أنت لا كما أريد أنا ، فهو وإن لم يكن يريد أن يصلب ، وهذا طبيعى ، فإنه رغم ذلك سلم لله بمشيئته فى أن يصلب ، وهذا أعظم الايمان ، وأما أن هذا المزمور يرمز إلى موت المسيح ودفنه وقيامته ، فلست بمستطيع أن أرى فى الأضطجاع والنوم والاستيقاظ موتا ودفنا وقيامة ، كما أن المزمور يحدثنا عن أنه اضطجع ونام واستيقظ لأن الرب يعضده فلا يخاف من ربوات الشعوب المصطفين حوله ، ومن يضطجع وينام ويستيقظ لأن الرب يعضده فلا يخاف من ربوات الشعوب المصطفين حوله ، نقول عنه أنه رغم ذلك صلب ودفن وقام من الأموات ، ففيم تعضيد الرب له وفيم اذن عدم خوفه .

(٣) مزمور (٤) .... – الرد : لا نستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير فى الضيقة على أنه صراخ المسيح خوفا من الصليب فمزامير داود مملوءة بالصراخ فى الضيقة – ولا نأخذ كل المزامير على أنها نبوءات عن السيد المسيح – فان حياة داود كلها ضيقات ومملوءة بخلاص الرب له – والآية فى مزمور ٤ «إعلموا أن الرب قد جعل صفيه عجبا » لا تشير إلى خلاص المسيح من الصليب ولكن تشير إلى مجد المسيح فى قهره للموت بالقيامة وعمل الفداء – ومجد المسيح هنا ليس مجدا عالميا بل مجد روحى كما يقول فى مزمور (٤) « حتى متى يكون مجدى عارا » .

– وأقول ردا على ذلك أنه لو صح هذا التفسير للمزمور ، لوجب أن يكون هو نفس ما نجده فى الكتب المسيحية ، فإذا رجعنا إلى التعليق على المزمور الرابع نجد تفسيرا آخر فى كتاب دراسات فى سفر المزامير يرى أن أقوال هذا المزمور تصدق على مسيح الله الحقيقى لأن تصرف الكتبة والفريسيين وعامة الشعب من ورائهم برهن على أنهم أحبوا الباطل وابتغوا الكذب إذ ساروا وراء عناد قلوبهم فى مقاومة مسيح الله ملكهم الحقيقى ... ، ويكفى لترجيح تفسيرى الرجوع إلى ماقلته تعليقا على هذا المزمور ، ومن الغريب أن يقال فى التعليق على هذا المزمور بالذات أننا لا نستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير فى الضيقة على أنه صراخ من المسيح خوفا من الصليب ، ورغم هذا يستند نفس القائل إلى أن هذا المزمور يشير إلى المسيح نفسه ، وإن كان على النحو الذى رآه ، ففيم إذن كان هذا الذى قيل فى بداية التعليق على المزمور ، من أننا لا نستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير ...أكتفى بهذه الاشارة إليها هنا ولى إليها عودة ، لأنها تقريبا كانت نفس مأخذ للسيد الأب كنيث نولن.

مزمور (١٢) : (طبعة رومية) أو مزمور ١٣ (طبعة بيروت) (ملحوظة الطبعة المفضلة للمزامير هى طبعةرومية) - وهذاكله فى الخطاب - ... لا يمكن أن تنطبق على السيد المسيح وصلاته من أجل تخليصه من الصليب لأنه إذا كان خائفا من القبض عليه لما ذهب إلى بستان جشيمانى وهو عالم أنه سيقبض عليه هناك - كما أننا نقول أن المسيح لا يمكن أن يخاف من الموت .

- والرد على ذلك بسيط ، وهو أولا ، بل تقولون ، وأحيل فى ذلك إلى ما أورده السيد / يسى منصور فى كتابه بيان الحق فى جزئه الأول فى صفحتى ١٢٣ ، ١٢٤ عن الرأى الذى ذهب إليه كثيرون من أئمة المفسرين الذين يعلقون أهمية خاصة على ناسوت المسيح فيقول أنهم قالوا : (إن المسيح لم يكن خائفا من الصليب لكن جسده الطبيعى الطاهر الذى لم يعرف خطية اقشعر من الموت الذى هو قصاص الخطية ، كما يقشعر الجسد الطبيعى من الظلام الدامس -وأى ظلام أشد من ظلام الخطيئة . ولأن المسيح رأى هذا الموت مظهراً لغضب الله عليه ... فكان الصليب مرا ، ولذا وجب على الجسد الذى يتجرع كأسه أن يقشعر .

فلو لم تكن فى الصليب مرارة لما صار الصليب صليب الفداء . ولو لم يذق يسوع مرارةالصليب لما اعتبرت تضحيته تضحية حقة ... فالطبيعة الانسانية تقشعر من المرارة ، وتكره الألم ، وتنفر من الظلمة وتجفل من الحزن ، وتأبى الموت فلا لوم ولا تثريب على ناسوت المسيح أن يبدو طبيعيا ومنفعلا بكل الانفعالات الطبيعية) . وتأبى الموت هذه وردت فى الكتاب الذى يحاول الرد على، وأن تقشعر طبيعته الانسانية من المرارة وأن تكره الألم وأن يقشعر جسده من الموت ، هو ماورد فى ذلك الكتاب أيضا فهو رافض ذلك لا يريده ، كما

تقدم وكما تقطع به صلاته كما قدمنا ، ولكنه يذهب إلى البستان تسليما بمشيئة الرحمن في أن يصلب كما سبق أن أوضحنا تفصيلا ، فالخوف والرفض وعدم الارادة كلها موجودة بالنسبة للصلب ولكن التسليم بإرداة الله في ذلك أيضا موجودة ، ومن هنا انطباق المزمور .

مزمور ٢٠ (طبعة بيروت) أو مزمور ١٩ طبعة رومية ... – قلتم أن هذا المزمور ينطبق على السيد المسيح وتخليصه من الصليب والرد أن كلمة مسيح لا تنطبق فقط على السيد المسيح بل على كثيرين مثل داود النبى وشارل الملك في العهد القديم وسليمان الحكيم ثم عبارة « هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل » لا ترمز الى الذين قدموا وقبضوا على السيد المسيح فلم يقل أحد أنهم جاءوا بخيل أو مركبات ولم يقل أحد أنهم عثروا وسقطوا – ثم عبارة « نحن قمنا واستقمنا وانتصرنا » بصيغة الجمع أى أن هذا الكلام لا يشير الى السيد المسيح .

– إذا كنت أنوى التعليق على ذلك بعد التعليق على المزمور ٢٢ إلا أنه لا يفوتنى هنا أن أشير الى أن القول بأنهم عثروا وسقطوا لم يقله أحد غير صحيح، وليس أدل على ذلك من أن إنجيل يوحنا قد قال عنهم أنهم في لحظة الوصول إلى المسيح للقبض عليه رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض،ثم إن الإستدلال من عبارة « نحن قمنا ... » على أنها لم يقصد بها المسيح لأنها وردت بصيغه الجمع ، فهذا كلام غريب في حد ذاته ، وغريب من مسيحى بالذات ، فأى قارئ للمزمور لا يمكن أن يعترض على إمكان أن يكون المقصود بهذه العبارة فرد واحد ، أو على أنها لا يقصد بها إلا فرد واحد ، وأما أن يكون المعترض مسيحيا بالذات فهذا أعجب ما في الأمر ، ذلك أن معظم الكتب المسيحية حين تعرض لمثل هذه العبارات تستخرج منها ، بغير حق ، دليلا على

تعدد الأقانيم فى الاله الواحد ، وإلا لما استعمل الوحى صيغة الجمع فى حديثة عن الواحد ، وعموما فأنا أحمد للراد إعتراضه على هذا الاسلوب للمسيحين المستفاد من رده.

مز ٢٢ (طبعة بيروت) مزمور ٢١ (طبعة رومية) .

قلتم أن هذا المزمور يرمز الى يهوذا الذى صلب بدلا من المسيح لأنه لا يصح أن يقال عن السيد المسيح .... أما أنا فدودة لا انسان عار عند البشر ومحتقر الشعب .. الرد وكلمة عار ليس أنه عار فى ذاته بل انه احتمل العار وقد ذكر بولس الرسول كثيرا فى رسائله عن ذلك فقد جاء فى رسالته الى أهل غلاطية « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) وقد حمل السيد المسيح كل لعنات الناموس وخطايا البشر واحتمل كل هذا من أجلنا كما أن أشعيا النبى قال عنه فى ساعة الصلب وتنبأ « لا صورة له ولا جمال ولا منظر فنشتهيه » مع أنه قيل « انه أبرع جمالا من جميع بنى البشر » .

– وقبل أن أمضى إلى التعليق على ذلك فيما بعد أوضح أننى لا أستطيع أن أفهم من قول قائل عن نفسه « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر .. » أنه لا يقصد أنه عار فى ذاته ، وأما ما يذكره بولس فإن هو الا محاولة لتبرير ما ظن أنه المسيح قد صلب ، ولا أعتبرها محاولة موفقة ، ثم ما هذا القول بأنه قد احتمل كل لعنات الناموس وخطايا البشر ، وإلا ، هل معنى أن يكون الانسان مسيحيا إذن أن يرتكب ما يعن له من الخطايا فقد افتداها المسيح كما تعتقدون بدمه مسبقا ، للحق لم أفهم بحال أنكم تقصدون هذا ، وأما القول بأنه مكتوب أنه ملعون كل من علق على خشبة ، فهذه شهادة بأن هذا الذى علق فى

الأناجيل لا يمكن أن يكون المسيح ، لأنه أبدا ، وبأى حال ، لا يمكن أن يكون ملعونا ، ويقطع بذلك أنه مكتوب أيضا فى العهد القديم ، فى المزمور التاسع « معروف هو الرب . قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . » (١٦) ، فهل يمكن القول طبقا لذلك ، وباعتبار أن المسيح قد علق على خشبة كما تعتقدون ، أنه قد صار شريرا أيضا ، بالطبع لا ، وتماما أيضا لايمكن القول بأنه قد صار لعنة ، لأنه لو قيلت إحداهما عليه ، لوجب قول الأخرى أيضا ، والغريب أننى أنا الذى لا أعتبر فى حكم المسيحيين من أتباع المسيح ، أقف بكل ما حواه هذا الكتاب مدافعا عن مجد المسيح وكرامته ، نافيا عنه العار الذى ألحق به ، نافيا عنه اللغنة المدعى بها ، فيعيب على من يرون فى أنفسهم أتباع المسيح، نفيى اللعنة والعار عنه ، أينا من أتباع المسيح حقا ، إن الشرف كله لى أن أكون من أتباع المسيح عليه السلام ، ومن أول من يدفعون عنه اللعنة والعار اللذين ألحقهما به من يعتقدون أنهم أتباعه .

ويستطرد سيادته فيتفضل فى الصفحة الثالثة من صفحاته الأربع ويقول أن ما سبق كان ما تعرضوا له فى دراستهم فى مادة « مقدمات الكتاب المقدس » عن كتابى « دعوة الحق » وأنه أشير فى دراستهم فى مادة علم الدين المقارن (الاسلاميات) عن حادثة صلب المسيح إلى كتابى « دعوة الحق » وقال أن الاشارة هى إلى ماقلته فى صفحة ١٤٩ من أن الذى نستطيع أن نستخلصه مما ورد فى الأناجيل أن الذين حاولوا القبض على المسيح لم يكونوا يعرفونه ... وأن الرد أن المسيح وتلاميذه كانوا معروفين جدا وأخذ سيادته يعدد ثلاثة عشر سببا لذلك خلاصتها أن المسيح وتلاميذه كانوا معروفين فى معجزة إشباع الجموع وأن الخدم كانوا يعرفون أن بطرس هو أحد التلاميذ وأن جمعا عظيما قابل المسيح

فى أحد السعف كما كان المسيح وتلاميذه يحضرون ولائم العشارين والخطاة وصنع معجزات كثيرة قبل صلبه وأنه لو كان غير المسيح من صلب لما حدثت زلزلة وقت الصلب وما أظلمت الشمس عندئد وكان المسيح يعظ فى مجاميع اليهود وفى شفاء المفلوج يقال أن البيت كان مزدحما كما قال المصلوب كلمات لا يقدر يهوذا أن يقولها على الصليب ولم تكشف المحاكمة عن أنه ليس المسيح كما أن نيقوديموس ويوسف الرامى أنزلا الجسد من على الصليب وكفناه، وقد أشار بولس الرسول كثيرا إلى مجد الصليب ، ولست أرانى بحاجة إلى الرد على كل هذا بغير ما أوردته فى البحث نفسه ، والذى يبدو واضحا جليا أن السيد الدكتور جرجس قسطنطين لم يكن قد قرأه بعد عند كتابته هذا الخطاب إلى ، لضيق الوقت بين خطابيه الأولين وهذا الخطاب (١٩٧٠/٦/١٧ و ١٩٧٠/٦/٢٣) مع ملاحظة الوقت الذى استغرقه وصول خطابيه الأولين إلى والوقت الذى وصله خلاله كتابى والخطاب المرفق به ، وهذا فضلا عن أنه يعرض على البحث عن كتاب المسيحيه فى الاسلام ، والذى يقرأ كتابى يعرف من أوله أنه لدى .

والآن أعود إلى المزمورين ٢٠و٢٢ وإلى عبارة أننا لا نستطيع أن نأخذ كل صراخ المزامير فى الضيقة على أنه صراخ من المسيح خوفا من الصليب فمزامير داود مملوءة بالصراخ فى الضيقة ولا تؤخذ كل المزامير على أنها نبوات عن السيد المسيح فإن حياة داود كلها ضيقات ومملوءة بخلاص الرب له .

وفى هذا أقول ، لقد وجدت الكتب المسيحية تقول أن المسيح ساطع فى كل الكتاب المقدس كالشمس وأن المسيحيين لا يهتمون أين يفتحون التوراة وكتب الأنبياء ليجدوا الكلام عن المسيح ، كما قرأت أيضا أنه فى سفر التكوين

كان فجر النبوة وفى الأسفار التالية كان تدرجها فى الارتفاع حتى تكبدت السماء فى سفر المزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليا فى كمال مجده كأنه الانجيل يتكلم عن يسوع من كل مناحى حياته عن أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله ، وأن هذا السفر كان كالهالة أحاط بكوكب يسوع فتكلم حتى عن إحساساته العميقة وآلامه المبرحة أكثر من أى نبى آخر حتى ليمكن القول أن سفر المزامير هو سفر مسيا الخاص بدليل أن الاقتباسات التى اقتبسها كتبة العهد الجديد من ذلك السفر قد بلغت إلى نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله (كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح) ، كما قرأت أيضا أنه لم يوجد كتاب ملئ بالاشارات والرموز والنبوات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا وعليه فأهميته فى نظر اللاهوتيين تفوق الوصف(كتاب رب المجد)، بل وحتى السيد / يسى منصور فى كتابه بيان الحق الذى أصدره ردا على كتابى لم يستطع إلا الإقرار بذلك فقال فى صفحة ٣٥ من الجزء الأول أنـــه (ومعلوم أن سفر المزامير يسمى عند اليهود والمسيحيين بسفر المسيا) ، والمسيا هنا يقصد بها المسيح كما هو معروف .

هذا ما وجدته ، وقبلته ، ثم أخذت أبحث عما يقوله هذا السفر عن المسيح ، واقرارا للواقع ، فقد كان أول مزمور قرأته فى هذا السفر باعتباره نبوءة عن صلب المسيح عند المسيحيين كما يقولون ، هو المزمور ٢٢ ، ووجدت فيه بحق نبوءة عن الصلب ، وعن المصلوب ، لما وجدته من تطابق بين عباراته وبين ما حدث مع المصلوب فى الأناجيل ، ولكنى اصطدمت منه بعبارة مهولة ، هى حديث المصلوب فيه وقوله عن نفسه « أما أنا فدودة لا انسان عار عند البشر...» ، ويأبى قلبى وعقلى وإيمانى أن أرى المسيح الكريم العظيم يقول هذا عن نفسه بأى حال

وأتساءل ، أين هى النبوءة ، وأين هو التطبيق ؛ إن صلب من صلب لم يكن واقعة مجردة ، إن المسيحين أنفسهم لا يقولون أن المسيح وهو الله فى اعتقادهم قد تجسد وتأنس ونزل وصلب فحسب ، بل هناك حياة كبيرة على الأرض قبل ذلك ، وهناك تفاصيل أخرى سبقت واقعة الصلب ولا انفصال لها عن تلك الواقعة ، وأجد هذه التفاصيل تقول أن المسيح ذهب إلى ضيعةيقال لها جثسيمانى مع تلاميذه ، وتركهم وأخذ يصلى بعيدا ، وكان يصلى أعمق وأحر صلاةسمع بها أحد حتى يومنا هذا ، وكل هذه الصلاة وهذا الدعاء يسأل الله أن يخلصه من الصلب ، أن يعبر عنه هذه الكأس إلا أنه ، ولعظيم إيمانه يستسلم لمشيئة الله ويقول له ليكن كما تريد أنت لا كما أريد أنا ، وأقبل هذه التفاصيل أيضا فى الصورة الاسلامية حتى لحظة محاولة القبض على المسيح على التفصيل الذى انتهيت إليه فى بحثى ، ولا أرى فى واقعة الصلب إذن واقعة مجردة مستقلة عن غيرها ، وإنما أرى المسيح يدعو الله أن يخلصه من الصلب ، فيستجيبه فى الصورة الاسلامية ويرفعه إليه ويقبض على يهوذا الاسخريوطى ويحاكم ويصلب بدلا منه وعلى أنه المسيح نفسه ، بينما نعرف من الصورة المسيحية أن هذا الدعاء لا يستجاب وإنما بقبض على المسيح ويحاكم ويصلب كما يعتقد المسيحيون .

وأبحث عن الصورة بكل تفاصيلها ، ولا أبحث عمن صلب مجردا ، فأجد المزمور العشرين ، وهو مزمور لداود يبدأ بالدعاء على لسان داود قائـــــــلا « ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . » ، فأفهم منه أن داود هنا يدعو لآخر ، وفى زمن مستقبل أن يستجيب له الرب فى يوم الضيق ، ولا أعرف يوم ضيق فى حياة المسيح أكثر من هذا اليوم الذى كان مقررا أن يقبض الأعداء فيه عليه ليقتلوه وأرى فى الأناجيل ما دعا الله عندئذ به وهو أن يعبر عنه هذه الكأس ،

أى كأس الصلب ، ثم أرى داود النبى يمضى فيوضح كيف يتصور هذه الاستجابة فيقول « ليرفعك .. » ، وبعد أن يستمر فى دعائه لهذا الآخر بما مفهومه أن طلب الاستجابة هذا إنما فيه معاملة لمن يدعو له حسب عمله ، يعود، وفى فقرة جديدة ، يتحدث ، فنفهم من صريح عبارته أنه يتنبأ ، وأن الوحى أعلمه هذا الذى سيقوله فى تلك اللحظة ، فيقول بصريح العبارة وأوضحها « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه . » ، وبصريح العبارة يتحدث عن مسيح الرب ، وبصريح العبارة نفهم أنه يتنبأ ، ويتنبأ بأن الرب مخلص مسيحه، ثم يربط بين هذا التخليص وبين مادعاه فى أول المزمور بقوله « ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . ليرفعك اسم إله يعقوب ... » ، قاطعا بأن الدعاء الأول كان عن مسيح الرب ، وأن النبوءة عن تخليص الرب لمسيحه ، ثم يصف كيفية تخليصه فيقول « هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل ... » ، وأرى فى ذلك رمزا لمحاولة القبض على المسيح، ويعترض المعترض كما قرأنا فى الخطاب بأن أحدا لم يقل أن من جاءوا للقبض على المسيح جاءوا بمركبات وخيل ، وفى الرد على هذا الاعتراض أرد من وجهين ، فمما لاخلاف فيه أن عدم ذكر واقعة فى الأناجيل لا يعنى أنها لم تحدث ، وإنما فقط لو نفت الأناجيل واقعة معينة يمكن التفكير فى القول بعدم حدوثها ، والأناجيل وإن لم تذكر أن من قدموا للقبض على المسيح أنهم قدموا بمركبات وخيول ، فإنها أيضا لم تنف ذلك ، ويقول لنا السيد القمص باسيليوس اسحق فى صفحة ٧٣ من كتابه الذى سماه الحق والذى أصدره ردا على كتابى أن القوة التى نيط بها القبض على المسيح مكونة من كتيبة من الجنود الرومانيين والكتيبة فى العادة – كما يقول – كان عددها ٦٠٠ جنديا مسلحا بقيادة ضابط رومانى، والخدام وهم الموظفون اليهود الملحقون بمحكمة السهندريم وموظفو إدارة بوليس الهيكل ، فهل نستطيع أن نتصور كتيبة

رومانية عددها ٦٠٠ جنديا دون أن تكون بمركبات وخيول ، أو هل كثير أن نتصورها كذلك ، وهو ما لم تنفه الأناجيل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فإن السيد / يسى منصور يقول فى الجزء الأول من كتابه بيان الحق الذى حاول به أيضا الرد على كتابى ، يقول - بحق - فى صفحه ٦٩ منه (فليس من الضرورى أن يكون المثال كالحقيقة فى كل شئ والا فلا يكون المثال مثالا .) - وان اختلفت معه فيما رتبه على ذلك - ولهذا ، حتى لو فرضنا أن من قدموا للقبض على المسيح لم تكن معهم مركبات وخيول ، فإن هذا لا يغير من صحة النبوءة واعتبارها عن لحظة محاولة القبض على المسيح ، لأن هذا الوصف الذى أتى به المزمور لا ينطبق فى حياة المسيح إلا على تلك اللحظه وحدها .

ثم يأتى المزمور ٢١ بعد ذلك ، ليقطع فى غير ما لبس أو أدنى غموض ، بأنه والمزمور السابق كانا عن المسيح ، إذ يذكر لنا هذا المزمور فرحة الملك بقوة الرب ، ويقول أن شهوة قلبه أعطاه الرب وملتمس شفتيه ، وهو الدعاء الذى دعاه له ، لم يمنعه ، ونعرف تماما أن ملتمس شفتيه هذا الذى لم يمنعه هو عدم صلبه إذ يقول عنه أنه سأل الرب حياة ، ويؤكد المزمور بعد ذلك بما لا يستطيع أن ينفيه أى مسيحى بأن المسيح هو المقصود منه بقولـــــــه « فأعطيته . طول الأيام إلى الدهر والأبد » ، فمن فى الدنيا كلها أعطى حياة هذا طولها غير المسيح ، وهل داود أعطى هذه الحياة ، لا يستطيع حتى مسيحى أن ينكر ذلك عن المسيح أو أن يقوله عن داود ، ثم يؤكد المزمور ارتباطه بالمزمور السابق وبالمؤامرة على المسيح للقبض عليه وصلبه قاطعا بفشلها ، إذ يتحدث عن أعدائه وغضب الله عليهم ويوضح أن سبب هذا الغضب ، أنهم نصبوا عليه شرا، تفكروا بمكيدة، ويقطع بما لا يقبل الجدل فيقول أنهم لم يستطيعوها ، ثم يأتى بعد

ذلك المزمور ٢٢ والذى أتفق مع ما يقول به المسيحيون من أنه يتحدث عن واقعة الصلب نفسها ، فأجد فيه المصلوب يحدثنا عن نفسه فيقول أنا دودة لا إنسان عار عند البشر .

فهل بعد كل هذا ، يطلب إلى أن أعتبر المزمور ٢٠ ليس عن المسيح ، والمزمور ٢٢ عن المسيح ، أمزمور يحدثنا عن مسيح الرب ، ويحدثنا بصورة التنبؤ عن المستقبل ، ويدعو بأن يستجيب له الرب فى يوم الضيق ، ونعلم يقينا أنه فى يوم الضيق دعا المسيح ربه أن يخلصه من الصلب ، ثم يؤكد لنا المزمور بعدذلك بنبوءة صريحة قاطعة أنه الآن قد عرف أن الرب مخلص مسيحه ، وأنه سيستجيبه من سماء قدسه ، ومع كل هذه الصراحة وذلك الوضوح، أقول أن هذا المزمور لا يتحدث عن يسوع المسيح عليه السلام ولا صلة له به ، ثم أجد مزمورا آخر ، يتحدث فيه شخص عن نفسه فيقول أنه دودة لا إنسان عار عند البشر ، فأرى فيه المسيح ، بل وبين المزمورين نفسيهما مزمور ثالث ، يقطع بما لا يقبل خلافا بأن الأول عن المسيح وبالتالى فالأخير عن غيره ، ثم لا أرى فى مسيح الرب المسيح نفسه ، وأرى فى هذا الذى هو فى رأى نفسه دودة لا إنسان عار عند البشر ، المسيح نفسه ، ولا أرى فيه الخائن يهوذا الاسخريوطى .

على أن القول بأن المزمور ٢٠ والمزمور ٢١ إنما قصد بهما المسيح ، ليس بدعة من عندى ، فمن المسيحيين أنفسهم من يسلم بأن المسيح ، وبأجلى معنى، هو المقصود بهما ، فهاهو ذا السيد / فخرى عطيه فى كتابه دراسات فى سفر المزامير يقول فى صفحة ٣٠٢ : (التطبيق النبوى : إن الروح القدس يستخدم أقوال المزمورين ٢٠ و ٢١ لغرض نبوى ، ومن هنا فالتكميل والإتمام لا يوجدان إلا فى المسيح . ونرى البقية الأمينة توحد نفسها بمسيحها . ولاحظ

كيف أن طلبة مز ٢٠ :٤ « ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك » تجد استجابتها فى مز ٢١ :٢ « شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه (اشارة الى القيامة)حياة سألك فأعطيته.طول الأيام إلى الدهر والى الأبد » (مز ٢١ :٤) إن يـــوم « ضيق» مسيا هو اليوم الذى فيه قدم نفسه . والآن هو « مرفع » .)

وواضح أن الكاتب يرى هنا أن تخليص المسيح يقصد منه قيامته من بين الأموات ، ولكن ، هل يمكن للمركبات والخيول أن تشير إلى القبر ، أم إلى محاولة القبض على المسيح ، وأى التفسيرين يقبله العقل

ويعطيني السيد القمص باسيليوس اسحق درسا فى معنى كلمة مسيح حتى ينفى انطباق المزمور ٢٠ على المسيح - كما ذهب الأستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس فى كتابه إلى - فيقول لى أن كلمة مسيح لقب أطلقه اليهود على كهنتهم وأنبيائهم وملوكهم لأنهم كانوا يمسحون بالدهن المقدس عند تكريسهم لوظائفهم السامية ولذلك يسمى الملك الممسوح بمسيح الرب ، ومسيح فى الآية « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » أى الممسوح بالدهن ولو كان قصد بها المسيح لقال المسيا (ص ٨٤ - ٨٦ من كتاب الحق) ، وعلى أن ما أوردته عن المزمور ٢١ يقطع بأن المسيح هو المسيح المقصود فى المزمور ٢٠ ، وعلى أن القمص باسيليوس اسحق رمانى لذلك بالجهل بكتب النصارى أو بأنى فعلت عن قصد ذلك لتضليل الجهلاء والله أعلم - كما يقول - فإن الرد القاطع لا آتى به من عندى ، بل من كتب النصارى ، من كتاب السيد / فخرى عطية الذى أسلفت الإشاره إليه والذى قال فى صفحة ٣٠٨ منه تعليقا على نفس الآية : (فى هذا العدد تعبير يشير فى الكتب النبوية الى ربنا يسوع المسيح نفسه ، تعبير يستخدمه الشعب الأرضى عن المخلص العتيد « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » والمسيح (الممسوح) هو مسيا ومسيا هو

الذى كان ذلك الشعب ينتظرونه طوال القرون ...) ، فماذا أقول دام فضلكم .

ألانى رأيت الحق جليا فى هذه المزامير الثلاثة فلابد وأن أكون على خطأ ، ويقال لى تبريرا لذلك ، وعلى صراحة الآيات أن مسيح الرب فى المزمور ٢٠ لم يقصد به المسيح عليه السلام ، وإذا كانت كلمة المسيح لقب أطلقه اليهود على كهنتهم .. فهل ينفى ذلك إطلاقها على يسوع المسيح ، وإذا أطلقت دون تحديد فهل يقصد بها غيره ؛ وإذا لم أكن على حق ، فأى مسيح هذا الذى قصده المزمور ، ولكن يقينا إن من اعترض على لا يعترض أبدا على هذا الذى يقوله السيد / فخرى عطية من أن المسيح عليه السلام بالذات هو المقصود بالمزمورين٢٠ و ٢١ لا لشئ ، إلا لأنه لا ينتهى إلى ما إنتهيت إليه بحق منهما ، فرأى فيهما نبوءة عن صلب المسيح ودفنه وقيامته من الأموات .

هذه هى المزامير ٢٠ و ٢١ و ٢٢ على التوالى ، وهذه هى النبوءات الصريحة الواضحة فيها ، رأينا فيها المسيح يدعو الله فى يوم الضيق ، ورأينا الله يستجيب لدعائه فيرفعه ، ويفرح بذلك فى المزمور ٢١ ونعرف من الأوصاف التى وردت عمن خلصه الله فيه أنها لا تنطبق إلاّ على يسوع المسيح وحده دون العالمين ، ويؤكد لنا نفس المزمور فشل المؤامرة عليه ، ثم نعرف من المصلوب فى المزمور ٢٢ أنه دودة لا إنسان عار عند البشر ، فنعرف يقينا أنه ليس المسيح عليه السلام وإنما يهوذا الاسخريوطى .

وليست كل صلاة أو صراخ فى المزامير أسندته إلى المسيح ، وإنما هى صورة كاملة ، واحدة ، تتكرر فى المزامير ، وأبداً لا تتغير ، هناك هذا البار يدعو الله فى يوم ضيقه ، فيرسل من العلا ويأخذه ، يرفعه فوق القائمين عليه ، يوصى به ملائكته فعلى الأيادى يحملونه لئلا تصدم بحجر رجله ، لا يحبسه فى يد العدو ، إليه لا يقرب ، فهل داود أرسل الله من العلا فأخذه ، وهل داود

أوصى الله ملائكته به على الأيادى يحملونه لئلا تصدم بحجر رجله ، هل غير المسيح هذا ، ودائما آخر ، الشرير ، هو الذى يرى فى نفسه دودة لا انسان وعار عند البشر ، وكرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، الشرير يعلق بعمل يديه ، فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم ، حفروا أمامه حفرة فسقطوا فى وسطها ، على رأسه يرجع تعبه وعلى هامته يهبط ظلمه ، الصورة الاسلامية كاملة، بكل تفاصيلها ، بكل جلالها ؛ بكل كمالها ، فأين هى فى المزامير تفاصيل هذه الصورة الأخرى التى يقولون بها ، أين دعاء المسيح البار الكامل ، الذى لا يستجاب ، وأين المسيح الذى يحاكم ، ثم أين هو المسيح الذى يصلب ، أهذا الشرير ، الذى يقول عن نفسه أنه دودة لا انسان عار عند البشر ، أبدا وألف أبدا .

وبعد، فماذا أنا بقائل ، يكفينى هذا فى هذا الهامش ، فالكتاب نفسه يغنينى عن أى كلام ، وإذ أنا على يقين من هذا الذى فى هذا البحث كتبته،فإن يقينى أيضا ، أن أمانة الكلمةتحتم على أن أقول ؛ أن القارئ لا يجوز له أن يكتفى بوجه واحد من أوجه النظر ، وأن اليقين الكامل بهذا البحث بل والقراءة الكاملة له ؛ إنما تحتم على القارئ أن يسعى بنفسه إلى ما أشرت إليه من كتب ظهرت من قبل أو قد تظهر من بعد رداً على، فيطالعها ، وليحكم بنفسه ولنفسه عليها .

وإذا كان هذا ما أكتبه أنا ، فإنه من باب أولى ما أتوقع أن يكتبه بعد ذلك من يحاول الرد على؛ فلا يخفى مثلا كما فعل صاحب كتاب الحق ؛ إسم الكتاب أو الكاتب الذى عليه يرد ، بل وأن يطلب إلى قارئه أن يطالع كتابى ، بل وقبل أن يقرأ رده ، وإلا فما معنى أن يكون كتابه ردا ، وأرجو على أى حال أن يفعل ذلك من يتصدى للرد على؛ وإلا دل بذلك ليس فقط على عجزه عن

الرد ؛ بل وأيضا على عدم يقينه شخصيا بصحة مايكتب .

وإذا كان لى رجاء لمن ينشر ردا على،فهو فقط أن يحيطنى علما بصدوره حتى يتسنى لى الاطلاع عليه ، وعنوانى أسجله هنا حتى لاتكون لأحد حجة (٣٤ شارع سانت جينى ، برشدى ، بالاسكندرية – جمهورية مصر العربية) .

وكلمة أخرى ، لاأقدر أن أكتمها ، ففى صلاة قدم بها القمص باسيليوس إسحق الطبعة الثانية من كتابه الذى سماه الحق يقول مخاطبا الله : (... إننا اليوم نذكر مالنا من البركات ونلتمس منك أن توزعها على الآخرين أيضا ...) فسيادته يسأل الله أن يوزع بركات سيادته على الآخرين ، كما يقول فى كلمة أضافها إلى نهاية كلمته التى قدم بها الكتاب فى طبعته الثانية : (... وستجدوننا أيها الكتاب على أتم استعداد لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا) .

فهكذا رأى سيادته فى نفسه بعد صدور طبعته الأولى، فأبى إلا أن يصدر بذلك طبعته الثانية ، فهو يذكر اليوم ماله من بركات ويلتمس من الله أن يوزعها على الآخرين أيضا ، وهو على أتم استعداد لمجاوبة كل من يسأله عن سر الرجاء الذى فيه .

أما أنا ، فعن نفسى أقول ، لا يظنن أحد بى بركات أوزعها أو أسأل الله أن يوزعها على غيرى ، ولا يظنن أحد فى رجاء ، لأن يقينى أن لا بركة لأحد لغير نفسه ، ولا رجاء فى أحد لغير نفسه ، لأنه بإيمانك وحدك ستدخل ملكوت الله وجناته وليس بغيرك .

وبعد

فشكرا وحبا وتحية ، لكل من طالع هذا الكتاب فقبله .

وشكرا وحبا وتحية ؛ لكل من قرأ هذا الكتاب أيضا ولو رفضه .

وشكرا وحبا وتحية ، لكل من رد على هذا الكتاب ، وإن زور فى رده .

وشكرا وحبا وتحية ، واحتراما للأستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس، ذاكرا لسيادته كريم فضله .

وشكرا وحبا وتحية ، مع عظيم احترامى وتقديرى وامتنانى ؛ للسيد الأب كنيث نولن ؛ فلئن اختلفنا معا ، فعلى أمانة الكلمة ؛ وشرف الرسالة التقينا .

ثم من قبل ومن بعد، شكرا لله الشكر كله ، وحمدا لله الحمد كله ؛ أن أعاننى على إعادة كتابة وطبع هذا الكتاب .

....

ما سبق كان ما كتبته على هامش دعوة الحق فى نهاية الطبعة الثانية من هذا الكتاب والتى نشرت فى سنة ١٩٧٢ ، وقد رجوت فيها من ينشر ردا عليها أن يحيطنى علما بصدوره ، حتى يتسنى لى الإطلاع عليه ، ومنعا لأى عذر سجلت عنوانى فى تلك الطبعة ، وعلى مضى أكثر من عشرين عاما على نشر الطبعة الثانية ، فإن أحداً لم يحطنى علما بشئ من ذلك ، كما لم يصل إلى علمى شئ منه ، ولذلك لا أجد ما أضيفه إلى هذا الهامش فى هذه الطبعة ، سوى توجيه الشكر **للأستاذ على الدين عبد القادر سعد** ، صاحب مكتبة علاء الدين بالإسكندرية ، لجهده فى نشر الطبعتين الثانية والثالثة من هذا الكتاب .

منصور حسين

الفهــــرس

الفهـــرس

الموضـــوع الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

==================

=============

======

الأزهـــر

منطقـة الإسـكندرية الأزهـريـة .

سموحة ☎ : ٤٢٠١٠٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريرا فى ٢٣ / ١١ / ١٩٩٣

بالإطلاع على ما كتبة صاحب الفضيلة المغفور له **الشيخ / محمد محمد أبو خوات** شيخ علماء الإسكندرية بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٧٢ فى كتاب « دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام » - تأليف **الأستاذ المستشار / منصور حسين عبد العزيز** .

تؤيد منطقة الإسكندرية الأزهرية كل ما قرره فضيلته بشأن محتويات هذا الكتاب وأهميته للقارئ العربى والنفع العام .

والله الموفق ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

مدير منطقة الإسكندرية الأزهرية

عبد الرحيم سليم



دعوة الحق

تأليف

أو

الحقيقة

بين المسيحية والإسلام

للمستشار

منصور حسين عبد العزيز

الطبعة الثالثة

عرض على فضيلة الشيخ عبد الرحيم
سليم مدير المنطقة الأزهرية
بالإسكندرية .

يرى [illegible] تقديم [illegible] و[illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] من ناحية
[illegible] هذا [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٩٦٢/١١/١٥



إهداء

إلى كل مؤمن يريد الحقيقة وحدها
أهدي هذا الكتاب عسى أن يجد فيه
ما ينير له الطريق إليها

منصور

